المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١١ مليون نسخة

٣ قروش

المختار

من مجلة

ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

الدولية الأمريكية	وليم هارد	١
عين لعين ... لعل العمى يبصرون	مجلة « كوليير »	١٣
استعمل عقلك الباطن استعمالا واعياً	مجلة « فوربز »	١٧
فنان مطبوع ... الشخصيات التي لا تنسى	مارك روز	٢١
الرصاصة التي تدفع نفسها	مجلة « أميريكان مركيوري »	٢٨
عدوتها صديقتها	مجلة « وماتز هوم كومبانيون »	٣٣
سر « دفي » في سجن نموذجي	فرانك تايلور	٣٦
سطح مستو	و . ل . هوايت	٤١
القنفذ ... علامة إستفهام الغابات	مجلة « كنتري جنتلمان »	٤٩
ليس في الجو إلحاد	مجلة « حقائق الطيران »	٥٣
إستئصال الزهري في يوم واحد	بول ده كروف	٥٧
إنتفع بتجاربي ... علاج ناجع للتسويف	مجلة « فوربز »	٦٢
جواد ضئيل	الدكتور فردريك لوميس	٦٤
أبطلوا المحراث	لويس برومفيلد	٧٠
من فراش المرض إلى الميدان	مجلة « أبناء الجو »	٧٦
فلسفة فذة لمحارب فذ	مجلة « ليبرتي »	٨١
الحافرون عن التاريخ	مجلة « فورتشون »	٨٨
حرب القصاصات	مجلة « أميريكان ليجيون »	٩٣
باب الكتب: كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس	ديل كارنيجي	٩٧
باب القصة: مغامرة العصابة الرقطاء	آرثر كونان دويل	١١١

مارس ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست أحد عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزيه تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ السابع من الطبعة العربية . وقد وُزّع منه مائة وثلاثون ألف نسخة فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد و اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى اتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١ — ميدان قصر الدوبارة بالقاهرة . تليفون : ٥٩٤٩٥

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

حقوق الطبع ١٩٤٤ محفوظة لريدرز دايجست أسوسياشن انكور پوريتد . جميع الحقوق ومنها حقوق الترجمة محفوظة للناشر ، فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والمكسيك وشيلى والبلدان المشتركة فى اتفاق حقوق الطبع الدولى واتفاق حقوق الطبع للجامعة الأمريكية . ولا تجوز إعادة طبع شىء من هذه المجلة بغير استئذان الناشرين .

المختار
من مجلة ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر
السنة الاولى | مارس ١٩٤٤ | المجلد ٢ العدد ٧

الدولة الأمريكية

ينبغي أن تكون للولايات المتحدة ، فى رأيى ، سياسة خارجية قائمة على ثلاث نقط رئيسية ، وهى جميعاً قابلة للمناقشة والجدل وعرضة للاختلاف عليها . وأنا أعرضها وأنا مستعد لتصحيح ما عسى أن يتبين لى فيها من خطأ ، ولكنى كذلك أعرضها وأنا عميق الاقتناع بها .

النقطة الأولى :

ينبغى للولايات المتحدة ، حين يأتى السلام ، أن تحرص على اتقاء كل المحالفات «العامة» مع دول خاصة ، وأن تسعى لإقامة اتحاد عالمى من جميع البلدان صغيرها وكبيرها والمتقدم منها والمتخلف ، و« الطيب » و« الخبيث » .

إن المحالفات العامة مع دول خاصة فى زمن السلم ، سم ذعاف . وفيها عنصران وبيلان ، الأول أن كل طرف فى محالفة يجر على نفسه الأحقاد الدولية التى تجمعت على الطرف الآخر ، وخليق بهذه الحقيقة أن تصدنا عن عقد أية محالفة عامة مع بريطانيا أو مع روسيا ، فإن ما يبغضنا إلى العالم تافه ضئيل ولكن ما يبغض بريطانيا وروسيا جسيم .

وقد قال نائب الرئيس والاس ، بحق ، «إن أمريكا تستطيع أن تكون أعظم مؤثر

[ظل وليم هارد يدرس الشئون الدولية ويكتب عنها أكثر من ٢٥ عاماً ، وقد أكسبته نشأته وتربيته اهتماماً عظيماً بهذا الموضوع لم يفتر قط . وقد ولد فى ولاية نيويورك من أم انجليزية وأب أمريكى ، وقضى معظم حداثته فى الهند حيث كان أبوه مبشراً . ودخل المدرسة هناك ثم درس فى جامعة لندن قبل أن يعود إلى أمريكا ويلتحق بجامعة نورث وسترن حيث تخرج ثم صار مدرساً للتاريخ .

وقد كتب منذ سنة ١٩١٨ و ١٩١٩ عدة مقالات فى المجلات عن الشئون الدولية وقام برحلات فى مهمات صحفية إلى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا والنمسا والمجر وألمانيا وبولندا ، وشهد عدة اجتماعات دولية وكتب وأذاع عنها .

ومقامه الآن فى واشنطون ، وقد بقى وهو فيها على اتصال وثيق برجال وزارة خارجيتنا وآرائهم وبسفارات الدول الأخرى ومفوضياتها] .

* *

فى العالم لأن العالم « ينظر إلينا بارتياب أقل من الارتياب الذى ينظر به إلى أية دولة كبرى أخرى » والمعروف عنا أننا غير استعماريين ، ولا تستطيع أن تظفر بثقة العالم أجمع وتتولى زعامته الأدبية إلا دولة كبرى غير استعمارية . فهل نتخلى عن هذه الفرصة الفذة والمركز البارز الملحوظ غير الاستعمارى لنصبح شركاء ثانويين فى استعمارية الآخرين ؟ أظن أن الجواب ينبغى أن يكون « لا » قطعاً .

على أن العنصر الوبيل الثانى فى المحالفات أهم ، ذلك أن الحقيقة الأساسية فى التاريخ الدولى كله هى أن كل محالفة تؤدى إلى قيام محالفة ضدها .

فكل محالفة لها « غاية » خاصة مقصورة عليها ، فيجىء جوابها من تلقاء نفسه بغاية خاصة ضدها . ونحن محتاجون إلى السعى لتوحيد العالم وجمع كلمته ، والمحالفات تفرقه ، وهى أكبر قوة هدامة عرفتها الجماعة الدولية للإنسانية . وأنا أرى أنه ينبغى حين يجىء الصلح والسلام أن نتقى نحن الدخول فى محالفات ، وأن نشجع ونعزز البديل الوحيد الذى يستطيع فى النهاية أن يزهد غيرنا فى التحالف .

المساواة بين الجميع :

والسبيل الوحيد هو هيئة عالمية تمثل فيها الأمم قاطبة على قاعدة المساواة التامة ، واتحاد الجامعة الأمريكية يعد هيئة من هذا القبيل للجمهوريات القائمة فى نصف الكرة الغربى . وقد أنشىء هذا الاتحاد فى سنة ١٨٩٠ ولم يزل يعمل منذ ذلك الحين لتوثيق العلاقات التجارية والثقافية بين

الجمهوريات الأمريكية . وكل جمهوريات أمريكا ، وهى إحدى وعشرون ، داخلة فيه ، وليس ثم محالفات أو فرق سياسية خاصة تمزقه من الباطن . وليس فيه ، على خلاف عصبة الأمم ، « مجلس » للدول الكبرى فيه مقاعد لا لسبب سوى أنها أكبر من سواها . ولا يوجد فى اتحاد الجامعة الأمريكية سوى مجلس واحد ، وليس للولايات المتحدة فيه حقوق أكبر أو أعلى من حقوق باراجوى مثلا .

وبفضل التأثير المتزايد مثلا لمبدأ العالمية والمساواة فى اتحاد الجامعة الأمريكية ، سحبت الولايات المتحدة جنودها من نيكاراجوا ، وسانتو دومنجو ، وهايتى ، ونزلت عن حقها فى التدخل فى كوبا . وبهذه الأعمال غير الاستعمارية كسبت الولايات المتحدة ما لم تكسبه دولة كبرى غيرها فى العالم — ثقة جاراتها الصغرى .

إن الاستعمارية أم ولود للحرب ، وفى وسع الولايات المتحدة أن تساعد على تعزيز الروح غير الاستعمارية فى العالم ، ولكنها لا تستطيع ذلك إلا بهيئة تأخذ بالعالمية التامة والتكافؤ التام .

ومن هنا يجب أن تدخل فى هذه الهيئة العالمية الأمم « الطيبة » والأمم « الشريرة » أيضاً .

ولنتدبر أمرى اليابان وروسيا .

فى سنة ١٩١٧ كانت اليابان أمة « طيبة » وكانت تقاتل ألمانيا ، وكانت لنا صديقاً عزيزاً .

ولكن روسيا ! فى الحرب العالمية الأولى كانت روسيا أمة « شريرة » جداً ، فقد وقعت معاهدة صلح على حدة مع ألمانيا ، وأدخلت فى بلادها الشيوعية ، وقتلت عدداً كبيراً من أبنائها لا عقاباً لهم على جرائم ارتكبوها بل لأسباب راجعة إلى السياسة والاقتصاد . وما من أمة فى عصرنا هذا كانت « شريرة » إلى مثل هذا الحد . واليوم يتوسل العالم الحر كله إلى روسيا أن تشترك فى مداولاته لأن روسيا الآن « طيبة » .

واليابان الآن « شريرة » .

ووصف أمة بأسرها ، وعلى الدوام ، « بالشر » خطأ أخلاقى ، وتاريخى ، ولا ينطوى على حكمة . وإنى لأؤيد ما قاله وأبدع فيه الدكتور صن فو رئيس الفرع التشريعى لحكومة شيانج كاى شيك الصينية الحرة .

قال : « متى تخلصت الأمة اليابانية من حكامها الحاليين فإنها لن تود أبداً أن تخوض حرباً أخرى إذا استطاعت أن تبدى إراداتها بحرية » . وسنكون حينئذ مستعدين لاستئناف العلاقات العادية مع اليابان الجديدة التى تكون حكومتها مؤلفة تأليفاً ديمقراطيا ومسئولة أمام الشعب

اليابانى كله . ومثل هــذه اليابان الجديدة يجب ولا بد أن تتبوأ مكانها فى الجماعة العالميــة المؤلفة من الأمم المسالمة المحافظة على القانون » .

وعلى الحالين ، وسواءً أصارت اليابان الديمقراطيــة المنزوعة الســلاح « طيبة » أم بقيت « شريرة » فإنها ستظل حيوية للاقتصاد العالمى ، وجوهرية للحد الأقصى فى الرخاء العالمى . ومثل هــذا يمكن أن يقال عن ألمانيا إذا آضت ديمقراطية ونزع سلاحها . وسواء أكان الألمانيون أمة خيرة أو شريرة ، فإنهم سيظلون يعملون ويكسبون أرزاقهم . وسيظلون أيضاً أنفع شعوب أوربا فى البحث العلمى والاختراع الصناعى . ومن المستحيل أن يتصور الإنسان الحد الأقصى من الرخاء للقارة الأوربية من غير أن تساهم فيه ألمانيا برخائها ومعاونتها .

وإذا أريد لهذا العالم أن يظفر بالسلام فلا بد له أولا من الرغد الاقتصادى ، ولست أقول إن الرخاء يكفل السلم ، ولكنى أقول إن الفقر والإكداء أكبر ما يهدد السلم من خطر .

تجارة عالمية أو حروب عالمية .

من رأيى أنه إذا كنا نريد أن نتعلم أن نحيا معاً فى هذا العالم ، فإن علينا أولا أن نتعلم أن نعمل معاً .

النقطة الثانية

ومن أجل هذا نجىء النقطة الثانيــة : إن أول واجب لاتحاد عالمى من البلدان قاطبــة هو العمل لإقامة ســلام ورخاء اقتصادى شامل .

وأنا فى هــذا مدين دينــاً كبيراً لذلك الكتاب الذى يسمى « الاتحاد الاقتصادى والسلام الدائم » لمؤلفه الشهير أوتو مالرى .

وقد بين المستر مالرى فى كتابه :

أنه فى أثناء عهد السلام الماضى شنت كل دولة فى العالم تقريباً حرباً اقتصادية على البلدان الأخرى جميعاً .

وأن هذه الحرب الاقتصادية كان مظهرها السيطرة الحكومية المسرفة على الواردات والصادرات وغير ذلك من الوسائل الأخرى العديدة . وكانت تحدو الحكومات فكرة وبيلة مؤداها أننا إذا استطعنا أن نفقر كل الأجانب فإننا نحن نغنى .

وأنه « إذا أريد أن لا يجتاز الجنــود الحدود الدولية فى مهمات حربية ، فإنه يجب أن تجتازها البضائع فى مهمات سلمية » .

« وأن العامل الاقتصادى هو محور ســلام العالم » كما قال السير آرثر ســولتر السياسى البريطانى الممتاز المجرب .

وقد رجع المستر مالرى بعــد ذلك إلى خبرته العظيمة بأعمال مكتب العمل الدولى

وهو مكتب أنشأه مؤتمر السلام فى سنة ١٩١٩ ، وسجل أعماله خير وأمجد من سجل أية هيئة دولية أخرى فى العالم ، وقد انضمت إليه أربع وخمسون أمة من بينها الولايات المتحدة .

وليس هو بحكومة فوق الحكومات . واختصاصه الوحيد هو أن يضع مشروعات لتحسين أحوال العمال وترقيتها ، ثم ينصح للحكومات بالأخذ بها واعتمادها ، وقد بلغ عدد ما تم من الاعتمادات إلى الآن تسعمائة تقريباً . فالتقدم الذى تيسر على هذا النحو فى أحوال العمال فى كثير من أرجاء الأرض يبعث على الرضى ويستحق التنويه به .

فما هو السبب فى هذا النجاح ؟ يرى المستر مالرى أن السبب هو الحقيقة التالية :

أن نصف المندوبين إلى مؤتمر مكتب العمل الدولى — نصفهم فقط — حكوميون ، وربعهم من رجال الأعمال رشحتهم للحكومات الشركات فى بلادها المختلفة ، وربعهم من العمال رشحتهم أيضاً جمعيات العمال . فإذا كان نصف المندوبين من الساسة والمشتغلين بالسياسة ، فإن النصف الآخر من أصحاب الأعمال والعمال ، أى من أبناء العالم العملى . وأنا أرى أن هذا المبدأ يمكن أن يطبق على اتحاد عالمى .

ومن أجل هذا أقترح أن يكون فى الاتحاد العالمى فضلا عن ممثلى الحكومات ، ممثلون لدوائر المال وتجارة الصادر والوارد ، وللعمل ، وللزراعة التى هى المصلحة الأساسية لبنى الإنسان .

واقترح كذلك ، وبلهجة التوكيد ، أن لا يقتصر اجتماع هؤلاء المندوبين على فترات معينة ، (كما كان يفعل مجلس العصبة وجمعيتها) بل يكون اجتماعهم دائماً ومتصلا غير منقطع .

فما ثم جدوى فى مفاوضات فى سبيل السلام الاقتصادى ، أو السلام السياسى ، أو العسكرى ، إذا كانت متقطعة وفى فترات متباعدة ، وإنما تكون الجدوى إذا كانت المفاوضة مستمرة كالحياة نفسها .

وسيكون أمام الاتحاد العالمى ، من الناحية الاقتصادية جدول طويل بالمسائل التى تتطلب الحلول :

مثل رسوم الإصدار والاستيراد ، وحصص الصادرات والواردات ، وتمكين كل بلاد العالم من خيرات الأرض ومعادنها ، و « حرية الهواء » الحقيقية للطائرات التجارية على اختلاف راياتها ، والعمل العالمى المشترك (وهو الوحيد الذى يرجى له نجاح) لمكافحة الهبوط المالى وهكذا إلى آخره .

على أنه ينبغى — كما هو الحال فيما يتعلق بمكتب العمل الدولى — أن لا يكون للاتحاد العالمى سلطة تخوله أن يفرض قراراته

الاقتصادية على أى بلد فى أية رقعة من الأرض، وإنما يكون اختصاصه أن يحول قرارته إلى الدول جميعاً وأن يسعى لإقناعها بالأخذ بها.

وعندى أنه ليس فقط من غير المرغوب فيه، بل من المستحيل كذلك تخويل أية هيئة عالمية دولية سلطة الفرض والإجبار، اقتصادياً أو سياسيا، وأعزز رأى هـذا بالاستشهاد بجماعة الأمم البريطانية وهى تتألف من خمس بلاد حرة فى الإمـبراطورية البريطانية: هى بريطانيا وكندا وأفريقية الجنوبية وأستراليا وزيلندة الجديدة.

وإذا كان فى العالم خمسة بلاد بينها علاقات وثيقة، فهذه هى البلاد، وفيها تتمثل أعظم معجزات التعاون الدولى فى العالم، والعبقرية السياسية البريطانية فى أسمى مظاهرها، ولـكنه من المستحيل استحالة مطلقة إقامة حكومة مشتركة بينها اليوم. فإن كلا منها تصر على الاحتفاظ بحقها الشرعى كاملا فى أن تمضى فى طريقها بوحى من إرادتها الخاصة. وقد رأيت فى جمعية عصبة الأمم بجنيف، هذه البلاد تختلف وتذهب كل منها مذهبها فى مسألة بعد مسألة. وليس فى جماعة الأمم البريطانية أية سلطة مركزية عليا تفرض على غيرها رأيها، ولذلك أسأل:

إذا كانت هذه الدول البريطانية الخمس لا تستطيع أن تؤلف حكومة مشتركة مركزية فـكيف يزعم أحد أن فى وسع ستين دولة فى العالم كله أن تؤلف حكومة عالمية لها على هذه البلدان الستين سلطة الأمر والإكراه؟ ومن أجل هذا أذهب إلى أن هذه الفكرة ليست إلا وهما سيىء المغبة، وهنا أنتقل إلى نقطتى الثالثة.

الارتباطات تفضى إلى ما ينافى الشرف

النقطة الثالثة:

إن الاتحاد العالمى، فى سعيه للسلام السياسى والعسكرى، والسلام الاقتصادى كذلك، لا ينبغى أن يتطلب النزول عن السيادة من الحـكومات التى هى أعضاء فيه، ولا أن يطلب منها أى تعهد بما تفعل أو لا تفعل فى أى وقت فى المستقبل، وعليه أن ينظر فى كل تهديد للسلام فى وقته وفى الظروف المباشرة التى تحيط به، وهو ليس مضطراً أن يحاول الحصول على الإجماع لمواجهة هذا التهديد. وسيكون هناك تعهد إجماعى بالتشاور المشترك الدائم، ولـكنه ستكون هناك حرية تامة للحكومات الفردية فى اتخاذ أى عمل خاص لمواجهة الطوارىء الخاصة على أى وجه خاص تؤثره.

وعندى أن تاريخ عصبة الأمم يثبت أن أى نظرية أخرى لاتحاد عالمى لا تكون إلا باطلة، ولا تنتج سوى خيبة الأمل، ولا تثمر

إلا رد فعل يجىء بأعدى أعداء السلام — الكفر بإمكان صلاح البشر .

لقد تكفلت عصبة الأمم بأن تقيد الحكومات التى كانت أعضاء فيها بأن « تحافظ » ضد « العدوان » على « الكيان الأرضى » و « الاستقلال السياسى » لكل حكومة أخرى عضو فى العصبة .

وفى سنة ١٩٣٥ غزت إيطاليا « الكيان الأرضى » وقضت على « الاستقلال السياسى » لعضو معين فى العصبة — الحبشة . والآن يقال إن هذه الكارثة ما كانت لتقع لو أن الولايات المتحدة كانت عضواً فى العصبة .

وأنا ألاحظ على هذا :

أنه فى سنة ١٩٣٥ كانت عودة ألمانيا إلى التسلح فى البداية فقط ، ولم يكن محور برلين — روما قد وجد ، ولم تكن ألمانيا تؤيد إيطاليا ، وكانت بريطانيا وفرنسا وروسيا أعضاء فى العصبة ، ولهذا أسأل :

هل يحاول أحد جاداً أن يقنع أى إنسان بأن البريطانيين والفرنسيين والروسيين معاً كانت بهم حاجة إلى الأمريكيين ليستطيعوا أن يمنعوا الإيطاليين من العدوان .

إن الحقيقة التاريخية الواضحة هى أنه فى سنة ١٩٣٥ استخرج أعضاء العصبة لأسباب شتى ، من المادة العاشرة والتعهد الوارد بها ، تعهداً آخر كتب فى ظروف أخرى فى سنة ١٩١٠

ولكنهم يزعمون زعماً آخر :

يقولون إنه قد يكون الواقع أن أعضاء العصبة فى سنة ١٩٣٥ لم تكن بهم حاجة إلى معونة أمريكا المادية ، ولكنهم كانوا يحتاجون إلى المثل الأعلى الذى لا تستطيع دولة غير الولايات المتحدة أن ترفعه قبل العيون . فلو أنهم كانوا « طعّموا » بهذا المثل الأعلى لنهضوا إلى الحرب للحيلولة بين إيطاليا والعدوان على الحبشة .

أصحيح هذا ؟ إذن فلننظر إلى عدوان اليابان فى سنة ١٩٣٧ على الصين !

إن هناك معاهدتين تحظران هذا العدوان ، إحداهما ميثاق عصبة الأمم ، ولم توقعه الولايات المتحدة ، والأخرى معاهدة الدول التسع المعقودة فى سنة ١٩٢٢ وقد وقعتها الولايات المتحدة والصين أيضاً ، كما وقعتها اليابان وإيطاليا وبلجيكا والبلاد الواطئة والبرتغال وفرنسا وبريطانيا . وفيها تعهد الموقعون جميعاً باحترام « كيان الصين الإقليمى والإدارى » و « سيادتها »

وفى سنة ١٩٣٧ اجتمعت العصبة فى جنيف لتمنع اليابان من العدوان بمقتضى ميثاق العصبة ، فلم تنته إلى شىء ما يمكن أن يسمى عملا ، ومضت اليابان فى سبيلها .

وفى تلك السنة نفسها — ١٩٣٧ اشتركت الولايات المتحدة فى مؤتمر من تسع دول

عقد فى بروكسل لنفس الغاية، أى صد اليابان عن العدوان، وقد حفل المؤتمر بالخطب ثم تأجل ولم ينته إلى شىء يمكن أن يسمى عملا، ومضت اليابان فى سبيلها.

فأنا لهذا أسأل جادًّا:

كيف يستطيع أحد أن يعتقد أن عجزت الولايات المتحدة عن فعله فى بروكسل كانت خليقة أن تكون قادرة عليه ومستعدة له فى جنيف؟

إن التعهدات الدائمة لا تؤدى فى كل حال إلا إلى ما يمكن أن يوصف بأنه الغدر وفقدان الشرف. وقد قطعنا على أنفسنا، فى تاريخنا، ثلاثة تعهدات دائمة بارزة لدول أجنبية، وكانت نتيجتها جميعاً مبعثاً للارتباك والأسى.

ا — فى سنة ١٧٨٨ وقعنا مع فرنسا معاهدة «تحالف» وكانت هذه هى معاهدة «التحالف» الوحيدة التى وقعناها. وقد تعهدت فرنسا بمقتضاها أن تحارب من أجل استقلالنا عن بريطانيا، وقد وفت فرنسا بعهدها ووفقت فيه. أما نحن فقد تعهدنا «أن نضمن إلى الأبد، وضد كل الدول الأخرى» الممتلكات الفرنسية فى أمريكا. ومالبثت بريطانيا أن هاجمت هذه الممتلكات، وفى هذا الوقت عينه عقدنا نحن معاهدة تجارية مع البريطانيين. أما معاهدة «التحالف» التى كان علينا بموجبها أن ندافع عن جزر الهند الغربية الفرنسية ضد الأسطول البريطانى، فقد صارت فوق ما نقوى على احتماله، ففى سنة ١٧٩٨ نقضناها وألغيناها بقانون أصدره المؤتمر (الكنغرس) وبغير موافقة فرنسا.

ب — فى سنة ١٨٨٢ وقعنا معاهدة مع كوريا تعهدنا فيها باتخاذ تدابير دبلوماسية إذا عاملت دولة ثالثة كوريا معاملة تنطوى على العدوان. وفى سنة ١٩٠٥ عاملت اليابان كوريا معاملة عدوانية على التحقيق وذلك بأن غزتها وفتحتها وفى سنة ١٩١٠ عاملتها اليابان معاملة عدوانية على التحقيق كذلك، بأن ضمتها. فهل اتخذنا تدابير دبلوماسية ضد اليابان؟ لم نصنع شيئاً على الإطلاق.

ج — فى سنة ١٨٤٦ وقعنا معاهدة مع كولمبيا تعهدنا فيها بأن «نضمن» «سيادة» كولمبيا على برزخ بناما، وكان هذا التعهد نافذاً تماماً فى سنة ١٩٠٣. وفى تلك السنة قامت ثورة مدبرة فى البرزخ، فهل ساعدنا يومئذ كولمبيا على استرداد سيادتها على البرزخ؟ كلا، بل فعلنا نقيض ذلك إذ استخدمنا قواتنا المسلحة لمنع كولمبيا من أن تسترد هى سيادتها على البرزخ، وانتهينا من جراء ذلك بأن دفعنا لكولمبيا غرامة على سبيل الاعتذار مقدارها

٢٥،٠٠٠،٠٠٠ ريال . واعترفنا بأننا « فى ظروف جديدة » نقضنا التعهد الذى قطعناه فى « ظروف سابقة قديمة العهد » .

وأنا أرى أن الولايات المتحدة ليست دون غيرها من أمم العالم حرصاً على الوفاء بما تعد . فإذا كانت الولايات المتحدة تخلف وعدها « إذا تغيرت الظروف والأحوال » فإن كل أمة أخرى لا يستغرب أن تفعل ذلك.

حكم البوليس الدولى

على أنى أعرف أن كثيرين يقولون :

إن الأمم قد تغيرت أحوالها الآن ، وتعلمت ما لم تكن تعلم . فقد خربت لندن من الجو، وستضرب مدينة كنساس من الجو، والعالم الآن وحدة ، وكل امرئ يرى أنه لابد لنا الآن من ضمان كلى للأمن ومن قوة بوليس دولية . وستحافظ الأمم من الآن فصاعداً على وعودها — وإلا أكرهها البوليس الدولى على الوفاء .

والرد على هذه الحجة حاضر . وسيكون ردى أن أسرد حكاية أستونيا ولاتفيا وليتوانيا وهى من دول البلطيق .

فى سنة ١٩٢٠ اعترفت روسيا باستقلال هذه الدول ، وفى سنة ١٩٢١ قبلت هذه الدول الثلاث كلها فى عصبة الأمم ، وفى سنة ١٩٢٢ اعترفت الولايات المتحدة باستقلالها وسيادتها التامة . واليوم تقول روسيا أنها ستضمها .

ولا تزال عصبة الأمم موجودة . وما انفكت كل تعهداتها وارتباطاتها قائمة وملزمة لأعضائها ، وكذلك بريطانيا ، وكندا ، وأفريقية الجنوبية ، وأستراليا ، وزيلندة الجديدة ، وكذلك السويد، وكثير من دول أمريكا اللاتينية وفرنسا أيضاً .

وتقضى المادة العاشرة من ميثاق العصبة على كل هذه الدول بأن « تحافظ » على استقلال دول البلطيق وتصون «سيادتها» . وقد تعهدت الولايات المتحدة بمقتضى ميثاق الأطلسى الذى اشترك فيه الرئيس روزفلت بما له من سلطة تنفيذية ، تعهداً لا يحده زمن ما ، فهو أبدى ، بأن تحافظ على « حق جميع الشعوب فى اختيار نوع الحكومة التى تؤثر أن تعيش فى ظلها » .

فلنفرض إذن أن عصبة الأمم والولايات المتحدة نظمتا قوة بوليس دولى ، فإذا كان للتعهدات السابقة أية قيمة ، وإذا كانت فكرة البوليس الدولى لها أية قوة ، أو تنطوى على إخلاص ، فإنه يجب فى اليوم الذى تضم روسيا فيه دول البلطيق أن تنزل قوة البوليس الدولى على الساحل الشرقى لبحر البلطيق ، وتقمع وتسحق الجيش الأحمر الروسى .

فمن ذا يظن أن هذا سيكون؟ من ذا الذى يرى أن البرلمان البريطانى أو الكونغرس الأمريكى سيفتح اعتمادات لهذا الغرض ؟

إن من الممكن أن نتصور أن يمنع البوليس الدولى الحروب الصغيرة بين الدول الصغيرة ، ولكن مثل هذه الحروب — كالحرب بين بوليفيا وباراجواى — لا تضر العالم شيئاً يذكر ، وإنما قامت الحروب الكبرى فى تاريخ العالم بفعل الدول الكبرى . وسينزع سلاح ألمانيا واليابان فى نهاية هذه الحرب ، وستكون الدول الكبرى الباقية هى روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة ، ليس إلا ، فهل هناك رجل يعتقد فعلا أن أية واحدة من هذه الدول الثلاث ستوافق على إنشاء قوة بوليس دولية قادرة على إخضاع جيشها القومى وأسطولها وسلاحها الجوى ؟

من المحقق أن روسيا ، وهى شيوعية ، تعيش فى خوف دائم من « التطويق » ومن أن « تخنقها » الدول الرأسمالية ، لن تقبل فكرة البوليس الدولى الذى تسيطر عليه وتسيره حكومة عالمية زمامها بيد هذه الدول ولهذا السبب وحده — إذا لم يكن لغيره — لن تقوم أية حكومة عالمية ذات قوة من البوليس الدولى قادرة من تلقاء نفسها على الاحتفاظ بالسلام فى كل مكان وعلى الدوام . ولن تكون هناك أية أداة للسلام العالمى تعمل من تلقاء نفسها بدقة الآلة فى حيثما يظهر ما يهدد بالحرب فتختفى الحرب من الأرض. وليس فى وسع الولايات المتحدة أن تنام مطمئنة على صدر حلم كهذا، فإن عليها أن تختار اختياراً عملياً وهى مفتوحة العين ، وعليها أن تأخذ إما بنظام من المحالفات التى تخلق الحروب بما تثير من محالفات ضدها ، وإما أن تأخذ بنظام اتحاد عالمى ليست له أية سلطة سوى هذا :

أن يحاول بالمشاورة المشتركة الدائمة أن ينمى الشعور بوحدة العالم التى تستطيع وحدها أن تثمر فى النهاية رخاء العالم وسلامة العالم .

نظام عملى للسلام :

رأينا فى نصف الكرة الغربى ما يمكن أن يعمل بهذه الطريقة ، فإن المؤتمرات الدولية الدورية من الدول الأمريكية التى اتخذت من اتحاد الجامعة الأمريكية مكتباً مركزياً دائماً لها ، لم تكن لها أية سلطة إلا ما يكون بفضل المشاورة والنصح ، وتأمل النتائج .

من سنة ١٨٩٠ إلى الآن ، نما شيئاً فشيئاً بين الجمهوريات الأمريكية شعور بالوحدة فى نصف الكرة وتصميم على توطيد

السلام فيه منقطع النظير فى التاريخ . ولدينا فى هذا النصف من الكرة نظام سلمى ليس أنجح منه ، وأنا أرى أن من واجبنا ومن مصلحتنا أن نوسع نطاق هذا النظام حتى يشمل العالم .

وهذا من مصلحتنا لأنه ما لم يكن هناك اتحاد عالمى يتناول علناً مسائل العالم الاقتصادية والسياسية ، فستنشأ المحالفات والمحالفات المضادة لها ، وتمزق العالم مرة أخرى وسنرى تجديداً فى صور أشد للقيود الحكومية على التجارة والثروة الدولية التى جعلت الهبوط الأخير لا علاج له على الإطلاق إلا بالاتفاق الحكومى المصطنع على التسلح كرة أخرى فى نطاق عالمى جديد .

إن العالم ليس واحداً إذا اعتبرنا الثقافة أو الدين أو ضروب الحكومات ، ولكن من الجلى أنه واحد فى الشئون الاقتصادية ، وفيما يرتبط بها من الرخاء أو الضنك . وقد أعلن وزير خارجيتنا المستر كوردل هل هذه الحقيقة ، وكان فى إعلانه هذا أعلى لساناً وأعظم توفيقاً من أى سياسى آخر فى العالم . فقد رأى بوضوح أنه لا سبيل إلى المستوى الأعلى من الرخاء لدولة ما ، إلا برخاء الأمم جميعاً ومعاً ، ورأى كذلك أن السلام الحربى عسير المنال ما بقى العوز واليأس ، أو كما قال أوتو مالرى بحق : « إن السلام ينبغى أن يكون مما يطاق، إذا أريد له البقاء » .

على أنى أكرر — وأؤكد ما أكرر — أن قيام اتحاد عالمى لا ينبغى فى حال من الأحوال أن يمنع الاتفاقات الخاصة بين الدول لأغراض خاصة مبينة على وجه التفصيل وإلى آجال محدودة . وهذه ضرورية . وأعود فأقتبس من كلام مالرى قوله فى هذا الصدد : « إن طريق الإخفاق المحقق هو الاعتماد على الرأى القائل بأن أمم العالم يجب أن تحمل على الاتفاق على أمر واحد قبل أن تشرع أية واحدة منها على عمل شىء ما » .

فما تعمل كل الأمم معاً ، فى أى طارئ معين ، كما أظهر تاريخ عصبة الأمم مع الأسف . ومن أجل هذا كان من الضرر ، أن تكون الأمم الراغبة فى العمل ، حرة فى العمل .

ولهذا لا أحب أن يفهم أحد مما قلت عن المحالفات العامة أنى أعترض على الاتفاقات الخاصة مع بريطانيا أو روسيا ، أو معهما جميعاً ، لآجال محدودة وأغراض معينة يمكن إذاعتها كلها بجلاء والدفاع عنها بنجاح أمام محكمة الاتحاد العالمى .

فهل يسمح باتفاق لإبقاء ألمانيا واليابان منزوعتى السلاح زمناً ما ؟ أو اتفاق يعمل أطرافه على إنماء التجارة والشعور الحسن

بين روسيا والدول الواقعة على حدودها الغربية، وبذلك يمكن أن يقل ضغط الإكراه الروسى على تلك الحدود ؟ أو اتفاق لاستخدام الشيوعية الروسية « ورأسمالية » بريطانيا والولايات المتحدة فى مجهود تعاونى لإكساب شعب الصين الرخاء لخير العالم أجمع ؟ أو اتفاق يعقد فى طارىء من الطوارىء وفى أحوال معروفة لحماية أمة بريئة من النهب، يبقى ما بقيت الظروف أو الطارىء ؟ لم لا ؟.

أما اتفاق يعقد ويمنح الإقرار والحماية الأبديتين من أمريكا لكل الحدود الموجودة لإمبراطوريتى روسيا وبريطانيا ضد أى محاولة من الصين مثلا لإخراج بريطانيا من الصين فى هونج كونج، أو إخراج روسيا من الصين فى إقليم منغوليا ؟ فلا !.

مثل هذه الاتفاقات يجب أن ترفضها الولايات المتحدة لا لأسباب أدبية فحسب بل كذلك لسبب عملى بحت. فإن نشدان السلام من طريق إقرار كل المواقف الدولية الموجودة ومحاولة « تجميد » العالم تحت سيطرة تحكمية عرفية من الدول الثلاث الكبرى الباقية لا يمكن أن ينجح. وقد حدث فى مثل هذه الظروف فيما مضى أن تخلص العالم من السيطرة على بحر من الدماء والآلام، وسيظل يفعل ذلك فى مثل هذه الأحوال.

لقد وضع الدكتور كارلوس مارتنز سفير البرازيل فى الولايات المتحدة. المسألة بحذافيرها وضعاً مقنعاً حيث قال :

قال إن الدول الكبرى لا يستطيع عملها أن يثمر سوى الحروب العالمية إذا هى لم تراع فيما تفعل سوى نفسها. ولكنها تستطيع أن توجد السلام إذا هى تعاونت مع نظام عالمى قوامه الحرية. وليس فى وسعها بغير ذلك أن تفوز بالثقة والإقرار والتأييد من بقية العالم.

وأنا أنشد للولايات المتحدة الشرف — والمزية — المستفادين من أن تكون أول دولة عظمى تدرك هذه الحقيقة أتم إدراك، وتعمل وفقها. وقد كففنا عن التجبر والإعنات فى هذا النصف من الكرة، فلماذا نشرع فى إعنات الآخرين ؟

لا محالفات، بل اتحاد عالمى يعمل لزيادة ثروة العالم وتوطيد سلامه. ويجوز عقد اتفاقات خاصة من أجل ظروف خاصة فى طوارىء خاصة يكون العدل فيها بيناً، ويفحص الاتحاد العالمى ما تنطوى عليه هذه الاتفاقات من العدل ويوجه عقل العالم اليها، وتقوم الولايات المتحدة — التى لا تبغى إستعماراً ولا تعتدى — بتغذية هذا العقل وتزويده بالأمل والقوة والنشاط، وهو ما لا تستطيعه إلا دولة كبرى هذه صبغتها.

ولا ينبغى أن نصنع أقل من ذلك فيما أرى — ولا أكثر.

« حادث يحـــدث كل يوم ،
ولـكنه سـيظل دائماً معجزة »

عينٌ لعينٍ لعلّ العمى يبصرون

فيليب هاركنس

ملخصة عن مجلة « كوليير »

فى أحد فنادق نيويورك ظل شاب كندى يترقب أن يحادثه طبيبه بالتليفون ، ذلك أنه لن يعود أبداً فيبصر إلا أن يوفق إلى العثور على قطعة صغيرة حديثة النزع من قرنية بشرية أخرى تطعّم بها قرنيته .

وحجم القرنيـــة يقارب حجم « ذات القرشين » وتحدوْدب غِلالتها الشـفافة الرقيقة على حدقة العين وإنسانها كزجاجة الساعة .

وليس من اليسـير الحصول على عين لا يزال بها ذَماء من نعمة نورها الفانى ، إذ يجب أن تؤخذ من شخص فارقته الروح لساعتها ، قد أوصى أن توهب عينه لضرير عسى أن يبصر ، أو من شخص قدّر عليه أن تستأصل عينـــه من أذى أصابها لم يؤثر فى القرنية . وقد يؤتى بهـا على متن الهواء من مدينة أخرى إذا طمرت فى الثلج بعناية ، وإن كان الأطباء يؤثرون أن لا يمضى عليها أكثر من ١٢ ساعة قبل الاستعمال .

وفى النهاية جاء النبأ أن الطبيب قد عثر على طُعم صالح من قرنية ، فخفق قلب الشاب بأمل هائل . ففى الساعات القلائل التاليـة يستكنّ الجواب على السؤال الذى عذّبه سنين : ترى هل يعود فيبصر من جديد ؟ ترى هل تنجح هذه العمليـة التى هى أدق عمليات العيون ؟

تمت العملية الأولى فى عشرين دقيقة ، وبعد أسبوعين أزيل الضماد وتمت المعجزة ! فمن خلال الكوّة الصغيرة الصافية التى فتحت فى إحدى عينيـه استطاع أن يتبين أصابع الجراح مرفوعة أمامه ، والابتسامة المشرقة على وجه الممرضة .

واستجمّ المريض شهراً ، وأعيدت العملية فى عينه الأخرى .

وبعد ثلاثة أشهر تلقى الجراح فى عيد الميلاد بطاقة من كندا جاء فيها : « الساعةَ اجتزت امتحان الالتحاق بسـلاح الطيران الملكى الـكندى » .

إن الجراح الذى أجرى هذه العملية ، وهو الدكتور رامون كاستروفييجو ، قد أتم قبلها ٥٠٠ تطعيم للقرنيـة فى مركز كولومبيا الطبى بنيويورك ، نجح منها حوالى ٩٠ فى المائة .

وفى كل حالة ارتدّ فيها البصر بتطعيم القرنية كانت النتائج تبدو كالمعجزات للمريض الكفيف ولعامة الناس . ولقد شهدت أحد عمال أحواض السفن وقد عاد إلى طبيب من أطبـاء العيون ليفحص بعـد بضعة أسابيع من عملية تطعيم موفقة ، وهو يقول : « هيه ، حين أصابتنى تلك الشظية من الصلب ، قلت لنفسى كل شىء قد انتهى ، ولن أعود فأبصر بهذه العين . وكذلك ظن جميع من فى الأحواض ، لكن الطبيب الذى هنالك كان خبيراً بتطعيم القرنيـة ، فانظر إلى عينى الآن » .

، نظرت فإذا فى وسط العين على إنسانها مباشرة مربع صغير شفاف . قال لى عامل الأحواض : « هذه نافذتى . إنى لأبصر من خلالها إبصارى بالعين التى لم تصب ، لذلك يتردد علىّ الإخوان طول الوقت فما يزيدون على أن يحدقوا فىّ ويهزّوا رؤوسهم . مرحى أيها الطبيب ، إنهم يعدّونك صانع معجزات » .

منـذ عشرة أعوام كان تطعيم القرنيـة معجزة حقاً ، ثم بدأت طائفة صـغيرة من أطبـاء العيون — تيودور توماس بإنجلترا ، وفيلاتوف بروسيا ، وإيلشنج فى تشيكوسلوفاكيا ، ورامون كاستروفييجو بالولايات المتحـدة — يقطفون الثمر من تجارب السنين الطوال .

لقد ظلّ مثل هـذه العملية حلم البشر على مرّ القرون . ففى سـنة ١٧٩٨ حاول الجراح الفرنسى بلير دى كانسى أن يخيط قرصاً من الزجاج فى قرنيـة غائمة من مقلة رجل كفيف فلم يفلح ، إذ لم تستطع العين البشرية أن تصبر على هـذا الجسم الغليظ . وفى خلال القرن التاسع عشر جرّب الأطباء التطعيم من عيون الحيوان ، فباءت هـذه التجارب بالخيبة أيضاً ، إذ تلاشى الطعم الحيوانى بالتدريج . على أن الأطباء أبوا أن ينهزموا ، فبدأوا العمل المعقد الدقيق لاستعمال عيون البشر فى التطعيم .

واليوم يكاد يكون فى كل مدينة كبرى بالولايات المتحدة أطباء عيون يمارسون هذه العملية الشاقة . وفى مستشفى مانهاتان للعين والأذن يقوم أحد أساطين الجراحة فى نيويورك بتعليم زملائه هـذه الطريقة كى يستطيعوا إجراء العملية للجنود الذين كفت أبصارهم فى الحرب . هذا ، ويتولى أطبـاء العيون الذين درسوا فى الولايات المتحـدة

تطعيم القرنية بنجاح فى البرازيل والأرجنتين وكوبا وبناما .

إن تطعيم القرنية لا يبرئ من كل أنواع العمى ، فإن أقل من ٢٠ من بين مائة أعمى تنزل بقرنياتهم آفات ، يمكن شفاؤهم بهذه العملية .

ومع أن تطعيم القرنيـة يمكن أن يعد عملية باهظة التكاليف ، فإن أبرع أطباء العيون فى نيويورك يجرونها بلا أجر للعميان الفقراء فى أشهر مستوصفات العيون بالمدينة . هذا على أن ندرة الطعم قضت على الأغنياء والفقراء على السواء أن ينتظروه زمناً طويلا ، فإذا ما وجدت فى النهاية قرنية شفافة أمكن فى بعض الأحيان أن يتخذ منها ثلاثة طعوم .

إن هـذه العمليـة آية من آيات الفن الدقيق ، المليمتر فيها هو وحدة القياس ، وكل شىء فيها يتم على نطاق يكاد من صغره يجل عن التصديق . وتبدو آلاتها كمجموعة محكمة الصنع من آلات التطريف (المانيكير) ، والمشابك التى تعلق بها الأجفان تدق حتى سميت « مشابك البعوض » .

وفى هالة من الضوء يلقيها مصباح صغير على العين الـكفيفة الهامدة المخدرة ، يترفق الجراح فى تعليق أجفانها بمشبك البعوض ثم يمسكها حيث هى بخيط من حرير .

ويفحص الجراح من خلال نظارته المـكبرة قرنية المريض الغائمـة فيقول : « أظننا سنحتاج إلى خمسة مليمترات » أى قطعة من القرنية تساوى خمس بوصة مربعة . إن الطعم يكون دائماً بالغ الصغر ، إذ ربما ذهبت عين المريض لو أزيلت القرنية كلها .

وتلتقط أنامل الطبيب من تحت قفازها آلة تنتهى بمضعين دقيقين متوازيين على هيئة جرارات مزدوجة فى مركبة جليد ، وينزلق هذان المضعان على قاعدة يمكن أن يثبتا فيها على البعـد المطلوب . وبواسطة مسطرة معقمة يثبت الطبيب الحدين على بعد خمسة مليمترات ، وبذلك يستطيع أن يقطع قطعا بهذه المساحة ، لا يخطىء فى جزء من ألف جزء من البوصة ، من عين المريض ثم من العين الموهوبة .

وأول ما يفعل فى القرنيـة المعتمة أن يقطع برفق أضلاع المربع ذوات المليمترات الخمسة ثم يأخذ إبرة فيخيط بها طرفى القرنية من حول المربع المرسوم ، وينسج عليه شبكة من الخيوط فضفاضة مسترخية محكمة بحيث إذا شدت فيما بعد أمسكت الطعم الصغير ثابتاً فى مكانه .

ويسود غرفة العمليات المتألقة هدوء لا يقطعه إلا أزيز المروحة ، ونقترب نحن المتفرجين شيئاً فشيئاً من الطبيب وهودائب

يعمل فى العين الغائمة بمباضع ومقصات دقيقة حتى يسلخ المربع الصغير منها ويخرجه .

ثم يعود إلى العين الموهوبة فينزع منها بعناية قطعة تطابق المكان المهيأ فى عين المريض . إنها عين لعين . ثم يرفع هـذه القطعة الصغيرة الشفافة من القرنية بملوق دقيق ويُزْلقها فى المربع الأجوف فإذا هى تطابقها . يشد شبكة الخيوط الحريرية شداً محكما من فوق قطعة الطعم ، ثم يعقدها بعناية على أحد الجانبين ، وينتهى كل شىء .

لقد أصبح للمريض الآن نافذة من قرنية شفافة يتألق خلالها الضوء إلى الشبكية ، وكثيراً ما يشرق هـذا الضوء والمريض لم يزل على النضَد ، فتصعد بغتة صيحة نشوى من تحت الملاءات والمناشف : « أستطيع أن أرى ! » .

ولـكن مهما يكن الأمر فإن عيون المريض تعصب بضماد حريرى أسود ثم يظل مستلقياً على ظهره عشرة أيام ، ساكن الرأس تمام السكون . وفى اليوم السادس تنزع الغرز ، وفى اليوم الرابع عشر يرفع الضماد . فإذا تم كل شىء على خير ما ينبغى عاد يبصر من جديد .

إن عملية تطعيم القرنية هى الآن حادث يحدث كل يوم ، ولـكنها مع ذلك ستظل دائماً معجزة .

جمعية الفجر

منذ ثلاث سنوات ألف تيودور أولسن « جمعية الفجر » فأصبحت المؤسسة الوحيدة التى تعمل كسوق لتبادل ما يمكن الحصول عليه من القرنيات لإجراء هذه العملية الشاقة . ولدى الشركة سجل بأسماء العميان الراغبين فيها ، لـكن ما يحصل عليه منهـا أقل دائماً من المطلوب . وعلى الطالبين أن يرفقوا بمطالبهم شهادة من طبيب عيون معروف بأن التطعيم متوقع له النجاح .

وهناك مئات من التعهدات موقعة من أشخاص يتبرعون بعيونهم بعد الموت عن طريق هـذه الجمعية ، ولـكن الحاجة ماسة إلى ألوف . ويفوض أى طبيب معالج بمقتضى تصريح يحمله أن يشرف عقب وفاة المتعهد على إرسال القرنيات إلى جمعية الفجر رقم ٨٢٥ بشارع بوش بسان فرنسيسكو كاليفورنيا .

[كارل ترويت فى مجلة « ذس ويك »]

إستعمل عقلك الباطن إستعمالاً واعياً

روبرت اوپدجراف
مؤلف كتاب «العقل الباطن فى التجارة»

ملخصة عن مجلة «فوربز»

لعله قد اتفق لأكثرنا أن ركب قطاراً فلم يجد فيه من يحدثه، أو جلس فى حفلة موسيقية أومحاضرة، وهو لاينصت أو يعى بل تتوالى الخواطر فى ذهنه بعضها آخذ برقاب بعض. هــذا هو العقل الباطن فى نشاطه، مغتنما فرصة الاسترخاء فى العقل الواعى كى يعمل عمـله. والعقل الباطن يستطيع أن يفكر أحكم تفكير فيما يهمنا من الشئون وأن يحل أعقـد مشكلاتنا. وهو يستعين حين يعالج شئوننا بقدر من الحكمة والتجربة يفوق كثيراً ما يتاح منهما للعقل الواعى.

وليس ثمة ريب فى أن هناك وقتاً يجب أن ننصرف فيه كل الانصراف إلى الاهتمام بمشكلاتنا. ولـكن هناك وقت كذلك، ينبغى لنا فيه أن ننصرف عن ذلك إلى التدخين أو اللهو، لينهض العقل الباطن بقسطه من العمل، فنحن على كل حال إنما نبتغى العاقبة لا مجرد النشاط.

وقد عنى «فهر» العالم الفرنسى بدراسة أخلاق معاصريه فى أثناء العمل، فقال إن ٧٥ فى المائة من العلماء قد ذكروا له أن مكتشفاتهم الخطيرة إنما أميط لهم اللثام عنها فى غير ساعات إكبابهم على البحث العلمى.

ومعظمنا ينهك عقله الواعى بالعمل، فيفضى هذا إلى أن يصير تفكيرنا وأحكامنا أقل قوة وسداداً مما ينبغى. وعلة ذلك أننا نعتمد على شطر من عقولنا، وأقل من شطر الخبرة والتجربة اللتين حشدتهما الحياة لنا. فتكون العاقبة أننا نسلب أنفسنا ساعات كثيرة من الدعة والراحة، مع أنها هى نفسها التى تزيد تفكيرنا حدّة. ذلك بأن الاسترخاء هو مفتاح باب العقل الباطن. فالعقل الباطن يكون أمضى ما يكون نشاطاً حين نقبل على عمـل نحتفى به ونؤثره. والعقل السعيد الراضى هو العقل السليم، وهو عقل فيه قوة دافعـة إلى العمل. وقد أفرغ الـكاتب هنرى دافيد ثورو هـذا المعنى فى قوله: «العامل المقتدر هو من لا يزحم يومه بالعمل».

فكيف نستطيع أن نضع متعمدين خطة لاستخدام العقل الباطن، والإفادة من قوته فى إحكام القرارات التى نتخذها والأحكام التى نصدرها، وإمدادنا بأفكار جديدة جريئة وصور ذهنية مبدعة؟

إن عمل التفكير يشبه شبهاً غريباً عمل الطبخ. وإن تكن الحرارة المسلطة هى الأصل فى الطبخ، إلا أن بعض الطعام لا يطيب إلا إذا كان طبخه وئيداً طويلا. ولذلك صنعت مواقد فيها أفران لا تمسها النار فتتخذ لإنضاج الطعام «بالحرارة المختزنة».

فالعقل الباطن فرن لا نار فيه، نستطيع أن نسلك فيه مشكلاتنا لينضجها «الفكر المختزن» كما يصح أن نسميه. وإذا عمدنا إلى أن ننضج كل ألوان الطعام العقلية بعقولنا الواعية، فنحن إنما نحرق طاقة العقل سدى، وليس هذا فحسب بل نحمل بذلك أجهزتنا العصبية أعباء باهظة أيضاً.

وهناك قاعدة تصلح فى كل آن: ينبغى لك أن تسلم مشكلاتك إلى عقلك الباطن بعد أن تجمع جميع عناصرها من حقائق وأرقام وآراء، وتفوض إليه أمرها تفويضاً شاملا. فعمل «الطبخ العقلى» يجب أن يبدأ بحصر الذهن فى مادة هذه المشكلات مدة كافية، مع العناية الشديدة، فإنك إن تفعل ذلك أوقدت لها خير نار منضجة يتيحها لك العقل الواعى.

وهذه ثلاث خطط لكى تبد هذا الحصر. أولاها: أن تأخذ ورقة وتدون عليها المشكلة التى تواجهها مسجلا أهم نواحيها. فإذا كان للمشكلة وجوه تأييد ووجوه معارضة، فاكتبها جميعاً فى عمودين متوازيين، ثم انزع الورقة من الدفتر ومزقها وانسها. ثم اعمد إلى عمل تريد أن تعمله، يتيح لعقلك أن يستريح.

وأما الخطة الثانية فهى أن تتحدث فى مشكلاتك أو حالتك، مع شركائك أو أهل أسرتك، منقباً فى كل ناحية من نواحى الموضوع. ثم ابحث فى التفاصيل ولا تكتف بالمبادىء العامة، ولكن لا تحاول أن تتخذ قراراً ما. واقطع حديثك فجأة، واترك المسألة جانباً «لتنضج».

وبقيت الثالثة: أن تدرس الموضوع درساً واعياً حتى تحس أن عقلك قد أ... الإعياء، وعندئذ، انبذه من عقلك كل النبذ، واذهب فاستمتع برياضة ما، كصيد السمك أو قيادة السيارة، وإذا كان الوقت ليلا، فأو إلى مضجعك ونم رخىّ البال.

فى ليلة من ليالى أكتوبر سنة ١٩٢٠ كان فردريك جرانت بانتنج يعد محاضرة لليوم التالى، وكان بانتنج جراحاً كندياً شاباً لا يكاد يكسب من عمله شيئاً، فاضطر

إلى أن يدرس ليقيم أوده ، وكان موضوع محاضرته مرض السكر . فقضى ساعة بعد ساعة مكباً على قراءة ما كتب فى هذا المرض المخيف ، حتى ضل عقله فى تيه النظريات المتضاربة وحوادث المصابين وأوصاف التجارب التى أجريت على الكلاب . ولما بلغ منه الإعياء أوى إلى فراشه .

وفى الساعة الثانية بعد انتصاف الليل استيقظ وأضاء المصباح وكتب ثلاث عبارات فى مذكرته . قال : « اربط قناة الغدة الحلوة من غدد الكلاب ، ثم انتظر ستة أسابيع إلى ثمانية أسابيع حتى تحول ، ثم استأصل بقيتها واصنع منه خلاصة » . ثم عاد إلى فراشه ونام .

وهذه العبارات السحرية الثلاث هى التى أفضت إلى كشف الأنسولين . فعقل بانتنج الواعى كان قد تعلق بموضوع من أعقد موضوعات الطب الحديث ، فأنجز عقله الباطن العمل .

وقد لا يحتاج عمل الإنضاج بغير نار إلى أكثر من ساعات حتى يطيب الطعام ، كما وقع لبانتنج ، وربما استغرق أياماً أو أسابيع . وقد يكون من الضرورى أحياناً أن يعاد استخدام النار استخداماً مقصوداً فترة بعد أخرى ، لكى يستمر الطبخ ، ولكن يكاد يكون من المحقق دائماً أن ينجز العقل الباطن ما يوكل إليه ، وغالباً ما ينجزه بأسرع مما ينجزه العقل الواعى وحده إذا ما وكل الأمر إليه .

وتكون النتيجة التى تحصل عليها أفضل إذ يبذل فى الوصول إليها ، كل ما يجتمع لأحدنا من تجارب الحياة ، وما تنطوى عليه من أشياء كثيرة نسيها العقل الواعى منذ أمد بعيد . وقد أفضى هنرى فورد — يوم بلغ الخامسة والسبعين من عمره — بحديث أشار فيه إلى « الغريزة » فسأله محدثه : « ما هى الغريزة؟ » فأجاب فورد: « هى على الأرجح خلاصة التجربة السابقة والمعرفة التى تختزن لكى تستعمل فيما بعد » .

تعود أحد معارفى أن يجلس فى مقعد مريح فى مكتبه مدة ثلث ساعة أو نصف ساعة كل يوم ثم يأخذ كتاباً يطالع فيه وينسى كل هموم عمله وقد قال لى : « لم أجلس فى هذا المقعد قط وأنا أنوى أن أستحدث فكراً ما ، ولكن حين يسترخى عقلى فعندئذ تبدأ الأفكار تنثال على من تلقاء نفسها » .

وقد قال العالم الطبيعى الألمانى المشهور فون هلمهلتز بعد تمحيص إحدى المشكلات من جميع نواحيها : إن الأفكار المباركة كانت تنثال على بغتة لم أبذل لها جهداً كأنها إلهام . ولكنها لم تخطر لى قط وعقلى

مجهد ، أو وأنا أعمل مكباً على مكتبي » .

ويروى أن ديكارت الرياضى الفيلسوف الفرنسى المشهور ، كشف كشوفه العظيمة وهو نائم فى فراشه فى الصباح .

فإذا كنت لا تستعمل عقلك الباطن استعمالا مقصوداً واعياً فعسى أن يكون قد أدركه شىء من الكلال ، وقد تضطر إلى تجديد المحاولة مراراً قبل أن يستطيع تأدية عمله . فالتفكير بالعقل الباطن يقتضى وقتاً وراحة وشعوراً بالفراغ والدعـة . ولعل هذا هو معنى القول السائر : « فى ساعات الفراغ سعد وبركة » .

الحياة تبدأُ فى السبعين !

* بين السبعين والثالثة والثمانين من عمره أضاف فندربلت الثرى الأمريكى مائة مليون دولار إلى ثروته .

* وفى الرابعة والسبعين من عمره ألف الفيلسوف كانت ثلاثة مؤلفات فى الأنثربولوجيا ، الميتافيزيقا والأخلاق .

* فى الرابعة والسبعين ألف الموسيقى فردى « عطيل » وهى آيته فى فن الأوبرا وفى الثمانين « فالستاف » ، وفى الخامسة والثمانين « أفى ماريا » ، و « ستابات مايتر » ، و « ته ديوم » .

* فى الثامنة والسبعين أنجز لامارك العالم الفرنسى مؤلفه الكبير فى علم الحيوان : التاريخ الطبيعى للحيوانات اللافقرية .

* وفى الثمانين بدأ كاتو الرومانى يتعلم اللغة اليونانية .

* وفى الثمانين أنجز جوته تأليف فاوست

* وفى الثامنـة والتسعين رسم تشن المصور الإيطالى صورته التاريخية للمعركة البحرية المشهورة ، معركة ليبانتو .

فنّان مطبوع

مارك ا. روز

بعث إلىّ جون باجيت ، منذ قليل ، بقصاصة من صحيفة تصدر فى شيكاجو ومعها كلمة تحية . وقد جاء فى هذه القصاصة أن العادة القديمة جرت بأن يجتمع معلمو المدارس العامة فى «ليك فورست» بولاية إلينوى، للاحتفال بعيد ميلاد باجيت — التاسع والسبعين . وقد نشرت الصحيفة صورته مع الخبر ، وأقيم الاحتفال بقاعة جون باجيت بمدرسة جروتون .

وقد رأيت هذه المدرسة ، وهى غاصة بصور منقولة عن فرائد العالم فى الرسم والحفر، وفيها مجموعة حسنة من الأسطوانات لخير ما فى الدنيا من الأصوات (الموسيقية) وقد اشتراها باجيت كلها ، بأكثر من ٩٠٠٠ ريال من مرتبه على الأكثر . وأنا أجترئ على القول بأنه ما من طفل ترك هذه المدرسة فى السنوات الخمس والثلاثين الماضية إلا وهو يعرف كل صورة ، وكل تمثال ، وكل صوت من هذه كلها . وأجرؤ على القول أيضاً أن كل طفل فى هذه المدرسة يستطيع أن يكتب خطا حسناً ، ويحذق الحساب والتهجى .

وأنا أعلم علم اليقين أن جون باجيت يسر هذا لكل منا نحن الذين تعلموا منه منذ أربعين سنة مضت — يسر هذا وأكثر منه . وكثير من الآراء المتقدمة التى تسبق عصرها نبتت فى فصله ، ثم انتشرت بعد ذلك من شاطئ إلى شاطئ . وإنه لمعلم عظيم يكاد يكون من الصحيح أن يقال عنه إنه لم يذهب قط إلى مدرسة .

وقد ولد جون باجيت فى عام ١٨٦٣ بهايلاند بارك بولاية إلينوى على الشاطئ الغربى لبحيرة مشجن ، وكان أبوه حطاباً يقطع الشجر لينقل إلى شيكاجو على مسافة

تقرب من عشرين ميلا . وماتت عنـه أمه وهو فى الشهر الحادى عشر من عمـره ، فكفلته جارة عاقر — مارجريت ريد — وكان زوجها حطاباً أيضاً .

وكان جون باجيت طفلا هادئاً فيـه جهامة ، وقد سموه جونى ريد ، ولما بلغ الثانيـة عشرة انتقل به اللذان ربياه إلى ضيعة فى « أيوا » .

ولم يكن ثم للغلام محل فى الكوخ فقد كان ذا غرفة مفردة ، فكان ينام فى الجرين . وكان شقيا ، فقد كان ريد وامرأته من قوم غلاظ من جزائر أوركنى ، وكانا فظين مع هذا الغلام الإرلندى الصغير ، ولم تكن فيهما رقة له وحنو عليـه ، وكان ريد إذا شرب ينقلب خسيساً رذلا .

وكان الغـلام يمقت العمل فى الضيعة ويحب الكتب ، وكان ريد قد جاء معه بقليل من الكتب من بلده القديم ، ومن بينها كتاب « الرؤساء الأسكتلنديون » وقد حفظه جونى عن ظهر قلب تقريباً . وكان قد أدرك أنه مُتبَنى ، فكان مما يتعزى به أن يقول لنفسه إنه من أرومة أكرم من أرومة ريد ، وأنه سيرتقى فوقهم ويستعلى عليهم .

وكان يقرأ ما يقرأ فى الجرين — فيسد الشقوق بالورق حتى لا يخرج منها ضوء فيعرف من يراه أنه « يبـدد » البترول . وكان يحصـل على الكتب من هنا وههنا بوسيلة ما ، ويعكف عليها فى جد واجتهاد . فقـد صارت له منى وطموح ، واعتزم أن يكون معلماً . واتفق يوماً ، وكان قد ناهز السابعة عشرة ، أن بعثوا به إلى المدينة ... وارين — بحمل من الحنطة ، فسأل فعلم أن هناك مدرسة على مسافة ميلين من الضيعة التى فيها أسرة ريد ، وأن بها حاجة إلى معلم . فتقـدم إلى الامتحان وأداه ونجح نجاحاً باهراً — فيما عدا الهجاء . ولم يخطىء فى الهجاء ، ولكن كان مما يطلب فى ذلك الزمن تقسيم الكلمات إلى مقاطع ، فجاء تقسيمه لها بدعاً ، ذلك أنه لم ير قط كتاب هجاء . فناوله الممتحن كتاباً وقال له : « خذ هذا معك ، وعد إلينا متى حفظته » .

وما لبث الغلام أن حذق تقسيم الكلمات إلى مقاطع ، فعين معلماً بمدرسة بريمر بمرتب قدره ٢٤ ريالا فى الشهر . وكان لهذا ضجة فى أسرة ريد ، ولكنه أصر على ما رسم لنفسه . وفى ذلك الخريف واجـه أول تلاميذه ، وكان كثيرون منهم أسن منه وأكبر أجساماً ، ولكنهم ، كما قال فيما بعد بلهجة المستغرب ، أحبوه فلم يلق معهم عناداً .

وفى ذلك الشتاء سكر ريد مرة ، وسقط عن مركبته ، فانكسرت ساقـه ، فنهض جون باجيت فى الساعـة الخامسة صباحاً ،

واضطلع بأعمال الصباح ، ثم سار ميلين فى الثلج والبرد القارس ، وأضرم النار ، وأدى ما عليه من دروس طول النهار ، وعاد إلى الكوخ وقام بأعمال المساء .

ولما جبر كسر ريد وشفى غادر المعلم الصغير الكوخ واتخذ اسمه الحقيقى — باجيت — وقد تهجاه اجتهاداً وعلى السماع . وبعد أن قضى ثلاثة اعوام فى التعليم فى أقاليم قريبة ، رجع إلى ولاية ألينوى حيث ولد ، وهناك أدى امتحاناً نال فيه الدرجات كلها ، وحصل على شهادة معلم ابتدائى .

وكانت لدى ممتحنه وظيفة خالية تتطلب شاباً قوياً وثيقاً ، وكان التلاميذ قد ثاروا بعلم لهم فأحرقوا صورة له وطردوه .

وظل جون باجيت يعلم بضع سنوات فى المدارس الريفية فصارت له شهرة محلية. وفى سنة ١٨٨٨ طلبت منه مدينة ووكيجان القريبة أن يتولى أمر مدرستها وكانت تسمى « نورث سكول » .

وفيها علم الفرق السادسة والسابعة والثامنة وجملة تلاميذها سبعون . ولما أقيم سنة ١٨٩٣ المعرض العالمى بمدينة شيكاجو ، حرص جون باجيت على أن يستصحب إليه كل سبت سبعة من تلاميذه ليروا عجائبه ، وواظب على ذلك عشرة أسابيع . وخشى أن يتفرقوا ويضلوا فاتخذ حبلا أمسك به التلاميذ وجعل طرفه فى يده هو .

وإلى حجرة جون باجيت فى ووكيجان ذهبوا بى ذات صباح فى منتصف العام المدرسى ، وكان الرأى فىّ أنى أستطيع أن « أتخطى فرقة » . وكان هذا أول رجل معلم ألقاه ، فعرانى شىء من الاضطراب وأنا أتفرس فيه ، وكان ربعة لا بالطويل ولا بالقصير ، وشعره الأسود الكثيف مفروق من الوسط ، وعيناه الزرقاوان خاطفتا النظرة ، وله لحية أنيقة سوداء كالحبر . ولم أكن رأيت من قبل رجلا مثله حسن الهندام نظيفه فى غير أيام الآحاد ، وكان هذا دأب المستر باجيت . وبعد ما علمنا بالقدوة ، فى صمت ، وما أخذناه عنه من أنه ليس من النظرى أن يعنى المرء بهذه الأمور .

وأدرت عينى فى الحجرة فتعلقت أنفاسى ، فقد كانت حجر الدراسة التى رأيتها من قبل عارية موحشة داكنة اللون ، وكان معظم حجر الدراسة فى ذلك الزمن فى أمريكا هكذا ، ولكن هذه الحجرة كانت على خلاف ذلك ، فلم تكن أغطية الأدراج مشققة ولا ملوثة بالحبر ولا كابية غبراء ، بل كانت مطلية باللون الأبيض الناصع كالعاج وكذلك كانت الأبواب والشبابيك ، وكانت النوافذ الجنوبية على جوانبها السرخس وعلى حافاتها النباتات فى القصريات، وعلى كل النوافذ

أستار رقيقة وعلى الجدران المكسوة بالورق الأخضر نحو مائة صورة تبرز من بينها الأكروبول، ونوتردام، وجسر التنهدات، وغيرها من المشاهد المشهورة. وتحت هذا الصف صف آخر من مشاهير الرجال، وهنا وهنا صور من الجص مأخوذة عن تماثيل جميلة هى أول مارأيت من نوعها، وقد علقت على باب الحجرة بالدبابيس عشرات من قصاصات الصحف ورسوم من المجلات الأسبوعية المصورة — رسوم رائعة لجنود يقتتلون بين النخيل فى كوبا، وسفن حربية من «العمارة البيضاء» تطلق مدافعها على سفن إسبانيا، فتالله ما أجمل هذا كله وأعظم ابتعاثه للنفس!

وقد عدت حجرة جون باجيت فى ذلك الخريف أجمل حجرة مدرسية فى الولايات المتحدة كلها، ونشرت صور شمسية لها فى صحيفة «بيت السيدات» التى كانت تحمل على المدارس الأمريكية من جراء ما فيها من الوحشة.

وكان جون باجيت هو الذى مسح الأدراج بيديه وطلاها فى الصيف. وجمع كل هذه الصور بصبر لاينفد، واشتراها أو استوهبها أو استعارها. وما أقل ما كان فى بيوت معظمنا من مظاهر الجمال، فكانت حجرة جون باجيت لى وللآلاف من الأطفال غيرى، أول تعريف لنا بعالم الثقافة والذوق الجميل. ولم يكن يلقى علينا خطباً فى الفن وإنما كان يكتفى بأن يقول لنا إن هذه أعظم الصور والتماثيل التى فى العالم، وإنه ينبغى أن نعرف أسماءها وأسماء مبدعيها على نحو مايعرف المرء أسماء الكتب النفيسة ومؤلفيها. وهكذا تعلمنا ان نعرف هذه البراعات.

اما الباب فكان يعلمنا «التاريخ الحى» كما كان يسميه المستر باجيت. وكان كل يوم يعلق قصاصات تحتوى أهم الأنباء والصور الإخبارية، فنحتشد مفتونين عند الباب فى الاستراحات أو بعد انتهاء اليوم الدراسى ونقرأ القصاصات، ونتأمل الصور، ونلقى الأسئلة. كانت تحدث أحياناً مساجلات، فيأذن لمن يكون أصح جواباً — غلاما كان أو فتاة — أن ينزع ما على الباب فى آخر الشهر ويأخذ القصاصات والصور.

وكان يغلب أن نستمع إلى الموسيقى عصر يوم الجمعة. وكان المستر باجيت يدعو الطلبة الموهوبين من معهد شيكاجو الموسيقى ليعزفوا لنا أو يغنونا. وكانت العادة أن يمهدوا لذلك بشرح وجيز كأن يقول أحدهم: «يوجد فى النرويج رجل اسمه جريج يصنع أصواتاً جديدة جميلة جداً، وهذه إحدى قطعه، وفى وسعكم حين تسمعونها أن تتخيلوا الفلاحين يرقصون فى عرس».

وإذا جـدّ فى الدنيا جـديد ، علمنا به بسرعة . وقد حصل المستر باجيت ، بوسيلة ما ، على صورة من أول الصور التى رسمت بأشعة إكس ، جاءت إلى رقعتنا من الأرض. وفيها تبدو عظام اليد وخاتم على أحد الأصابع. وكنا من أوائل من رأوا الصور المتحركة . وقد اخترع جهاز التصوير السينمائى فى ووكيجان ، وفى سنة ١٨٩٨ أو ١٨٩٩ استطاع المستر باجيت أن يقنع المخترع بوضع جهاز فى الحجر، بعد أن حجب عنها الضوء ، وأن يرينا صوراً للقطر الحديدية وهى تدخل محطتنا ، وعرضاً لملاعب حيوان يجتاز بعض الطرق .

أما فى تدريس المواد الأساسية فكان المستر باجيت دقيقاً محكماً ، وكان ذا اجتهاد وافتنان . ولعله أول من أحصى مائتى كلمة يغلط التلاميذ فى هجائها أكثر مما يغلطون فى هجاء سواها . وقد حفظنا إياها بلا رحمة . وكان يصر على تجويد الخط ، ويعنى عناية عظيمة بالحساب العقلى ، ولا يزال يقذفنا بالمسائل على غير انتظار . ولا يزال يذهب إلى أن هذا خير وسيلة لاختبار الذكاء .

وفى بعض الأيام — عصراً — يقيم سوقاً لبيع الكعك ، والغرض المزعوم من ذلك هو جمع قليل من المال لشراء صور أو أستار جديدة . أما الغرض الحقيقى فكان حمل الأمهات على الحضور والاتصال بالمعلمين . ولم تكن اجتماعات الآباء بالمعلمين قد ابتكرت بعد.

وكنا نغنى أيضاً ، ولا عجب فى ذلك ، ولكنى بعد أن كبرت والتحقت بدار الأوبرا تنبهت فجأة ذات ليلة إلى صوت كنت أغنيه فى المدرسة ! فقد كان المستر باجيت يلقننا أغانى من فاوست ، ومن الفارس الريفى ، ومن مندلسون وشوبرت — لا أغانى الأطفال — وكنا نحب ذلك .

وأرجو أن لا أكون قد صورت هذا المدرس الحسن الهندام المولع بالفن والموسيقى فى صورة فنان حائل اللون . فقد كان المستر باجيت رجلا مِصَكاً مِدَكّاً . وما من مباراة كرة فى فناء المدرسة استطاع أن يصد نفسه عن الاشتراك فيها على الرغم من ثيابه النظيفة، أو كان يضرب الكرة للكبار من الغلمان ليلقفوها، وأحياناً يظهر قوته فيرسلها بضربة إلى ماوراء السور . وكان معنا بعض الغلمان الكبار — وكان عمر أحدهم ١٨ سنة . وكان قد عاد لساعته من الحرب الأمريكية الإسبانية — ولكن ما من أحد منهم كان يستطيع أن يبعد المرمى مثله . وكان المستر باجيت منازلاً لا يغلب عند التراشق بكرات الثلج ، ولم يفته إلا القليل من هذه المعارك، وكان مشّاءا عظيما أيضاً يقطع مسافات بعيدة على قدميه ولا يكلّ .

وقد زاول التعليم ستين سنة ، ولم ينقطع عن التعليم سوى ثلاثة أيام من جراء المرض. وقد قابلته فى ووكيجان منـذ عام فاقترحت عليه أن نزور المدرسة القديمـة ، فوافق ، فناديت سائق سيارة فقال لى : « ألا تحب المشى ؟ »

قلت : « خفت أن لاتكون أنت تحبه ».

قال : « إنى أمشى أحيـاناً من « ليك فورست » إلى بيتى » — ثمانية أميال وهو فى الثامنة والسبعين !

وكان المستر باجيت فى صباح يوم سبت فى الربيع مرتديا ثياب العمل وهو يغرس بعض الشجيرات الصغار فى حديقة المدرسة، فأقبل رجال لهم سمت ، فى السيارات وكلموه ، فلما عرف أنهم أعضاء مجلس إدارة المدرسة فى « ليك فورست » الفنية اضطرب وقال : لو كنت أعلم أنكم آتون لما بقيت فى هذه الثياب »

فقال الرئيس : « إنما جئنا لأنك من ذلك الضرب من الرجال الذين يغرسـون الأشياء فى حدائق المدرسة فى أيام السبت » وأخبره أن المجلس يطلب المستر باجيت بضعفى مرتبه فى ووكيجام . وهكذا ذهب فى سنة ١٩٠٤ إلى ليك فورست ، وظل هناك رئيساً للمشرفين خمسة وثلاثين عاما ولا يزال يلقى دروسه يومين فى الأسبوع .

ولما لم يكن يتقاضى سوى ٩٠ ريالا فى الشهر فى مدرسـة ووكيجام ، فإن ١٨٠ ريالا فى الشهر فى مدرسة ليك فورست كانت أشبه بالثراء العريض . وقد أنفق فى أول شهر مائة ريال من هـذا المرتب على شراء نموذج « للنصر المجنّـح » ليضعه فى الردهة ، ولايزال النموذج قائماً . ولقد غنمت المدرسة كنزاً حين ظفرت بالمستر باجيت ، فزينها لهم من ماله لأنه لا يسعه أن يفعل غير ذلك .

وقد قدرته ليك فورست ، فأرسلته على سبيل الاعتراف بفضله ، فى رحلة إلى أوربا فى سنة ١٩١٠ ثم فى رحلة أخرى سنة ١٩٢٦ فاغتبطت نفسه بالرحلتين اغتباطاً عظيما . وزار المتاحف ورأى الأصول التى أخذت عنها الصور التى أحبها كل هذا الزمن ، وزار « المشاهد المشهورة » ، وجاب على قدميه الأرض التى وقعت فيها حوادث « الرؤساء الأسكتلنديون ». ولكن أعظم ما وقع له كان فى دبلن .

فقد وجـد « شرفة باجوت » خارج « حدائق فينكس » ، ولما علم أن هناك أسرة باسم باجوت تشجع وزار القصر الذى يقوم فى أرض مساحتها مائة فدان ، فاستقبله رجل أنيق اسمه هنرى باجوت ، وهو مديد القامة أبيض الشعر ، فقال له جون باجيت حياء : إن تشابه الاسمين لفت نظره ،

وأن أسلافه جاءوا من إرلندة الخ .

وقد تبين أن هنرى باجوت عمه ، وأنه هو الأخ الأكبر لذلك الغلام الشارد الذى هاجر إلى أمريكا فى السادسة عشرة من عمره طلباً للثراء ، فانتهى بأن صار حطاباً ، ووالداً لجون باجيت . وقد بكى العم الهرم من فرط التأثر ، ثم عنف ابن أخيه على مسخ اسمه وتشويهه ، وأخذ بيده وأراه القصر وما احتوى من نفيس الصور من عهد النهضة ، وأراه حديقة باجوت وما فيها من عجائب النبات والزهر ، واصطحبه إلى كلية ترينتى وأراه حجرة باجوت ، وفيها صورة لعمته العليا ، وكانت رائداً للنساء المشتغلات بالتربية . فالحق أن جون باجيت كان مصيبا حين ألهم فى صباه أنه من أرومة كريمة .

وقال لى وهو يشرح لى ذلك بلهجة الجد: « وهكذا ترى أنه لا فضل لى على الإطلاق ، فما عدوت أن ورثت حبى للصور والأزهار. وإذا كانت لى موهبة فى التعليم فإن هذه أيضاً ملكة فى الأسرة »

بين اينشتين وفتاة فى الثامنة

للعالم الكبير ألبرت اينشتين جارة فى بلدة برنستون — حيث جامعة برنستون المشهورة — ولهذه الجارة ابنة فى الثامنة . وكانت هذه الفتاة تزور العالم عصر كل يوم ، وعلمت والدتها بهذه الزيارات المتكررة فذهبت فى أحد الأيام إلى دار اينشتين لتعتذر له عما تسببه له ابنتها من مضايقة .

فقال العالم : ولِمَ تعتذرين ؟ إننى أغتبط بزيارتها أعظم اغتباط .

فقالت الأم : ولكننى لا أدرك ما يؤلف بين عالم كبير وفتاة فى سن ابنتى .

فقال أينشتين : شىء كثير . إننى أستطيب حبوب المُلام الحلو التى تجيئنى بها ، وهى تنعم بطريقتى فى حلّ مسائل الحساب فى واجبها المنزلى .

[لينرد ليونز فى « نيويورك پوست »]

تعريف

- الكتاب النادر : هو الكتاب المستعار الذى يُرَدّ .

الرصاصة التي تدفع نفسها

هارلاند منشر

ملخصة عن مجلة «اميركان ميركيوري»

منذ أشهر قليلة كانت القنابل المخيفة التى تنطلق من تلقاء نفسها إلى أسباب السماء، ثم تهوى فتقوض المدن بموادها المتفجرة القوية الغامضة، إنما هى تهاويل أحلام. أما اليوم فليس بمستبعد وجود مثل هذا السلاح كما يستدل على ذلك بالأخبار التى تتسرب من الخارج. فالصاروخ الحربى الذى نبذ من قبل لتعقده، قد بعث من مرقده واقترب من الكمال.

وقد جاء من استوكهلم أن الألمان وضعوا بالقرب من كاليه على الشاطىء الفرنسى مدافع تحت الأرض لقذف لندن على بعد مائة ميل، بقذيفة تزن عدة أطنان. ويقال إن لهذه القذائف أجنحة، وأنها تسدد إلى مرماها بالراديو. وقد أذيع هذا النبأ على أثر خطبة لتشرشل رئيس الوزارة البريطانية تحدث فيها عن «القنابل الطائرة» الجديدة الغريبة التى استعملها سلاح الطيران الألمانى فى قتال سفن الحلفاء. ويظهر أن هذه القنابل الطائرة تسدد أيضاً بالراديو، فتيسر للطائرات أن تهاجم السفن وهى على ارتفاع مأمون. ولكن بما أن القنابل الطائرة التى لا تصيب المرمى تسقط فى البحر، فإن تفاصيل تركيبها لا تزال مجهولة.

فى خلال معركة تونس كانت ست دبابات تتقدم نحو الخطوط الأمريكية فأخطأت إحداها قذيفة، فانفجرت بقوة هائلة مزقت شجرة كبيرة. فأصدر قائد فصيلة المحور أمره إلى جنوده بالوقوف وسلم من فوره قائلا فى هدوء المحارب المحنك: «أما وقد أطلقتم على الدبابات مدافع من عيار ٦ بوصات فقد حان وقت التسليم».

وعندئذ خرج جندى أمريكى فرد من مكمنه، وعلى كتفه قطعة من ماسورة معدنية قد ركب فيها أجهزة غريبة. هذه هى (البازوكا) - أو المزمار - بندقية الصاروخ العجيبة التى قلبت بين عشية وضحاها وسائل الفتك بالدبابات.

حادثة واحدة فيما ذكر رسمياً عن هذا المدفع الجديد وتفوقه الباهر. وقد قال الجنرال ليفين كامبل رئيس سلاح المدفعية: « إن البازوكا سلاح بسيط ولكنه قوى حتى أن الجندى من المشاة يستطيع وهو يحمله أن يثبت فى مكانه، وهو على ثقة بأن له السلطان القاهر على كل دبابة ».

ولكى تدرك خطر مدفع الصاروخ فى المعركة فاعلم أن القائد الألمانى كان يظن أنه إنما يواجه مدفعاً ضخماً من مدافع الميدان، يحتاج إلى سيارة تزن سبعة أطنان لكى تجره، وإلى أرض صلبة ليسير عليها، وإلى أن يستتر بشتى طرق التنكير والتعمية، وإلى عدد من الرجال يقومون بأمره. ولكن رجلا فرداً يستطيع أن يحمل البازوكا، ويسعى بها إلى رأس التل، ثم يرمى بقذيفة تنفذ فى الدروع، ثم يعود أدراجه قبل أن يدرى العدو ما الذى أصابه. فهو مدفع من وزن الريشة يحمله ويطلقه رجل واحد.

والفتك بالدبابات ليس إلا أسلوباً واحداً من أساليب استعمال مدفع الصاروخ، بل هو عظيم الأثر فى الأبنية من الصلب أو الجدران السميكة. ففى أثناء نزول جنود إلى البر، منذ عهد قريب، كانت إحدى القلاع الحصينة التى تشرف على الشاطىء ترميهم فى صنادلهم بوابل من الرصاص، فخاض الماء إليهم جندى فرد ومعه البازوكا، فما هى إلا طلقة فاتكة تخترق الجدار، وإذا رجال الحامية بارزون رافعى أيديهم.

والسلاح الجديد هو البساطة كما هى: أنبوبة معدنية رقيقة الجدران طولها ٥٤ بوصة وقطرها ثلاث، مفتوحة من طرفيها، مجهزة بمقابض لليدين ومستقرّ على الكتف، وكشاف كهربائى، ودائرة كهربائية لإطلاق القذيفة. أما مؤخرها البارز من وراء كتف حاملها، فهو الذى أوحى للماجور زيب هاستنجس الضابط بفرق تموين الجيش أن يسميها « البازوكا » باسم الآلة الموسيقية التى تشبهها. ويدير هذا السلاح الجديد فى العادة رجلان: يقف أحدهما من خلف ويولج الصاروخ، على حين يشد الآخر الزناد الذى يقفل الدائرة الكهربائية فيشعل المادة المفرقعة فتنطلق القذيفة. ولا تلحق كتف حاملها إلا هزة خفيفة حين تنطلق القذيفة من فوهة الأنبوب.

وخلوص البازوكا، وغيرها من مدافع الصاروخ، من قوة الرجة هو سر امتيازها. فالفرق بينها وبين البندقية أو مدفع الميدان المألوف الذى تنفجر فيها الشحنة الدافعة للقذيفة دفعة واحدة، هو أن مدفع

الصاروخ يستعمل هـذه الشحنة أو هذا الوقود تدريجياً فى أثناء اندفاع القـذيفة منطلقة إلى مرماها . فالقذيفة تحمل قوتها الدافعة معها ، وكل ما يفعله الجندى هو أن يبدأ الحركة . ويمكن حمل هذه البازوكا فى الغابات والمستنقعات والأراضى الوعرة التى لا يمكن أن تخترقها المدفعية المتنقلة . وفى وسع كل امرىء أن يمرن على استعمالها ، وهذا يعنى أن فى وسع الطلائع المستكشفة وسائقى سيارات التموين أن يحملوا معهم سـلاحاً نارياً فتاكا يسعفهم حين الحاجة إليـه على المرمى القريب .

ومع أن البازوكا هى أول مدفـع صاروخ يبلغ من خفـة الوزن مبلغاً يتيسر معـه لجندى واحد أن يحمله ويطلقـه ، فهو ليس أول مدفع من نوعه ظهر فى الحرب العالمية الثانية . فالروس والألمان كانوا يجربون التجارب بالصاروخ الحربى منذ سنتين ، ولدى الروس الآن مدفع يسمونه (كاتوشا) له قوة المدافع الثقيلة ولـكنه خفيف حتى يتسنى استعماله وإطلاقه من سيارة نقل . وهناك مدفع روسى آخر يقال إنه يطلق بين ٢٠ و ٣٠ قذيفة دفعة واحدة ، فيمطر مساحة واسعة بقنابل تخترق الدروع ، فكأنه بندقية صيد مع فرق القياس .

وقد استعمل الروس صـواريخ بغير أنابيب تنقذف منها ، ففى المرحلة الأخيرة من معركة ستالينجراد نصبوا رفوفاً طويلة من قطع خشبية مائلة ، تنطلق من بينهـا قنابل صاروخية تزن إحـداها ٥٠ رطلا فترتفع ثم تهبط على العـدو بسرعة تعدل سرعة وضعها على هذه الرفوف ، ففتت فى عضد العدو وأضعفت قواه المعنوية .

ولقـد تنبأ الضابط ده سفرسكى منـذ حوالى عشر سنوات ، بأن مدافع الصاروخ ستستعمل فى طائرات القتـال ، ولعل ذلك سيكون أحد المستحدثات الـكبيرة فى هذه الحرب . ويروى أن طائرات قتـال ألمانية مجهزة بهذا النوع من المدافع تصدت للقلاع الطائرة فى غاراتها الحديثـة فوق الأراضى الألمانية ، وأتلفت عدداً كبيراً منها . وكذلك تعزى خسارة ستين قاذفة أمريكية — وهو رقم قيـاسى — فى غارة أكتوبر على شوينفورت بألمانيا إلى مدافع الصاروخ .

ولقـد سبق الروس غيرهم فى استعمال القنابل الطائرة حين أطلقوها من طائراتهم المخصصة للفتك بالدبابات (ستورموفيك) فلقبها الألمان لشدة فتكها «بالموت الأسود» . وكانت القنـابل تعلق فى الجزء الأسفل من الجناح ، وتسدد إلى مرماها بتوجيه الطائرة نفسها إلى الهـدف . وكانت الرماية محكمة

والقوة فتاكة حتى قال الضباط الألمان إن طائرات منقضة تهاجمهم ، والحقيقة أن الطائرات الروسية جمعت بين قدرة الطائرات المنقضة على اختراق الدروع ، ودقتها فى إصابة الهدف ، دون أن تهبط فى طريق يسهل التنبؤ به ، فلا تكون كالمنقضات فريسة سهلة لنيران الدفاع .

إن المبادىء الأولى والاحتمالات الكامنة فى استعمال الصاروخ سلاحاً ، معروفة منذ زمن بعيد . فقد اقترح المهندس الإنجليزى وليم كونجريف أن يتخذ الصاروخ «سلاحاً سرياً» ليقهر نابليون دكتاتور القارة الأوربية فى أيامه ، فاستهزأ به رؤساء البحرية المحافظون ، ولكن سرعان ما ثبت أن لخرافات كونجريف خطرها وشأنها . فقد استخدمت لرمى ثغر بولونى بالقنابل من قوارب صغيرة على بعد ٣٠٠٠ ذراع ، وعمدت قوة إنجليزية ، عند النزول إلى شاطىء البلد المعروف الآن بيوغوسلافيا ، إلى استعمالها ، فكان من شدة فتكها أن لم تجد جنود نابليون المرابطة هناك مندوحة عن إلقاء السلاح وهى تجأر بالشكوى من أن السلاح الجديد سلاح غير شريف فى الحرب . وقد ظل الصاروخ سلاحاً بحرياً هاماً إلى أواسط القرن التاسع عشر حين صرف الاهتمام إلى المدافع ذوات الماسورة الحلزونية والمدى البعيد .

ولم يكن لمدافع الصاروخ أى شأن فى الحرب العالمية الأولى ، ولكنها لم تكد تنتهى حتى تألفت جمعيات من الهواة فى الولايات المتحدة وألمانيا والنمسا والروسيا واشتغل بعض أعضائها بتجربة إرسال صواريخ جوية لتكون الخطوة الأولى للاتصال بالسيارات من الكواكب . فلقى بعض المتحمسين حتفهم أو فقدوا أصابعهم . وأنشأ مهندس حديث السن فى قرية بالنمسا صاروخاً يحمل البريد ، فكان يرسل قذائفه فتتخطى الجبل فإذا ما نفد الوقود انفتحت مظلة وهبطت بالبريد إلى الأرض . وقد نجح نجاحاً تجاريا لأن هواة طوابع البريد كانوا يدفعون أثماناً باهظة فى اقتناء طوابعه الخاصة .

ولكن الرجل الذى يستأثر بفضل هذه النهضة العالمية فى تجارب الصاروخ هو الدكتور روبرت جودارد ، أستاذ الطبيعة فى جامعة كلارك ، فقد أعاد الدكتور جودارد تصميم الصاروخ الضخم القليل الإحكام والفائدة على أسس علمية صحيحة . فوضع جهازاً يحفظ توازنه بطريقة آلية فيبقيه على الصراط فى جو السماء ، ونبذ الوقود الصلب المسحوق ، وأتقن صنع خليط من البنزين والأكسجين السائل فاستبدله به ، وزاد سرعة الصاروخ من ١٠٠٠ قدم فى

الثانيـة إلى ٧٥٠٠ قدم ، وزادت طلقتـه — باعتباره آلة مولدة للطاقة — من ٢٪ إلى ٤٠٪ وهو بذلك يفضل آلات الديزل التى تعد أكفأ الآلات المحركة .

وبعد جهاد مغمور دام عشر سـنوات نشر الدكتور جودارد أبحاثه فى سنة ١٩١٩ ولـكنه أخرجها للناس فى ثوب علمى جدى لا اندفاع فيه ولا تهويل ، فلم تسترع أنظار القراء . ومع ذلك فقد كانت هذه الأبحاث هى أسس الصور الهزليـة التى أذاعت تلك الأحلام الفاتنة عن إمكان الاتصال بالسيارات. فالصاروخ فى الفراغ أسرع منـه فى الهواء فلو تيسرت لنا قوة تكفى أن نرسل صاروخاً يعلو فوق طبقة الهواء التى تغطى الأرض ، فعسى أن يستمر منطلقاً لا تمسكه جاذبيـة الأرض حتى يبلغ القمـر أو المريخ أو أى مكان آخر .

واتصل بحث إرسال الصواريخ فى طبقات الجو فأسدى كثيراً إلى القذائف الحديثـة التى تستعمل الآن، وإلى تلك التى سيتمخض عنها الغد . فمنذ أربع سـنوات مضت تنبأ الماجر . ر . راندولف الضابط بسلاح الصيانة الأمريكى باستعمال البـازوكا ،وليس هـذا فحسب بل أثار عجب زملائه بتنبؤه بإنشاء فرق المدفعية الصاروخيـة .ومرمى هذه المدافع الصاروخية لا حد له من الناحية النظرية ، إذ ينعـدم الاحتكاك فى طبقات الجو العليـا . ويقول راندولف وآخرون إن قذف قنابل الصـاروخ حول نصف الـكرة الأرضية لن يكون أمراً مستحيلا ، ولـكن قـد تعوقه النفقـة الباهظة ، وقد تكون الرماية غير محكمة سديدة .

ومع ذلك فلن يتوقف مستقبل الصاروخ على الحرب ، إذ ليس قذيفة وحسب بل هو أيضاً آلة محركة عظيمة الطاقة ،غنية بما يرجى منها . فالألمان يستعملون اليوم آلات صاروخيـة ليرفعوا بها قاذفات القنابل من طراز (دورنير) المثقلة بما تحمله . وقـد أعلنت وزارة الطيران البريطانية أن طائرات القتال ، التى تطير من سـطوح المراكب التجارية ، تقذف فى الهواء بقوة الصاروخ . وهـذا الاستعمال يتيح امتحان الطائرات المجهزة تماماً بآلات محركة صاروخية . وقد سـجل الدكتور جودارد تريباً صاروخياً تبلغ سرعته ألف ميل فى الساعة فى طبقات الجو العليا . ويتقدم البحث فى الصاروخ تقدما سريعاً من وجوه متعددة . وقـد نـكون نحن اليوم فى مستهل عصر قوة الصاروخ المحركة . وعلى كل حال فإن القراء سـيقرأون شيئاً كثيراً منـذ اليوم عن « الرصاصة التى تدفع نفسها »

هـذا ما كشفه دفتر قصاصات عن امرأتين
حاربت إحداهما الأخرى سنين

عدوّتها صديقتها

لويز ديكنسن ريتش . مؤلفة «أخذنا إلى الغابة»

ملخصة عن «ومانز هوم كومبانيون»

انتقلت جدتى ومسز ولكوكس ، وهما عروسان، إلى الدور المجاورة فى مين استريت، ذلك الشارع النائم المظلل بالشجر ، فى القرية الصغيرة التى كتب عليهما أن يقضيا فيها عمريهما . أما أنا فلا أدرى ما الذى شب الحرب بينهما ، ولا أعتقد أنهما كانتا تذكران سبب نشوبها حين ولدت أنا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين سنة ، إلا أنها ما برحت من يومئذ مستعرة .

لا تنس أن الأمر لم يكن نزالا شريفاً بين متبارين ، بل حرباً بين امرأتين ، فهى حرب شاملة بكل معنى الكلمة . فما من شىء فى القرية نجا من أثر النزاع ، حتى الكنيسة التى سلخت ٣٠٠ سنة من الدهر نزلت إلى المعترك حين راحت جدتى ومسز ولكوكس تخوضان معركة الانتخاب لهيئة معونة السيدات . ولقد انتصرت جدتى فى هذه الموقعة حين انتخبت رئيسة ، واستقالت مسز ولكوكس محنقة ، غير أنها ظفرت فى معركة المكتبة العامة فعينت بنت أختها جيرترود أمينة بدلا من عمتى فيليس . فكفّت جدتى عن قراءة كتب المكتبة إذ أصبحت فى رأيها ، بين عشية وضحاها ، «أشياء وبيئة قذرة» . أما فى معركة المدرسة الثانوية فقد تكافأ المتنافسان، فقد وجد الرئيس عملا آخر خيراً من هنا ، فانطلق قبل أن تنجح مسز ولكوكس فى إقصائه ، وقبل أن تنجح جدتى فى أن يوقف عليه هذا المنصب مدى حياته .

وعلاوة على هذه المعارك الهائلة ، كانت ثمة مناوشات ومخالسات خلف خط النار الرئيسى . فكنا حين نزور جدتى ونحن صغار نجعل من بعض لهونا أن نسخر من أحفاد مسز ولكوكس السخفاء ، وكانوا أشباهنا فى السخف كما أرى الآن ، وكنا نسرق العنب من وراء السور بدار مسز ولكوكس ، ونصيد فراخها أيضاً . وكان يوماً مشهوداً يوم وضعنا ثعباناً فى برميل المطر . وكانت جدتى تتظاهر بالاحتجاج ، ولكننا كنا نشعر برضاها

الصامت عما نفعل ، فننطلق فرحين نقترف ما نقترف من حماقات الطفولة .

ولا شك فى أن أحفاد مسز ولكوكس كانوا يثأرون منا ، فدسوا فى بيت جدتى حيوانات خبيثة الرائحة . وما مرّ يوم عاصف أبداً من أيام الغسيل إلا انقطع حبل الغسيل بقوة خفية ، فتتمرغ الملاءات فى الوحل ، حتى ينبغى أن تغسل ثانية . ولعل بعض هذه الحوادث كانت قضاء وقدراً ، ولكنها كانت تعزى دائماً إلى أحفاد ولكوكس . ولا أدرى كيف كانت جدتى تستطيع أن تحتمل هذه المتاعب لو لم تسرّ عن نفسها بما تكتبه فى صفحة التدبير المنزلى فى إحدى صحف بوسطن .

وكانت صفحة التدبير المنزلى تحتوى على شذرات فى الطهى ونصائح فى النظافة ، ويخصص جزء منها لرسائل القراء . فإذا عرضت لك مشكلة كتبت إلى الجريدة رسالة موقعة بإمضاء مستعارة مثل « أريبتس » ، وهو اسم جدتى المستعار ، فيكتب إليك نساء أخريات عرضت لهن نفس المشكلة يخبرنك بما فعلن ، ويوقعن « سيدة تعلم » أو « زانتيب » أو ما شئت . فتنتهى المشكلة ، ولكن يغلب أن يستمر التراسل بينهما مدى سنوات ، فتفضى إحداهما إلى الأخرى ، على صفحات الجريدة ، بأخبار أطفالها وسائر شئونها المنزلية

وظلت جدتى وامرأة أخرى تستعير اسم « سى جل » تتبادلان الرسائل مدى ربع قرن ، وجدتى تفضى إلى سى جل بأسرار تكتمها عن كل إنسان : كساعة بدا الأمل يخامرها أنها توشك أن تحمل طفلا آخر ، فلم يتحقق أملها . وكيوم عاد عمى من المدرسة وفى رأسه بعض ما يسوءك أن يكون فيها ، وكيف شعرت بالذلة والهوان ، وكيف نقته قبل أن يقف أهل القرية على خبره . وهكذا كانت جدتى وسى جل صديقتين حميمتين .

وحين كنت فى السادسة عشرة ماتت مسز ولكوكس . وأنت إذا ما كنت فى قرية صغيرة قضت عليك آداب المجاملة أن تهرع لترى أى خدمة تستطيع أن تؤديها لأهل الميت مهما بلغ مقتك لجارك الأدنى . فلبست جدتى إزاراً نقياً فوق ثيابها ، لتبين أنها جادة فى بذل معونتها ، وعبرت الطريق إلى دار ولكوكس ، حيث طلب إليها بنات ولكوكس أن تأخذ فى تنظيف حجرة الاستقبال ، وإن كانت من قبل نظيفة ، لتكون مكاناً للمأتم . وعلى نضد فى حجرة الاستقبال وجدت دفتراً ضخماً ألصقت على صفحاته قصاصات فى أعمدة متوازية ، هى ما كتبته سى جل وما تلقته من الرسائل على طول السنين .

وهكذا اكتشفت جدتي أن أعدى أعدائها كانت أحب أصدقائها إلى نفسها .

وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي أرى فيها جدتي تبكي . وما كنت أدري عندئذ سر هـذا البكاء ، أما الآن فقد عرفت ، فهي كانت تندب السنين الطوال الضائعة التي لا يمكن أن تعود أبدا . وفي ذلك اليوم بدأ يحيك في صدري ما أومن به الآن إيماناً راسخاً :

قد يتراءى لك أن الناس سخفاء لا يطاقون ، أو أنهم بمكان من الخسة والنذالة والمكر ، غير أنك لو تزحزحت عن مكانك عشر خطوات ، ورجعت تنظر إليهم نظرة أخرى ، فأنت خليق أن تراهم بمكان من الكرم والسماحة واللطف . كل ذلك رهن بموقفك منهم حين تنظر إليهم.

[وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا]

لمحات شخصية

● ذهب صحفي إلى مقابلة كلفن كوليدج الرئيس الأمريكي الأسبق ليستطلع رأيه في مسائل يومه فقال الصحفي : هل ترغب أن تفضي برأي في مسألة تحريم الخمور . فقال الرئيس : لا . فقال الصحفي : وفي حزب الزراع ؟ فقال الرئيس : لا . فقال الصحفي : وفي محكمة العدل الدولية ؟ فقال الرئيس : لا . فهم الصحفي بالانصراف فاستوقفه الرئيس وقال : لا تضمّن مقالك اقتباساً ما مما قلت !

✡ ✡ ✡ ✡

● كان هيوجبسون سفيراً للولايات المتحدة في وارسو عاصمة بولندة . وكان ذات يوم مريضاً ملتزماً الفراش ، إذ سمع عزفاً على البيانو في حجرة الاستقبال . وكانت القطعة التي تعزف « أنشودة ضوء القمر » لبيتهوفن وكان العزف سماوياً لا يستطيعه من الموسيقيين المعاصرين إلا بادروفسكي — رئيس وزارة بولندة حينئذ . فنادى جبسون خادمه وقال : ادع رئيس الوزارة ليتفضل بالدخول . قال الخادم : لقد غادر الدار قائلا إنه إنما أراد أن يطلعك على أنه زارك !

سِرّ "دَفى" فى سجن غوذجى

فرانك تايلور

سان كنتان سجن صفحات تاريخه ملطخة بالدماء ، فصار معهداً يحتذى تحت إشراف مدير كان ابن أحد حراسه

لن تقع عينى على حديقة ذات أزهار بعد اليوم ، إلا تذكرت حديقة معينة يسطع بهاؤها وشذاها على مكان عجيب . هذه الحديقة — وهى فدان كامل — هى أول مشهد يستقبل الرجال التعساء حين يجتازون السور الحديدى المتجهم لسجن سان كنتان المشرف على خليج سان فرنسسكو. ولقد رأيتها يوم زرت الرجل الذى ثار على أنظمة السجن ، فهذبها وطبعها بطابع إنسانى، وأعنى به مدير السجن كلينتون دفى.

وينعت دفى نفسه « بالسجين المؤبد طوعاً » فى سان كنتان ، وهو ابن حارس سجن، ومولده فى بيت صغير وراء الأسوار. ولقد ألف حراس السجن أن يخدموا أمه فى دارها وحديقتها ، فكان هؤلاء المؤبدون القدماء بعض من صحبهم كلينتون الناشىء من رفاق اللعب ، فأحبهم حبا جما.

وكان من بين رفاقه أيضاً فتاة صغيرة تدعى جلاديس كاربنتر ، وهى بنت ضابط فى حرس السجن، ثم تمر الأيام فإذا جلاديس وكلينتون عروسان .

إنها قصة غرام بين جدران السجن ، فعاشا بعدئذ — كما يحدث فى أقاصيص الأطفال — فى حبور وسرور .

ولما بلغ كلينتون أشده عين كاتباً فى إدارة السجن . وذات يوم فى سنة ١٩٣٥ هرع أحد الحراس يصرخ بأن الاضطراب قد شاع فى السجن ، وكانت مأساة دموية قتل فيها سجينان وشنق اثنان غيرهما فيما بعد . ولم تكن هذه المأساة حدثاً جديداً فى سجن سان كنتان ، فإن جماع تاريخه سلسلة من الشغب والقتل والهرب ، من العنف وسفك الدماء . وكانت سمعة هذا السجن أشنع سمعة بين السجون الأمريكية .

لم يكن فى مقدور الشاب كلينتون دفى ، وهو لم يزل بعد كاتباً صغيراً ، أن يكبح ما فى السجن من طغيان وقسوة وإحن دفينة ، فينقى هذا الجو" المكفهر" الذى

يجثم على سان كنتان كما يجثم ضباب الشتاء وهو يتهادى فوق الخليج . ولكنه كان يعتقد أنه يعلم ما ينبغى أن يعمل .

مرت سنة ١٩٣٥ بثورتها الدموية فإذا بشؤون السجن تنحط من سىء إلى أسوأ، فقد توالى الشغب بين سكان السجن البالغ عددهم ٥٠٠٠ نفس : امتلأت حجرات الحبس الانفرادى ، وما من يوم يمر دون أن يضطر الحراس إلى اطلاق الرصاص . وأخيراً بلغ من سوء الحال أن أصبح لا مفر من إقالة المدير وجميع أعضاء مجلس الإدارة. وفى سنة ١٩٤٠ شكل مجلس جديد للادارة واستدعى دفى بين يديه . وكان يومئذ رجلا فى الثانية والأربعين من عمره ، وديعاً ضامر الجسم ، ولم يزل بعد كاتباً صغيراً ، فلم يشك فى أنه سيطرد من عمله . ولكنهم طلبوا إليه أن يتولى إدارة السجن مؤقتاً ثلاثين يوماً إلى أن يختاروا مديراً أصيلا .

وهكذا وجد دفى نفسه فجأة رئيساً مؤقتاً لأشد سجون أمريكا بأساً ، وأصلبها عوداً، وأعظمها خطراً . ولكن الثقة كانت تملأ نفسه بأن الوقت الذى أفسح له ، وإن يكن غير طويل ، إلا أنه قد يكفى لوضع حد لما فى سان كنتان من مساوىء وتعذيب وقسوة .

لم تكن تخفى على دفى خافية من أمور السجن ، فهو يعلم أى الحراس يظلم السجناء ويقسو عليهم ، ويعلم أمر هذه الدوائر الصفر أمام حجرات الحبس الانفرادى ، وكيف كان يؤتى بأهلها المساكين فيجبرون على الوقوف فى هذه الدوائر ساعات متتالية دون أن يتحركوا ، وكيف إذا خالفوا هذه الأوامر ، كانوا يُضربون ضرباً موجعاً بخراطيم من المطاط.

طرد دفى أسوأ الحراس سمعة ، ثم دعا سائر الحراس وتلا عليهم تعليمات المحافظة على النظام، وقال لهم إن سوء معاملة السجناء يجب أن تنتهى لساعتها ، فإنه وإن كانت رياسته غير دائمة ، فقد عزم على أن يدير السجن فى هذه الثلاثين يوماً إدارة إنسانية رقيقة مهذبة . فكان لهذا العمل دوى فى أرجاء السجن، وما لبث السجناء أن وصفوا صاحبنا الشاب دفى بأنه « ولد ابن حلال ».

فأخليت حجرات الحبس الانفرادى ، وبدلت الأرقام الكبيرة المرقومة على ظهور ثياب السجناء بأرقام صغيرة على جيوب القمصان كأنها « آية الاسم » . وأغرب من هذا كله أن المدير الجديد أخذ يتجول فى أرجاء السجن ومصانعه لا يصحبه حرس ، وهذا ما لم يسبق وقوعه من قبل .

مرت الثلاثون يوماً فتركت فى نفوس

أعضاء مجلس الإدارة من الأثر ما دعاهم إلى أن يطلبوا إلى دفى أن يبقى فى منصبه ستة أشهر أخرى .

أصبح من الجلى أن تبدلا شاملا هاما قد حل بالسجن فقد زال الغلّ المكتوم ، وزال ما تثيره القسوة من شغب ، وخلفتها فى هذا « السجن الكبير » روح إنسانية جديدة وشعور جديد بالعدل والرضى .

وبذلك تمت المعجزة على يد دفى ذلك الرجل الهادىء الوديع ، والمجاهد الصادق . واستجاب الرجال سراعاً لرقة حاشيته ودماثته ، فقدم ألفان وخمسمائة سجين طلباً يلتمسون تعيينه مديراً دائماً . ولم تكد تنتصف المدة المحددة لرياسته — وهى ستة أشهر — حتى عينه مجلس الإدارة مديراً أصيلا مدة أربع سنوات كاملة .

كان ذلك منذ ثلاث سنوات ، والآن يمكن أن يطلق على (سان كنتان) اسم « السجن النموذجى » بدلا من « شر السجون » .

أوجز لى المدير دفى بعض فلسفته فى الجريمة والعقاب وقال : « لقد بلغ ابنى الحادية والعشرين من عمره ، لم يمسه خلالها عقاب بدنى قط ، ومنذ أن راهق وأنا لا أتوسل إلى تربيته إلا بحرمانه بعض ما يمنح من المنح الهينة . فهذه الفكرة البسيطة عن المكافأة والعقاب هى أول إصلاح صحيح قمت به هنا فى السجن . فقد أبطلت كل عقاب بدنى وتوصلت إلى توطيد النظام بمجرد حرمان الرجال منحهم المختلفة ، فمثلا ، إذا أذنب رجل نزعنا من غرفته سماعة الراديو بضعة أيام ، ونحاول أن نبصره بالخطأ والصواب ، ونحاول أيضاً أن نعود طبعه عادات كريمة محمودة .

وإياك أن تتوهم أن هذا السجن قد انقلب ملهى .. فليس هنا تدليل ولا ترفيه ، بل صراحة فى عدل . فنحن نحاول أن نعامل كل رجل على أنه نفس لها مشاكلها وهمومها . فهؤلاء الناس إنما هم بشر مثلنا سواء بسواء » . وجال بى المدير جولة فى السجن . مشينا وحدنا بلا سلاح بين آلاف من رجال عدهم الناس وقتاً ما من أخطر المجرمين ، ولكنهم أصبحوا الآن وهم لا تخفى صداقتهم لدفى . وكان المدير يعرف كل سجين تقريباً ، ونادى كثيراً منهم بأسمائهم ، وجاءه كثير منهم ليحادثوه .

هذا وقد وضع بالفناء الكبير صندوق للأسئلة ، ويذيع دفى كل أسبوع من راديو السجن أجوبة الأسئلة التى ألقيت فيه ، ويقول للسجناء : « إذا كان لا يرضيكم شىء فكاشفونى به ، فليس ههنا من أسرار » .

وينتدب السجناء رجالا منهم يجتمعون كل يوم سبت ليقترحوا ما يريدون إدخاله

على أنظمة السجن من إصلاح . وكل مسجون يريد أن يشافه المدير ، فما عليه إلا أن يتوجه إلى مكتبه ، فلا يقف أمام حراس غضاب ، بل يستطيع أن يجلس ويحادث دفى من وراء مكتبه كما يحادث الرجل الرجل .

قابلنا مسجوناً من القدماء باسم الثغر يتهلل وجهه بشراً ، وأخذ يلوح لنا ببطاقة زرقاء — بطاقة الإفراج عنه — فسيطلق سراحه بعد يوم ، فما سعده ! لقد تعلم اللحام الكهربائى فى مصنع السجن التدريبى وهو مصنع يعمل للإنتاج الحربى . وقال : «تصور أيها المدير أننى لن ألبث حتى أكتسب دولاراً وأربعين سنتاً فى الساعة الواحدة !»

حقاً من كان يتصور ذلك ؟ فبعد أن كان إنساناً ضالا مضيعاً عبئاً على الهيئة الاجتماعية ، إذا هو رجل حر ، ذو حرفة رابحة ، وقد استرد شعوره بالكرامة .

وكل رجل يغادر السجن يغادره وقد درب على عمل ينتظره فى الخارج . ولعل بعض الفضل فى هذا النظام يعود إلى الحرب ، إذ ما كادت تصل أنباء الهجوم على بيرل هاربر حتى أبدى السجناء رغبتهم فى المساعدة . وتفوق سجن سان كنتان فى إنتاج المواد الحربية حتى منحته الإدارة المشرفة على الإنتاج الحربى أولى شهادات تقدير الخدمات الوطنية .

وانضم ما يقرب من ١٢٠٠ سجين فى سان كنتان إلى صفوف المتطوعين بدمائهم . واشتروا من سندات الحرب ما يزيد على ٣٠٠ ألف دولار ، جمع أغلبها من المال الذى يرسله إليهم أقاربهم لشراء السجائر وما إليها من ضروب الترفيه . وقاموا فى الصيف الماضى بتصنيف ٨ مليون صندوق من المؤن لإرسالها إلى الجنود . ومع أن ما فى كل صندوق منها ، لو بيع سرا فى السوق السوداء لبلغ ثمنه مائة دولار ، فقد تم العمل دون أن ينتقص صنف واحد منها .

أريد أن أوضح هنا بجلاء أن دفى ليس بالرجل اللين المتساهل ، فهو لا يدلل السجناء ، بل هو لا يمنح السجناء إلا ما اكتسبوه اكتسابا . وإذا دخل السجن ضيف جديد حدثه دفى عن طريقته التى يجرى عليها فى العقاب والمكافأة . وهو يجعل السجناء جميعاً يبدأون فى مصنع (الخيش) حيث العمل شاق ، ثم يتركهم يشقون لأنفسهم طريق الرقى إلى مدارس الحرف ، أو إلى المصانع الحربية ، وآخر ترقية هى الانضمام إلى جماعة عمال الحصاد أو الغابات أو الطرق ، ومأواهم خيام فى الخلاء لا حراس عليها . ويقضى كل سجين الستة الأشهر الباقية حتى يطلق سراحه ، فى العمل مع إحدى هذه الجماعات . وفى عامنا هذا ، إذ

قلت الأيدى العاملة ، تولى السجناء حصاد المحصول فى آلاف من الأفدنة ، ولولاهم لضاع هباء ، وكان الفلاحون يسمونهم « أولاد دفى » . وبسان كنتان مدرسة ليلية مفتوحة لكل من يظفر بحق دخولها من السجناء ، وذلك بالجد فى العمل وحسن السلوك . ولما بدأت المدرسة عملها هز الأدعياء رؤوسهم ارتياباً ، وتنبأوا بأن السجناء ، وقد أذن لهم أن يغادروا حجراتهم ليلا ، سيتسلقون الأسوار ويهربون .

فما الذى حدث ؟ يوم أن ذهبت إلى سان كنتان كان بمدرسته الليلية ٨٥٠ تلميذاً هذا سوى ٤٥٠ آخرين يدرسون فى حجراتهم رغبة منهم فى أن يظفروا هم أيضاً بحق دخول هذه المدرسة . ولم يحدث قط أن أحداً منهم حاول أن يتسلق الأسوار ويهرب! . ويذيع سجن سان كنتان فى الراديو برنامجاً خاصاً به يسمى : « هنا سجن سان كنتان » . وكثيراً ما تجذب هذه الإذاعات عدداً من المتفرجين لا يقل عن ٥٠٠ شخصاً .

وبعد أن غادرت سان كنتان سمعت كيف دخل المدير دفى الجناح المخصص للمحكوم عليهم بالإعدام ، وأنبأ من فيه بأن قسيس السجن سيأتى إليهم ومعه آلة السينما وشاشة العرض ، ليتسنى لهم أن يروا لآخر مرة فلماً سينمائياً . فتملكتهم الدهشة، ولكن سرعان ما جاء القسيس ومعه آلة السينما . وإلى جنب هؤلاء الرجال المحكوم عليهم بالإعدام، وقد أخرجوا من حجراتهم وقعدوا لا حرس عليهم ، جلس ذلك المدير الهادىء الرقيق يتتبع مشاهد الفلم مع أولاده المساكين .

وقد كتب أحد هؤلاء الرجال المحكوم عليهم بالإعدام — واسمه وارين كرامر — إلى صحيفة فى سان فرنسسكو يقول عن هذه الأعجوبة :

« لا أشك فى أن أرواح أسلاف المدير دفى قد هبت من مضاجعها . . وأخص منهم أولئك الذين لم يجسروا على دخول هذا الجناح إلا أن تحميهم فرقة من الحرس فى كل خطوة يخطونها . أما هذا الرجل النحيف ، الناعم الصوت ، فإنه يجول وحده حيث شاء آمناً غير مرتاع ، لوثوقه بأن الذى يحميه ويحرسه هو محبة هؤلاء الآلاف من الرجال الذين أبى إلا أن يعاملهم معاملة بنى الإنسان لا معاملة الوحوش فى الأقفاص. وعما قليل سيأمر المدير دفى بإعدامى طبقاً للقانون . ولو خيرت لما اخترت غيره رجلا أموت على يديه ، فزادنا الله من أمثاله ! » .

وهذا ما أقوله أنا أيضاً ، وأدعو الله أن يزيدنا من أمثال المدير دفى : هذا الرجل الكريم النبيل النفس .

صورة تحرك الإعجاب للحياة والعمل على حاملة طائرات

سطح مستو – حيث الشجاعة نظام وعادة

و . ل . هوايت

مؤلف « الملكات يمتن كريمات » و« رحلة لمرجريت »
وغيرهما من كتب الحرب البارزة

كانت حاملة الطائرات الجديدة تنساب خبوباً فى بحار استوائية خضراء ملساء متجهة إلى منطقة القتال ، ولكن أثر مخور السفينة فى الماء راح الآن يتقوس خلفنا ، لما شرعت السفينة تدور وتواجه الريح بمقدمها لتهبط الطائرات على مؤخرتها . وكانت الطائرات حاملات الطوربيد والقاذفات المستطلعة ومعها المقاتلات الحارسة لا تزال بعيدة وراء الأفق ، تطوف فى المنطقة الواقعة أمامنا باحثة عن غواصات العدو . ولكن المقاتلات التى تحمينا وتحلق على كثب من السفينة قد أوشك وقودها أن ينفد ، فلا بد لها من الهبوط .

وكانت هذه قد أخذت تحوم فوقنا كأنها بنات الماء أتعبها خفق الجناح ، مترقبة أن يرفع لها العلم الأبيض .

فذهبت أعدو على سطح المهبط اللامع المصنوع من الخشب المصقول ، ووقفت فى آخره أرقب الضابط الموكل بهبوط الطائرات يعطيها إشارة النزول ، وهو نحيف يقظ كالكلب السلوقى ، وعليه صدرية من الصوف برتقالية ، وفى يديه رايتان برتقاليتان . وكان العلم الأبيض قد ارتفع فوق المرقب ، فصار فى وسع الطائرات أن تهبط .

وهى مهمة تتطلب حذقاً ودقة ، فإن هذه الطائرات تهبط بسرعة تقرب من مائة ميل فى الساعة ، ولكنها تواجه ريحاً سرعتها خمس وعشرون عقدة ، على حين تكون الباخرة ماضية فى نفس اتجاه الطائرات بسرعة خمس وعشرين عقدة ، فكأن السرعة النسبية خمسون . فلا بد من تحرى غاية الدقة .

وما زال بيننا وبين منطقة القتال مسيرة أيام عدة ، فالخطر ضئيل ، ولكن لنفرض أننا تلقينا خبراً من دورياتنا بأن سرباً معادياً مؤلفاً من خمس عشرة قاذفة للطوربيد

تقترب منا ، وليس بيننا وبينها سوى مسافة تقطع جوا فى خمس عشرة دقيقـــة ، إذن لا يكون لنا ما يحمينا سوى هذه المقاتلات الطوّافة الحوّامة التى نفد وقودها . فهل يسعنا أن نجعلها كلها تهبط وتتزود من الوقود والذخيرة ، ثم نطلقها فى الجو مرة أخرى ، فى الوقت المناسب ؟ إن تأخيراً لا يتجاوز عشر ثوان على سطح المهبط قـد تكون نتيجته أن تتمكن إحدى قاذفات الطوربيد المعادية من رمينا بطوربيدها فتذهب هذه الحاملة الجـديدة التى كلفت خمسين مليون ريال ، ومعها كل طائراتها .

وقد دارت أولى الطائرات على بعـد ، ثم صارت الآن على ارتفاع قليل ، وأخذت تقترب من مؤخرتنا . فأقعيت على الممشى الضيق الذى يمتد خارجاً عن السطح فوق الماء ، ووضع بحار المنظار على عينه وراح يرمق الطائرة ثم قال : «تدلت العجلات» ثم قال : «تدلى الخطاف» — حتى أنا أراه الآن — الخطاف الذى يتدلى من ذيل الطائرة المقاتلة والذى يجب أن يعلق بالسلك المتصل بجهاز يقف الطائرة ويصدها عن مواصلة السير ، وإلا مضت الطائرة فوق السـطح فتصطدم بالطائرات المرصوصة أمامها .

وتدنو الطائرة فتكبر فى رأى العين شيئاً فشيئاً . ويرفع ضابط الإشارة العلمين البرتقاليين المستديرين فجأة فوق رأسه ليرسم حرف V — وبهـذا يبلغ الطيار أنه أعلى مما ينبغى ، فنرى الطائرة تهبط .

والآن صار الطيار فوقنا تقريباً — ١٢٫٠٠٠ رطل من الألومونيوم والصلب تزأر وهى مقبلة علينا بسرعة خمسين ميلا فى الساعة . فأغطس أنا تحت مستوى الأرضية ، ولـكن ضابط الإشارة يجب أن يبقى حيث هو إلى آخر لحظة ، وعند ما يرتمى ظل الجنـاح على مؤخرة الباخرة يبـدو الضابط كأنه يضرب عنقه بالعلم الذى يحمله . وهذا أمر للطيار بأن يقف المحرك ، ويدع الطائرة تهبط إلى السطح .

وتسمع زأرة ، وتحس لفحة هواء من دورة المروحة ، وتمضى الطائرة مرعدة على المهبط ، والخطاف متدل ليعلق بالأسـلاك المشـدودة التى لا ترتفع فوق الأرضـية إلا مقدار بوصة ، ويخطىء السلك الأول ، فتنط وتتجاوز السلكين الثانى والثالث ، ثم يعلق الخطاف بالسلك الرابع ويشـده ويمده ويجعله على هيئة الدال .

وعندئذ فقط ألاحظ أنى أنا — هنـاك فى المؤخرة — الوحيـد الواقف . فإن الآخرين جميعاً قد التمسوا السلامة بالاختفاء ، حتى ضابط الإشارة قد غطس وغاب فى سلة صغيرة من الحبال مدلاة فوق البحر .

ويحدث أحياناً أن تتقطع السلوك فترتد الأطراف كأنها سياط من الصلب ، فلو أصابت عنق رجل لأطارت رأسه عن بدنه .

ولكن الأسلاك لم تتقطع ، فعادت الرءوس إلى الظهور على طول الممشى الذى على طرف السطح ، ورجع ضابط الإشارة إلى السطح ، وابتسم لى ، وأومأ بإبهامه إلى سلة الحبال .

وقال : « انظر كيف وسعتها ؟ لما كنت أعمل على حاملة الطائرات الأخيرة — قبل هذه — كان ضابط الإشارة يتولى إنزال طيار حديث ، فاضطرب الفتى الطيار وأمال جناح الطائرة وهو يدخل ، وكاد يعصف بالضابط وما كان ليخطئه لولا أن الضابط وثب بسرعة ، وكانت وثبته من القوة بحيث تجاوز السلة وسقط فى البحر . ولم يكن لهذا قيمة ، فقد كان لابساً حزام النجاة ، فبعثنا بإشارة إلى أحدى المدمرات لتلتقطه . على كل حال أظن أن المرء حين يكون عليه أن يثب عن السطح ، يؤثر أن يتلقاه شىء أقرب من موجة على مسافة مائة قدم تحته » .

وصاح البحار ذو المنظار : « تدلى الخطاف » فهذه طائرة أخرى تدور دورتها الواسعة حولنا .

وصاح بحار آخر خلفنا : « السطح غير مهيأ » فرددنا عيوننا إلى السطح فرأينا أن الطائرة الأولى ما زالت عالقة بالترس .

فقال ضابط الإشارة : « أظن أنه يحسن أن أشير إلى الطائرة المقبلة أن لا تهبط » ورفع علميه البرتقاليين عاليين فوق رأسه ولوح بهما بسرعة يميناً وشمالا ، فمضت الطائرة تزأر فوقنا على مسافة مائة قدم .

وقال ضابط الإشارة : « إن هذا سيكلف الطيار الأول (الذى هبط بطائرته) كثيراً » ذلك أن طيارى هذا السرب بينهم رهان . وأحدهم يجلس هنا ومعه ساعة دقيقة ، ولكل طيار عدد معين من الثوانى يعلق فيها الخطاف بالسلك ، ويقف ، ويطوى جناحيه ، ثم يسير بطائرته إلى ما يلى الترس ليفسح للطائرة التالية فتهبط ، وهو يغرم ملليمين عن كل ثانية أخرى يقضيها عند الترس ، وتذهب الغرامات إلى صندوق المقصف . والطيارون يعلمون علم اليقين أنهم سيحتاجون إلى هذه الثوانى الإضافية فى الحرب .

وقال ضابط آخر ، هو الملازم بول بودويل: « ولكن الذين يعملون على سطح الباخرة يتوقف عليهم شىء كثير » .

فهز ضابط الإشارة رأسه موافقاً وقال : « إن على هؤلاء الرجال أشق مهمة فى أصعب مكان فى السفينة . وتصور أن تؤدى

عملك وأنت تزحف تحت أجنحة الطائرات المتلاصقة بدناً إلى بدن ، ومعظمها لا تزال مراوحها دائرة » .

* * *

وبرز رأس فوق السلم الذى يهبط إلى غرف الطيارين ، وكان رأس الضابط فرانك ويتاكر من سرب الطائرات المنقضة، فابتسم لى وصاح :

« استعدوا جميعاً للطيران » .

فغطست تحت الأجنحة على مدرج الطائرات ، واتقيت المراوح ، وصعدت إلى ماوراء مقعد المدفعى الذى معه الراديو .

وصار صوت المحركات التى سخنت ، زئيراً عالياً . وبدأ السطح يبدو لى كأنه ينزلق ، ثم لم يبق ثم سطح فيما أرى ، لأننا نرتفع بالطائرة ، فأنا أرجع البصر فأرى حاملة الطائرات تتضاءل ، وقاذفة طوربيد أخرى تنزلق على السطح لتحلق ، وتموج السماء موجاً رائعاً ونحن نرتقى فى الجو ، وأرى على بعد تحتى مدمراتنا التى تتولى حراستنا منتشرة أمام حاملة الطائرات تتشمم وهى تشق الموج كـكلاب الصيد حين تتقدم الصياد ، ولا تزال تدس أنوفها فى العشب وتشم .

واختلجت السماعة على أذنى فسمعت صوت ويتاكر يقول : « هذه طائرتنا المقاتلة إلى الخلف » فمددت عنقى فرأيتها على مقربة منا ، وهى حريصة على متابعتنا حتى كأنها جزء من كيان طائرتنا .

واختلجت السماعة مرة أخرى : « أتنوى أن تجرب هذه المدافع التى من عيار ٥٠ ؟ » وكان هذا صوت ويتاكر يسأل المدفعى فى برجه فوقى .

« أنا مستعد ياسيدى » .

« يمكنك أن تقذف بعض رصاصات خطاطة من فوق هـذه المقاتلة . لا ترمها بقربها جدا . حسبك أن تعابثها قليلا » .

ومضت ثوان ، ثم جاء صوت الطلقات ورأيت الرصاصات المضيئة الخطاطة ترسم أقواساً فوق طائرة القتال ، فوثبت كأنها عصفور فزع ينقض عن سلك تليفون . وهبطت المقاتلة وترجحت تحتنا .

وسمعت المدفعى يضحك ويقول : « لقد أيقظناه ! وخذ حذرك ياسيدى فإنه سيكر علينا الآن ولا شك » .

فقال هو ويتاكر : « فلنهرب منه » .

وصرّ مقعـدى حين ملنا فجأة لدورة صعودية : « سأدخل فى سحابة » وما هى إلا ثوان قليلة حتى صارت نوافذنا يغشاها الضباب الكثيف . ثم انحسر عنا ، وعدنا نبصر السماء الزرقاء والماء .

وصاح المدفعى : « هذا هو ! إلى اليمين

والأمام ، وعلى ٥٠٠٠ قدم فوقنا — لقد رآنا — ها هو يقبل ! » .

وكان جناحا الطائرة المقاتلة يبدوان كشعرتين دقيقتين ، ثم أخذا يكبران ، وأنا الآن أرى مكان الطيار وخوذته اللامعة فى ضوء الشمس .

وصاح المدفعى مرة أخرى : « خذ حذرك ياسيدى ! » وتلوت القاذفة تحتى تلويا شديداً ولكن بعد الأوان ، فقد رأيت فوهات المدافع فى الطائرة المقاتلة قبل أن تنثنى هابطة وتذهب عنا .

وكان التدريب فى هذا اليوم يحرك النفس تحريكا لا يكاد يصدقه المرء . وقد نحتاج قريباً إلى المهارة التى تفيدها هذه التداريب حين نواجه اليابانيين .

***

ووقفنا الخطاف برجة ليست أثقل من رجة الآلة الرافعة للبضائع فى السفن ، إذا أدرتها بغير إحكام . وثقلت وطأة الجو الاستوائى الحار الرطب ، فسرعان ما نضوت بذلتى فى غرفة الطيارين ، وهى المكان الوحيد المجهز بآلة تكييف الهواء فى السفينة .

ولما صارت ثيابى التى أرتديها فى الطائرة على مشجبها ، أدرت عينى فرأيت خرطوماً من الخراطيم العديدة لإطفاء الحريق فى السفينة ، ملفوفاً على رف فملت وحدقت فى صنبوره الغريب .

فرفع الملازم يوسف ج . بودويل (الأصغر) عينه إلىّ ، وكان مضطجعاً على أحد المقاعد ذوات الوسائد وقال : « أحسبك لم تر مثل هذا من قبل . إنه صنبور للضباب — يطلق كرة ضخمة من الضباب تخمد النار على الفور . ولو كانت حاملة الطائرات « واسب » مجهزة بمثله لما بدأت الحرب لبقيت تمخر البحر وتقاتل(١) . نعم فقد كنت على ظهر الواسب لما احترقت . وقد كنت أفكر فيها طول يومى هذا » .

« وأنا أيضاً » قالها الملازم بدويل الذى هبط إلينا من سطح الباخرة : « ولن أنسى قط ذلك اليوم على ظهر « الواسب » وكنت واقفاً على السطح بجانب طائرة مقاتلة ، وإذا بومضة عظيمة ، ورجة فظيعة ، فتقوض جهاز الهبوط فى الطائرة التى كانت إلى جانبى ووقعت على بطنها ، ولم أصرع أنا ، ولكنى كنت أترنح كأنما ضربت على أم رأسى ، ومالت السفينة على جنبها الأيمن ثم اعتدلت

(١) غرقت حاملة الطائرات « واسب » التابعة للولايات المتحدة فى ١٥ سبتمبر ١٩٤٢ ، ضربتها غواصة يابانية بينما كانت قائمة بتغطية حركة النجدات والمؤن المرسلة إلى جزيرة وادى الكنار فى جنوبى المحيط الهادى . وقد أنقذ من رجالها حوالى ٩٠ فى المائة .

« وصار الدخان والنار يدخلان المرقب فوقف الربان الآلات ، وتلقيت أمراً بأن أدفع الطائرات التى على مدرج الطيران وألقيها من الجانب الأيمن . وكان طرف مقدم السفينة يبدو كأنه يحترق كله ، وكان بعض النوتية يحتشدون فى المؤخرة على مدرج الطيران ، ويحملون الجرحى ويصعدون بهم . ولكن رجالى فى رقعتى من السطح كانوا من حسن التدريب بحيث كانوا يدفعون هذه الطائرات ويلقون بها فى البحر كأنما كان هذا عملا عاديا .

« وكنا نسمع انفجاراً فى إثر انفجار تحتنا فى الحظيرة . فقد كانت هناك طائرات موسوقة قنابل زنة ألف رطل ، أو قنابل أعماق ، وكذلك كانت طائرات الطوربيد مزودة بذخيرتها » .

وقال بوديل : « ذلك هو المكان الذى كنت فيه . وقد اتفق فى الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين ، أن كنت فى المكتب معنيا ببعض الأوراق ، وكان هناك ثلاثة من المتطوعين عراةً إلى الخصر يلعبون على الأرض وإذا برجة فظيعة فانطفأت الأنوار وبدأ الدخان يدخل ، وذهب أحدهم يعدو إلى غرفة المدفعية ، فوقعت عليه خزانة كبيرة وسمرته إلى الأرض .

« ثم شبت النار ، وسرت مع خط خراطيم الوقود على السطح . وارتفع لهبها حول الهيكل الفوقانى . ثم سمعت صوت أعز أصدقائى ، وكان قد صار فى سجن من الغرفة التى كان فيها ، فقد أوصد الانفجار بابها الحديدى ، ولم يكن ثم أمل فى فتحه ، وكانت ألسنة النار تضطرب حول الغرفة وهو يصرخ ويصيح: « أنقذونى من هنا ! » من نار البترول ودخانه ! لقد كان خير صديق لى ولكنه لم يكن يسعنى شىء .

« وفى الحظيرة ، وجدت كل الطائرات تضطرم وقنابلها تنفجر والشظايا تتطاير فى كل ناحية . وكان هذا مروّعاً ! وألفيت ضغط الماء منخفضاً إلى حد لم تعد معه الرشاشات الآلية صالحة للعمل .

« ونظمت ثلاث فرق لمكافحة النار ، وكلفتها أن تذهب إلى هذه الطائرات وتحاول إطفاءها . ولكن هذا لم يجد شيئاً لأن تدفق الماء كان يزيد النار امتداداً .

« وكان الانفجار فى الطائرات التى فى الحظيرة يفتح أنابيب الوقود ويسيله ملتهباً إلى الركب . وكان بعضنا لا يزال يعالج إخماد النار والبعض يلقى بنفسه فى البحر ، وإن كنت قد حاولت أن أستبقيهم ليعملوا ، فما كنا تلقينا أمراً بترك السفينة . ثم إذا بانفجارات عنيفة من المقدمة عرفنا أنها من المخازن » .

وقال بدويل « وبعد ذلك مباشرة انفجار

من مخزن الذخائر للمدافع من عيار ٥٠ر٠ كان فى أسماعنا أشبه بأصوات الاحتفال العتيق الطراز بيوم ٤ يوليه .

« ولما جاء الأمر من الربان بترك السفينة كان مئتان من الرجال قد ألقوا بأنفسهم فى الماء لأن النار أدركتهم ، فاضطروا إلى الوثوب . وكان آخرون قد مزقوا مظلة واقية شرائط مستطيلة، وربطوا بعضها ببعض واتخذوا منها حبلا شدوا أحد طرفيه إلى قضيب فى الممشى . وكان الطرف الآخر يهبط إلى مستوى الحظيرة ، ومن هناك يجب أن تتخلى عن طرف الحبل وتسقط .

« والذى لن أنساه أبداً هو تلك المئات من الأحذية . فقد كان كل واحد يخلع نعليه ويضعهما بعناية واحداً لصق الآخر على مدرج الطيران، وأحياناً يصل رباطى الحذاءين حتى لا يتفرقا . فلماذا كل هذه العناية وذلك الحرص ، وأنت لو فكرت خليق أن تدرك أنك لن ترى حذاءيك مرة أخرى ؟ إن هذا يريك ما يصنع التدريب » .

وقال بوديل « الذى لن أنساه أنا هو الأميرال . فإنه لما جاء الأمر بمغادرة السفينة مشى وسط النيران واتخذ مكانه المعهود . وكان نظيف الثياب ، يرتدى ملابس طويلة تحتية من صوف ، وقدماه فى صندلين مما يلبس فى غرفة النوم ، وعليه سترة طيران ، وخوذة طيار ، وعلى عينيه نظارة .

« وقد هبطت على شبكة البضاعة وألقيت بنفسى فى البحر ، ثم كابدت أول إحساس بالجزع ، فقد كان بعض هؤلاء الشبان الأغرار لا يثقون بمناطق النجاة ، فبدلا من أن ينأوا عن السفينة ، راحوا يتشبثون بها ويتعلقون بأظافر أصابعهم بصفحة جانبها ، وهذا شر ما كان يمكن أن يصنعوا . ورأيت شاباً يبكى وهو فى الماء. فقد أصاب ساقه الخدر ، فقنط من النجاة ورؤية أهله ، فسحبته إلى طوف.

« وكان الضباط يجمعون البحارة ويقسمونهم فرقاً ، ويحملون الجرحى على الأطواف حتى لا تجتذب دماؤهم كلاب البحر. وفى هذه اللحظة بصر الطراد جينو ، وكان قريباً ، بغواصة ، فذهب فى أثرها بأقصى سرعة وصب عليها وابلا من قنابل الأعماق وتالله ما كان أروع ذلك وأشرحه لصدورنا ! »

وقال بدويل : « جعلت أسبح بكل ما أملك من قوة لأنأى عن السفينة ، وكنت أخشى فى كل لحظة أن تنفجر مخازن الطربيد ، وكانت النار تمتد بسرعة لأن أنابيب الوقود لم تصف مما بقى فيها بعد تزويد الطائرات بالوقود ، وهذا ما لا يمكن أن يحدث فى حاملة الطائرات هذه » .

وقال بوديل : « وما لبثت المدمرة أن التقطتنا جميعاً فقعدنا على سطوحها ، وراقبنا

« الواسب » وهى تحترق ، وكنا نستطيع أن نرى حظيرتها كلها وهى تنشق وتتبدى خيل إلينا أنها مسرح أقيم فى الجحيم .

« وعند الغروب أصدر الأميرال أمره بقذفها بالطربيد ، فأصابها فى وسطها ، وكنا قعوداً على سطح المدمرة ، وأعيننا عليها ، وقد غرقت من فورها ، بمقدمها أولا ، ولكن بإباء وعناد . وقد لبثت أنظر إليها حتى انقلبت ، ثم لم أستطع أن أواصل النظر ، فنهضت وغبت فى أنحاء المدمرة .

« ولكن هذه لم تكن النهاية ، ففى صباح اليوم التالى حوالى الساعة الحادية عشرة ، وقفت آلات المدمرة ، ورأيت العلم ينكس فعلمت أنهم يقيمون صلاة على أرواح الموتى وأن الجثث مخيطة عليها أكفانها البيض ستلقى فى اليم . وكرهت أن أرى ذلك ، ولكنى وأنا أنظر إلى المدمرة الأخرى كنت أرى على خط المـاء الرشاش الأبيض الذى يحدثه سقوط الأجسام فى المـاء ، فى نفس الوقت الذى كانت تلقى فيه الجثث عندنا » .

وما كاد بوديل يقول هـذا حتى نهض فجأة وغادر غرفة الطيارين دون أن يتلفت .

وفى تلك الليلة ، وبعد ساعة من العشاء ، كنت أحادث الكومندر باجدانوفتش ، وكنت قد رأيته مع عدد قليل من الضباط فى الركن الآخر من المقصف الكبير .

فقلت له : « أستأذنك لحظة ، فإنى أريد أن أتحدث إلى بوديل » .

فقال باجدانوفتش : « مهلا ، لو كنت مكانك لما ذهبت إليه هناك ، فإن هذه الجماعة من رجال (الواسب) » .

قلت : « إنى أعرف معظمهم فلا ضير إذن » .

قال بلهجة الحزم : « بل هناك ضير . وقد تعلم أن الواسب غرقت منذ عام وهذا يوم ذكرى غرقها . وقد تواعد رجال الواسب أثناء العشاء على الاجتماع ، فى هذه الليلة وحدهم ! » .

أوصاف :

- إنه أدنى إلى أن يزيد الحديث حرارة لا ضوءاً [ودرو ويلسون]
- عقل غير مستقر كالهلام [روث سانبورن]
- إن ذاكرته كذاكرة المرآة [برايفن دابار]

يسهل على المرء أن يعيش على مرتب صغير إذا هو لم يسرف فى الإنفاق على أن يحفظ مرتبه سراً مكتوماً ! [مجلة كابر الأسبوعية]

القنفذ حيوان شائك ومسألة شائكة :

القنفذ.. علامة استفهام الغابات

ألن ديفو

ملخصة عن مجلة « كنترى جنتلمان »

القنفذ أصغر من القندس، ولكنه يحمل من السلاح الفتاك ما يكفى لقتل نمر (سبع الجبل). وهو هادئ الطبع مبغض للقتال، يتقدم إلى المعركة سائراً إلى الوراء. وهو متين الخلق حتى إنه ليمضى فى طريقه برغم إطلاق الرش عليه مراراً، ومع ذلك تقتله ضربة واحدة من عصا على طرف أنفه المرهف الإحساس.

اسم القنفذ بلغة العلم «أرتيزون دُرساتوم» ومعناه «الظهر السريع التأثر». ولكن مهما يكن اسمه، وأين كان موطنه، فهو تحفة نادرة من تحف الطبيعة فى معرض عجائب الغابات.

هو حيوان قارض غليظ الجسم مفرطح الوجه، يبلغ طوله ٣٠ بوصة، وطول ذيله ست بوصات، ويتفاوت وزنه بين ١٥ و ٢٥ رطلا. فى رأسه وظهره وذيله العضل القوى كنانة نبتت فيها سهام مريشة، تصلصل حين يمشى كما تصلصل جعبة من السهام. وسهامه ريش أجوف كالأنبوب، رقيقة المغرز فى الجسم حتى تكاد تتهافت على أدنى اللمس. وهى محددة الأطراف، ويغطيها شوك كثير قاطع كالأسل، وهى من مادة قرنية، فإذا ما غرزت فى جسم الفريسة الدافئ الرطب أخذت تنتفخ، ويقف الشوك الذى يغطيها، ثم تمضى تنغرز فى الجسم.

وما يتسم به القنفذ من سمات خاصة إنما هو على الغالب نتيجة لما أغدقته عليه الطبيعة من أسباب الحماية. فهو لا يحتاج إلى ذكاء حاد، ولا إلى قوائم سريعة الحركة. فهو يقضى حياته هائماً كأنه يمشى الهوينا، وقد يلبث نهاراً كاملا فى شجرة لا يبرحها إذا استطاب طعم لحائها، أو يجوس وادعاً خلال العشب تحت الشجر، وهو يلغط بضروب من الأصوات بين نفخ وصراخ وثرثرة وقُباع، محدقاً بنظرة كليلة بلهاء فى كون لا يستطيع أن يناله بأذى. فإذا سقط فى الماء أبقاه الهواء الذى يملأ سهامه عائماً لا يغرق، كأنه قطعة من الفلين. وإذا هوى من شجرة، كما يهوى أحياناً، خففت سهامه عنه شدة الصدمة. فلا عجب فى أن

تكون سمته سمة المستفهم المتعجب ، فهو بها خليق .

وقلما يختلف سلوكه إذا ما قطع عليه خصم جدول حياته الرقراق ، فهـو يخفى رأسه إذا استطاع تحت جذع من الخشب ليحمى أنفه الرقيق الحساس ، ثم يضم قوائمه لابداً بالأرض ليحمى بطنه العارى غير المسلح ، ثم يشرع سهامه حتى يبدو كأنه مغرز دبابيس ، ويصير حجمه البادى ضعف حجمه الطبيعى ، ويضرب بذيله ضرباً قوياً يميناً وشمالا . فإذا كان الخصم فطناً أسرع فابتعد عنه .

ولكن إذا حاول كلب أو وشق (سبع من فصيلة السنانير قتال سفاك للدماء) أو رجل أن يطبق عليه ، فعندئذ يضربه القنفذ بذيله فيغرز من سهامه عشرين سهماً حاداً فى جسم المهاجم ، وضربة واحدة كافية أن تذود عنه ، حتى الدب . فإذا أبى العدو أن يتزحزح عن مكانه ، أخذ القنفذ « يتقدم » فيسحب رأسه من مخبئه ، ويخفيه تحت جسمه على قدر ما يستطيع ، ويتقدم إلى المعركة مرتداً إلى الوراء ، وذيله يضرب ضرب المغيظ المحنق ذات اليمين وذات الشمال ، ويظل يرتد حتى يبلغ أدنى شجرة إليه فيتسلقها غير مضطرب ، ويعود يقضم الأغصان كدأبه كأن لم يحدث شيء . ومع أن سائر الحيوانات تحـذر القنفذ وتتجنبه ، فقد وجدت ثعالب وذئاب وهررة برية ونمور ودببة وهى ميتة فى الغاب ، قد قتلتها سهام القنفذ .

وليس فى وسع القنفذ أن « يقـذف » سهامه ، ولكن السهام رقيقة المغرز ، فإذا ما طوّح بذيله انقذف منه بين الحين والحين سهم يمضى كأنما قذف عن وتر مشدود . وما يفقده القنفذ من السهام يستجدّه فى بضعة أشهر ، وليس فى هـذا بأس عليه . فعشرة سهام تكفى كى يذود ثعلباً ، وعشرون ترد الهر البرى وهو يعوى ويتضور من شدة الألم . هذا وفى كنانة القنفذ عشرون ألفاً من السهام .

وأكثر مايلتمس القنفذ طعامه فى الليل . ولا يرحل فى طلبه إلا أقصر رحلة تنبغى له ، وقد يقضى شتاء كاملا فلا يتجاوز أرضاً مساحتها فدانان ، وقد يقتصر خلال الفصل كله على ثلاثة أشجار أو أربعة أشجار . وهو يستوى دائماً فى فرجة بين جذعين أو غصنين كبيرين ، حيث يطيب له المقام ، ويأكل من لحاء الشجر ماكان فى متناوله لا يكلف نفسه مؤونة الحركة .

ولكنه لا يضن بجهد يبذله فى سبيل الأغصان الغضة . وأسلوبه فى ذلك — وهو أسلوب ينطوى على المكر والدهاء — أن

يجمع أغصاناً رقيقة كثيرة ، ويضم بعضها إلى بعض بعناية لكي تحتمله مجتمعة فلا تنوء به ، ثم يسير عليها بأقصى مايطيق ، ثم يثنى رءوسها نحو مخالبه القوية ويقضمها ملقياً بأطرافها الغضة فى فمه ، كما يفعل أحدنا وهو يأكل كوزاً من الذرة .

وتعترى القنفذ نوبة غريبة تجعله يعول بغتة إعوالا طويلا أليماً ، شبيها بعويل طفل نائم على دبوس يخزه . فإذا انتابته ، جثم مستريحاً مطمئناً على رأس شجرة ، وليس فى وجهه تعبير ما ، ثم يصيح ويصرخ ساعة أو نحوها .

ولعلّ أغرب أطوار القنفذ ما يعتريه من جنونه بالملح ، فهذه الشهوة تدفعه فى سواد الليل مترنحاً تقعقع سهامه إلى منازل الناس فى الغاب ، فإذا وجد الزبد أكله كله ، وإذا لم يجد إلا وعاء الزبد المصنوع من الخشب مضغه ليتلذذ ببقايا ملح الزبد العالق بالخشب . وقد يقرض مقابض الفؤوس طلباً لطعم الملح العالق بها من عرق الحطابين . وقد استيقظ غير واحد من الحطابين فى الليل البهيم على أصوات غريبة تترامى إليه من الخيمة التى تحفظ فيها المفرقعات ، فإذا فيها قنفذ يأكل أعمدة الديناميت !

وقد روى إينوس ملز العالم بالتاريخ الطبيعى ، وصف معركة بين قنفذ وظربان (وهو حيوان خبيث البطن منتن الرائحة ، إذا أطلق ما فى بطنه على خصمه أسدره وحيره بخبث رائحته) . وكأن كلا الخصمين كان يعلم بالفطرة ما السلاح المخيف الذى فى حوزة خصمه ، فيحجم عند بدء المعركة . وكان صبر القنفذ أعظم من صبر الظربان ، وإذا الظربان يقذف سائله الخبيث ، وإذا الرد لطمة قوية من ذيل القنفذ ، فانتهت المعركة . وقد ظلت الرائحة الكريهة عالقة بجسم القنفذ بضعة أيام ، ولكن جسم الظربان العارى كان قد أثخن بخناجر القنفذ المرهفة فلم يعش طويلا .

والقنفذ يكسب معظم معاركه بمثل هذه السهولة خلال عشر سنوات أو اثنتى عشرة سنة من حياته . وقد يتمكن حيوان من طائفة ابن عرس من أن يقلبه على ظهره أحياناً ويعض بطنه حتى يقضى عليه . والقنافذ فى الولايات المتحدة تعيش فى مناطق معينة يحميها فيها القانون . والقانون يحميها لأن القنفذ هو الحيوان الوحيد الذى يسهل قتله على رجل غير مسلح تائه فى الغابات ، فضربة من عصا على أنفه الحساس تكفى للقضاء عليه ، وتمد الرجل بقطعة من لحم غليظ خشن ولكنه وافر الغذاء .

والقنفذ لا يميل إلى أن يعيش فى جماعات وأسراب ، ولكن بقاءه وتكاثره دليل على

أنه لا يؤثر العزلة كل الإيثار . ووقت لقاحها فى شهر أكتوبر وتضع صغارها فى شهر إبريل التالى . وأنثى القنفذ تبلغ ٣٠ بوصة طولا ، ومع ذلك فطول وليدها يبلغ إحدى عشرة بوصة . فوليد القنفذ أكبر فى الواقع من وليد الدب الأسود . وهو مدجج من قبل ولادته بسهام طول أحدها نصف بوصة ، ولقد ظل رجال الغابات سنين وهم فى حيرة يتساءلون عن مشكلة ولادة هذا النوع الشائك من المواليد .

وهم يميلون كذلك إلى التكهن بالأساليب التى يتبعها هذا الحيوان الشائك فى لقاحه . فهنود الغابات الشمالية يقولون إن الأنثى تتعلق بغصن صغير ، وتدلى رأسها إلى أسفل ، فيدنو منها الذكر من فوق بطريقة عجيبة . وهناك آراء أخرى كثيرة . ولكن الحقيقة هى أن القنافذ تتلاقح كسائر الحيوان من ذوات الأربع .

ولكن مهما تكن الطريقة التى يتم بها لقاح القنافذ ، فإنها تفضى أحياناً إلى عواقب تستوقف النظر وتصح أن تكون خاتمة عجيبة لحياة كلها عجب . فقد تنسى الأنثى أن تضم سهامها إلى جسمها ، حين يقبل الذكر عليها باذلا لها حبه وحنانه ، فتطعنه سهامها فيموت ! .

فى الحياة

● أكبر مفلس فى الحياة هو من فقد حماسته ، ولو فقد كلَّ شىء ما عدا الحماسة ، لجاز سنوات الخيبة إلى النجاح .

[هـ . و . أونولد]

● السعادة طيب لا تستطيع أن تضمّخ به غيرك بدون أن تنثال منه قطرات عليك .

[إيمرسون]

● كلُّ إنسان يستطيع أن يحتمل نفسه ، يستطيع أن يحتمل كل شىء فى الحياة . إنه يستطيع أن يعيش بغير رجاء أو أصدقاء أو كتب أو موسيقى ، ما دام قادراً على أن يصغى إلى ما تهتف به نفسه أو إلى أغرودة طائر خارج نافذته أو إلى هدير البحر البعيد .

[أكسيل مونتى فى « قصة سان ميشيل »]

الرجال الذين يواجهون الموت يحسبون أن الله قريب منهم

ليس في الجو إلحاد

فردريك سوندرن

ملخصه عن مجلة « حقائق الطيران »

كان طيار إحدى قاذفات القنابل يصف لنا عودته من إحدى الغارات. لم تكد الطائرة تمس الأرض وهي تهبط، حتى سمع دوى هائل، وذلك أن إحدى ممسكات القنابل لم ترسل قنبلتها على الهدف، فظلت القنبلة في مكانها، ولم ينتبه لها أحد، حتى أسقطتها رجة هبوط الطائرة على الأرض.

فانفجرت على مدرج المطار، والتهبت الطائرة كأنها شعلة.

قال الطيار: « لم أكن فقدت الوعى.

فحاولت الخروج من الطاقة الصغيرة المجاورة لمقعدى. وكان اللهيب يلفح ظهرى ورجلى فتمكنت من الخروج بنصف جسمى، ولكن المظلة المثبتة فوق ظهرى عاقتنى، فاضطررت لأن أعود إلى النار، وأن أحاول إخمادها، فلم أستطع ولم تلبث أصابعى أن خدرت. وآخر شيء أذكره أنى صحت: « رباه! أعنّى بفضلك! ».

ولما ثابت إلىّ نفسى، ألفيتنى ملقى على الأرض، والطبيب إلى جانبي. ولا يدرى أحد كيف استطعت الخروج من تلك الطاقة وتردد قليلا ثم قال: « والذى أظنه أن الله هو الذى أنقذنى ». وكان يتكلم بلهجة الجد، والطيارون الذين حوله يؤمنون على ما يقول، ولم يبد أحد منهم شكا فيما سمع، فإن أكثر رجال الجو يؤمنون بأن منقذهم من أشد المآزق وأخطرها هو العناية الإلهية.

تخرج فردريك سوندرن من جامعة هارفرد عام ١٩٣٢، ثم بعث إلى أوربا مراسلا للصحف التابعة لنقابة ماكلور. وبعد أن قضى خمس سنوات يراسل نقابته بما يجرى في النمسا وألمانيا، تولى منصب رئيس قسم التحرير الأجنبي فيها. وهو الآن محرر متجول لمجلة ريدرز دايجست، وقد قضى الأشهر الأخيرة في أفريقية.

وأخذ طيار آخر من قاذفى القنـابل ، يصف لى تجاربه فى صراحة ، فقال : « حين أصيبت طائرتنـا بقنابل المدافع المضـادة ، تعطل المحركان ، وهوت الطائرة إلى البحر. فأخـذت أبتهل إلى الله ، وكان ذلك آخر شىء أذكره . استعدت وعيى فى المـاء ، فألفيت نفسى فى حالة شنيعة ، فإن رجلى قد تحطمت من تحت الركبة ، والماء من حولها مخضب بالدماء ، فأيقنت أن النزيف سيقضى علىّ فى بضع دقائق . وعندئذ وكزنى شىء ما وسواء أصدقتنى أم لم تصدقنى فقد كان لوحاً من الخشب وفوقه صندوق الإسعافات الذى كان فى الطـائرة ، فاستخرجت منه كلابات وقف النزيف ، واستطعت بمساعدة أحـد الزملاء أن أركبها ، وأن أحبس تدفق الدم. وجاءت طائرة أخرى ، وألقت إلينا زورقاً من زوارق الإنقاذ ، وبعـد أربع ساعات التقطنا قارب النجاة . فإذا كنت لا ترى أن هذه معجزة ، فأخبرنى ما تكون المعجزة ؟ كن على ثقة ، ياسيدى ، أن رحمة الله قد كان لها شأن فى هذا الحادث » .

إنى لأدرك كيف كان يحس فى نفسه ، فقد كنت مرة أحد الركاب فى قاذفة متوسطة الحجم ، موقرة بالذخائر وفيهـا ثلاثة ركاب آخرين غير الطيارين . وإذا باثنتى عشرة طائرة من طراز مسر شمت ١٠٩ تفاجئنـا بحيث لم يكن فى وسعنا أن نصنع شيئاً لتفاديها، وكنا فريسة سهلة ، فنظر إلىّ المدفعى وهو يبتسم وصاح بصوت أعلى من أزيز الطائرة: « أظن الساعة قد دنت ! » ثم أمسـك بالأيدى التى تدير المدافع ، وأحكم تسديدها إلى الهدف . ولـكنى كنت فى شغل عنـه ، إذ كنت أحاول أن أسـتذكر كيف أدعو وأبتهل ، فقد كان آخر عهدى بالدعاء أيام الطفولة . فلم ألبث أن استذكرت قليلا من الأدعية ، ولـكنه ، على قلته ، كان صادراً عن إخـلاص محض . ونظرت إلى المـدفعى ، فرأيته مثلى يحرك شفتيه .

وفى اللحظة الأخيرة حدث ، ولا ريب ، للسرب الألمانى أمر ردّه عنا ، وربما لم يكن الوقود لديه كافياً للقيام بعمل حربى . ومهما يكن من شىء ، فقد غيروا اتجاههم وعادوا أدراجهـم . فأخرجت وأخرج المـدفعى سيجارة ، وأخذنا نشعلها فى هدوء وتفكير. وهو فتى قوى الشكيمة من الحى الجنوبى فى بلدة بوسطن ، يجمع بين البراعة والجلد . ومرت بنا لحظة ونحن ندخن صامتين. وأخيراً سألته : « هل كنت تدعو ؟ » فأجاب : « أجل كنت أدعو ! » ثم نفخ نفخة من الدخان وقال : « إن أكثرنا يفعل ذلك ! »

وقصصت ذلك على أحد القسس ، فقال وهو يبتسم : « صدقت ! إنك لن تجد بين

طيارينا كثيراً من الملحدين . إن الذين يواجهون الموت يحسون دائماً أن الله قريب منهم ، وهم على خلاف ذلك حين يجيئون من مدارس التدريب لأول مرة ، فتراهم قليلى الإقبال على الكنيسة . ولعلهم يظنون أن شدة التدين لاتلائم مظاهر البطولة ، ولكن أكثرهم لايلبث أن يتغير بسرعة ، تعال إلى الكنيسة غداً لكى ترى بعينيك » .

كانت الكنيسة فى صباح ذلك الأحد عبارة عن الشبكة المنصوبة لإخفاء بطارية من المدافع المضادة للطائرات ، وكان المذبح عبارة عن لوح من الخشب ، والموسيقى الوحيدة هى أزيز الطائرات المقاتلة فى المطار المجاور . ولكن إخلاص المصلين قد أكسب هذا المكان مهابة ليس لها نظير . فلقد كانت تلك الوجوه الفتية التى لوحتها الشمس ، تشع بالإخلاص والجد الذى لم يبرحها لحظة واحدة أثناء الصلاة كلها . وهذه العبادة لم تكن من قبيل تلك الزيارات الإجبارية للكنيسة التى يبغضها الجنود ، بل كانت كما وصفها القسيس تؤتى طوعاً لا إكراه فيه .

ولكن هؤلاء الفتيان لا يكتفون بالذهاب إلى الكنيسة ، بل يصطحبون إيمانهم فى طائراتهم وحملاتهم . وكان هناك قاذفة من طراز ب — ٢٤ وهى من الطائرات الضخمة التى طالما اشتركت فى أشد الحملات خطراً فوق إيطاليا ، وبين طياريها شاب كان يدرس اللاهوت قبل التحاقه بالطيران . وكان أصحابه بالطبع يسمونه « القسيس » وكلما اقتربت الطائرة من إحدى مناطق المدافع المضادة ، صاح الربان : « حان وقت الصلاة ! » وهنالك يبادر « القسيس » فيدعو دعاء قصيراً . وحدثنى أحد الطيارين فى هذه السفينة فقال : « كان بعض الفتيان يستهزؤون بما نفعل ، ولكنى لاحظت أنهم قد كفوا عن ذلك » .

وكنت ليلة فى أحد الأندية التابعة لضباط الأسراب المقاتلة . فدار الحديث حول الدين . فتكلم شاب يدعى « سكوت » وكانوا يعدونه أشدهم جرأة وإقداما — فقال : « إن كل ما أعرفه هو أنه لابد أن الله كان ينظر إلىّ . فلقد كنت أطلق قذائفى مرة وأنا على ارتفاع منخفض ، وإذا بالمدافع المضادة تطلق بشدة على الطائرة . فحاولت التحليق بالطائرة ، فلم أستطع . ولابد أن أدوات التحريك قد أصيبت بخلل . فصحت من فورى : « اللهم كن معى هذه المرة ! » . ولابد أن الله قد سمع ندائى ، فمنحنى فرصة أخرى . فلقد تخلصت من تلك الورطة ، وبت مؤمناً بأن الله معى ، وأنا سعيد بهذا الإيمان » .

فقال ضابط شاب آخر على صدره صفان من أشرطة الأوسمة : « أجل . إنك إذا

سألت الله أمراً وأنت خاشع خاضع سيدهشك ما يحبوك به » . وكان يبدو على هذا الشاب كأنه لا يريد أن يفضى جهاراً بأكثر مما أفضى به . فانتحيت به ناحية بعد أن افترق الجميع وقلت له : « ماذا عنيت بالعبارة التى قلتها ؟ » فقال : « ما بى رغبة لأن أتكلم عن هذا الأمر كثيراً ، لأنه يكاد يكون أمراً خاصاً . ولكن إذا كنت حقيقة تريد أن تعرف فإليك الخبر » .

ثم استوى على كرسيه وقال : « ما كنت قط من المتدينين ، وكنت أكره أن أذهب إلى الكنيسة . وقد تألمت أسرتى لمسلكى هذا ، ولكنها لم تلبث أن يئست من إصلاحى .

« فلما جئت إلى هذا المكان كنت ألقى مشقة كبيرة : كنت أرتاع بسهولة ، ويأخذنى الخوف ، وكذلك كنت شديد الهم والقلق على زوجتى .

« وفى يوم من الأيام كنت مقبلا على قتال عنيف ، فتذكرت عبارة قالها لى والدى مرة : « يا بنى إذا رأيت نفسك حقيقة فى مأزق حرج فادع الله ، وكن على ثقة بأنه سيعينك » . وهكذا فعلت ياسيدى ! واستجيب دعائى . وإذا أنا أسوق طائرتى ببراعة ، وأطلق مدافعى بإحكام ، وأعمل كل شىء بإتقان ليس لى عهد بمثله ، وقد حدث هذا كله فجأة .

« ومنذ ذلك اليوم ، ما برحت أدعو الله . ولقد علمت أن زوجتى فى حفظه ورعايته ، فلم أعد أقلق عليها . ولقد زال عنى ما كان يعتادنى من الرهبة . لقد صرت حذراً ولكنى لم أعد أفزع . لقد أصبحت تحت رعاية الله » :

فقلت له : « ولكن كيف تكون حالك بعد الحرب ، أتظن أنك ستنسى هذا كله ؟ »

فقال وهو يزن كلامه ، « كيف أنساه ؟ أليس هو خير عون لى ؟ إذن فسيظل أعز عون ونصير » .

إن المرء ليسمع مثل هذه القصة كثيراً فى كل مكان ، وقد قال لى القسيس : « نحن جميعاً نعتقد كما يعتقدون » ثم أشار بيده إلى كتابة منقوشة على باب خيمته ، نصها : « إذا كنت فى مأزق ، فالتمس العون من الله ! إنه عزيز كريم ، وإذا لم تكن فى أزمة ، فاجتهد أن تعرفه حق معرفته ، وأن تهتدى بهديه . وإذا منحك منحة ، فبادر إلى شكره وحمده ، حتى تفوز برضاه » .

تلك هى العقيدة ، التى يؤمن بها أكثر الطيارين .

إستئصال الزهرى فى يوم واحد

پول دى كروف

أذاع بول دى كروف فى الريدرز دايجست عدد سبتمبر سنة ١٩٤٣ نبأ اكتشاف وسيلة جديدة ناجحة لمكافحة الزهرى . أبان فيه كيف أن الحمى المفتعلة . إذا ما اقترنت باستعمال الزرنيخ والبزموت ، يمكن أن تقضى على المرض فى بواكيره المعدية . يضاف إلى ذلك أن هذا العلاج المزدوج يستغرق يوماً واحداً بدلاً من الثمانية عشر شهراً التى كان يستلزمها العلاج القديم بالعقاقير وحدها .

قوبل هذا النبأ المثير من خبراء الزهرى وأقطاب الطب بالازدراء والمعارضة أما الآن فقد أصبح علاج اليوم الواحد بالحمى والعقاقير معاً نهجاً متبعاً ناجحاً فى شيكاجو ، حيث تبذل أعظم الجهود فى استئصال الزهرى .

هذا الحلم الذى لوّحت به الريدرز دايجست فى سنة ١٩٤٢ قد أصبح اليوم فى سنة ١٩٤٣ حقيقة مؤكدة فى مركز العلاج الحاسم بشيكاجو .

إن الزهرى إذا لم يعالج كما ينبغى صار داء واصباً يدوم ما دامت الحياة ، على أن ضحاياه لا يستطيعون إعداء سواهم عادة إلا فى السنتين الأوليين بعد إصابتهم . من أجل هذا كان حتماً على أطباء الصحة العامة أن يقصروا جهدهم على التنقيب عن تلك الأقلية من المرضى بالزهرى الباكر المعدى ، ويبرئوهم ، إذا أرادوا أن يستأصلوا هذا الوباء من جذوره .

فى خلال الأعوام الثلاثة الماضية كشف البحث الدقيق فى شيكاجو عن أن إصابات المرض المعدية فى باكورتها قد كادت تتضاعف ، لا لأن الزهرى قد ازداد انتشاره ، بل لأنك كلما أنعمت النظر تكشّف لك الداء المشؤوم . وقد صرف طبيب الصحة هيرمان ن . بنديسن كل همّه إلى النظر فى هذا الأمر المخيف الذى اندرأ كالسيل المتدفق على منطقة شيكاجو يهدّد الرجال المحاربين ، فعلم أن علاج الثمانية عشر شهراً بالعقاقير سلاح مفلول ، إذ فرّ ٦٧ ٪ من بين ٢١٫٠٠٠ مريض تتبعتهم مصلحة الصحة فى الولايات المتحدة ، من ذلك العلاج العنيف وهم لا يزالون خطراً على سواهم .

ودعا الدكتور ا . ا . وينجر من مصلحة الصحة بالولايات المتحدة إلى طريقة أمضى وأنجع فى إبادة الوباء المعدى ، وذلك بالتعجيل فى إتمام العلاج بالمستشفيات . فافتتح مركز العلاج الحاسم فى شيكاجو فى

نوفمبر سنة ١٩٤٢ ، وتضافرت على تمويل المشروع كثير من الهيئات الحكومية .

عولجت فى هذا المركز طائفة كبيرة من مرضى الزهرى الباكر المعدى بالطريقة الجديدة، طريقة العلاج بحمّى اليوم الواحد، التى انجلت عنها تجارب الأطباء سمبسون وكندل وروز فى دايتون بولاية أوهايو . وذلك أن يحمّ المريض ثمانى ساعات وأن يحقن أيضاً بجرع صغيرة من البزموت والزرنيخ . ثم عولجت طائفة أخرى من المرضى بمركز شيكاجو ، مدى سبعة أيام ، بمقادير كبيرة مركزة من الزرنيخ والبزموت ولكن دون أن يحمّوا .

كانت بيوت الحمى العشرة، محمّات ذوات حرارة عالية وضع تصميمها تشارلس . ف . كترنج ، واودين س . ستلر فى معهد كترنج للأبحاث الطبية . ويرقد المريض إلا رأسه فى المحمّ ، عارى الجسم يحيط به تيار من هواء ساخن مشبع بالرطوبة يتولد فى مرجل ماء كهربائى ، فترفع حرارة المحم برهة إلى درجة ٤٤$\frac{4}{9}$ مئوية فترتفع حرارة المريض إلى ٤١$\frac{1}{9}$ درجة مئوية حيث تصان على هذا المستوى بحرارة فى المحم أقل فعلا من حرارة المريض .

أما الممرضات اللائى يتولين المرضى ، واللاتى يبدون كنَدل المواصلات الجوية ، فيخترن اختياراً على دربتهن الفنية ، ووسامة طلعتهن ، ومرح نفوسهن ، ليقصصن على مرضاهن القصص ، ويعزفن لهم الموسيقى ويلاطفنهم ويرفهن عنهم . هذا على أن يكن أيضاً يقظات ، فلا تفتأ أناملهن تتحسس نبض المريض من صدغيه ، ولا تفارق عيونهن الذراع المتصل بالترمومتر الشرجى الذى يسجل حرارة المريض لمعشار الدرجة . ذلك أن الحرارة يجب أن تظل أدنى بدرجة عن درجة ٤٢$\frac{2}{9}$ مئوية التى قد يكون فيها نذير الموت .

يدخل المرضى مركز العلاج الحاسم متطوعين ، ولذلك فإن المستشفى الذى يتسع لمائتى سرير يكاد يكون دائماً غاصاً بمرضاه الذين يعالجون من الزهرى والسيلان وسائر الأمراض التناسلية . وإنها لظاهرة عجيبة ، إذ أن مرضى الزهرى فى نشأته لا يحسون من مسّ المرض ما يلجئهم إلى المستشفى . إنهم يفدون إلى المركز لأن الدعاية فى شيكاجو جعلتهم يؤمنون بأن ما يبدو تافهاً من أعراض المرض المبكر ، قد ينتهى بهم بعد حين إلى جنون أو قُلاب (هبوط القلب) لا يرجى منهما البرء . هذا ، والأطباء يرسلون إليه بعض المرضى ، على حين تساعد الحانات والفنادق على إغراء البغايا والمخادنات من النساء ، على التماس العلاج ، فإن

الأماكن التي تأبى أن تبذل معونتها توسم بميسم كبير أحمر: «الزهري هنا — الفرارَ الفرار».

ويستقبل المرضى في المركز بعطف قلما صادفه أكثرهم في ماضيه، طلباً للثقة في قدرتهم على إطاقة هذا العلاج الغليظ. ثم يفحصون فحصاً طبياً شاملا ثلاثة أيام، فتصور صدورهم بأشعة إكس ليؤمن إصابتها بالسل، وتختبر قلوبهم برسام القلب الكهربائي، وتريهم الممرضات الفاتنات الرقيقات بيوت الحمى، ويشرحن لهم حقيقة ما سيلاقون في علاجهم.

وما أشد ما يشوق المرضى هذا التشخيص الدقيق، وهذا العلاج المرجو. وفي ساعات فراغهم بالمركز خلال الأيام الثلاثه التمهيدية يستطيعون أن يلعبوا البنج بنج، وأن يقرأوا في مكتبة فخمة، وأن يشاهدوا أفلاماً سينمائية، وأن يستمعوا إلى محاضرات عن الأمراض التناسلية، وأن يشتركوا في الصلوات، هذا ويقدم إليهم الطعام الفاخر.

وهم يتقدمون اختياراً إلى علاج يمحو خطرهم على الجماعة لأنهم، كما قال الجراح الجنرال توماس باران: «إنما يعالجون على أنهم مرضى لا على أنهم آثمون».

وبرغم استقبال هذا الاكتشاف في العام الماضي بالنقد، استطاعت تجارب هذا العلاج في شيكاجو أن تثبت أن العلاج المزدوج للزهري في يوم واحد، بالحمى والعقاقير، وسيلة مأمونة صالحة لكفاحه جملة. نعم، إن صعاباً نشأت في الشهرين الأولين لافتتاح المركز، إذ مات اثنان من بين أول ٧٣ مريضاً عولجوا بالحمى، ولكن عرفت الأسباب، فاستحدث لها ما يضمن اتقاءها. ومن يومئذ أقبل بلا انقطاع ٨٦٤ مريضاً على علاج اليوم الواحد بالحمى والعقاقير فلم تحدث وفاة واحدة، أو حتى رد فعل عنيف.

وإن مما يضارع ذلك خطراً، أن العلاج أثبت أنه سلاح صاعق لمحق الزهري المبكر فأثره العاجل مدهش، إذ تختفي لولبيات الزهري الخبيثة من قروح المرضى في يوم واحد، كما يذهب الألم الذي قد يكون الداء أورثه. ومع ذلك يحتجز المرضى تحت الملاحظة ثلاثة أيام أخر، تلتئم خلالها القروح المعدية، ثم يسرحون إلى منازلهم، إلا قليلا ممن يعانون مضاعفات أمراض أخرى، ليترددوا بعد ذلك على المركز بانتظام، لكي ترصد نتائج العلاج.

أما طريقة العلاج المتبعة التي يعطى فيها الزرنيخ والبزموت ١٨ شهراً، فقد كان يبرأ بها من الداء ٨٥ إلى ٩٠ في المائة من مرضى الزهري المبكر، هذا إذا أتموا العلاج. وهي

نتيجة حسنة لولا أن قليلا جداً من المرضى من يثابر على هـذا العلاج تلك الشهور الطويلة التى تتطلبها نجاتهم من المرض . وما دامت طريقة العلاج بالحمى والعقاقير لا تستغرق إلا ثمانى ساعات ، فإتمامها ولا ريب يسير . وقد ثبت حتى الآن أن أكثر من تسعين فى المائة من المرضى الذين عولجوا بها ، وأعيد فحصهم ، لم يتبين فيهم ما يدل على معاودة الداء . هذا على أن نسبة النكس فى علاج الأيام السبعة بالعقاقير وحدها تشبه هذه النسبة قلة ، إلا أن العلاج نفسه أشق على المريض .

لقد حاول الأطباء فى مستهل حياة المركز أن يقرروا أصغر جرعة من الزرنيخ تفى بالغرض ، فباء هذا العهد التجريبى مراراً عديدة نسبياً بالخيبة كما كان يتوقع ، ولكن لم يبد إلى الآن فى أحدث مجموعة من المرضى أى دليل على النكس فى ٤٧٨ مريضاً من بين ٤٨٤ ، أى فى ٩٨٫٧٦ ٪ من الحالات ، هذا على أن الأطباء — انتفاعاً بالأثر الفعال المأمون للحمى المفتعلة — يعطون المرضى فى المتوسط أقل من جزء واحد من ثلاثة عشر جزءاً من مقدار الزرنيخ اللازم فى علاج الشهور الثمانية عشر. ويتتبع الدكتور بنديسن والدكتور ج . باور بصحة الولايات المتحدة ، المرضى الذين يعالجون فى المركز جميعاً بعين لا تغفل ، وإلحاح لا يضعف . ففى الأشهر الأولى بعد العلاج يجب على المرضى أن يعودوا إلى المستشفى مرة كل أسبوع ليفحصوا ويختبر دمهم، رصداً لنتائج العلاج وبعدئذ يلزمون بالعودة كل شهر لتكرار الفحص والاختبار ، فإن لم يفعلوا أنذروا بالرسائل ، ثم بالتلفون . فإن لم يثمر ذلك أطلق فى آثارهم مراقبون يحضرونهم بالسيارات . وقد تبين أن سبعين فى المائة يعودون للاختبار مختارين ، وتلك نسبة تستثير الإعجاب .

أما أولئك القلائل الذين يعاودهم الداء فيعالجون من جديد ، وهم يؤثرون بين الحمى على « وخز الأبر » سبعة أيام كما يسمون العلاج الكيميائى الغليظ . ومن أجل هذا أصبح العلاج بالحمى والعقاقير فى يوم واحد ، أداة عملية لكفاح الزهرى كفاحاً شاملا ، لا لأنه أمضى وحسب ، بل لأن أوساط المرضى يؤثرونه أيضاً .

إن هذا العلاج الجديد يحطم أغلال الزهرى القاتلة الممتدة فى شيكاجو بسرعة لم يسمع بمثلها إلى اليوم . وفى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٣ غادر ألف مريض معهد بيوت الحمى سالمين ، وأتم خمسمائة آخرون العلاج الكيميائى الغليظ .

وفى إبراء ١٥٠٠ مصاب بالزهرى حتى لا يعدوا سواهم ، آية بينة حين تتصور كم من إصابات المرض يمكن أن يورثها مريض واحد . لقد أحصيت حديثاً ضحايا فتاة صغيرة أصيبت بزهرى مبكر ، فإذا هم اثنان وثلاثون . وهؤلاء الذين ينفثون العدوى بالجملة هم بالدقة الهدف الأول لمركز العلاج الحاسم السريع .

وليس هذا كل ما فى الأمر ، فقد أخذ يلوح تقدم آخر مرجو العاقبة . فقد وجد الدكتور جون ف . ما هونى بصحة الولايات المتحدة أن المعجزة الكيميائية التى اكتشفت حديثاً — البنيسلين — هى عدو للولبيات الزهرى . ويأمل أطباء المركز أن سترتفع نسبة البرء من الزهرى بإضافة قوة البنيسلين الجديدة إلى قوة علاجهم المأمون بالحمى المفتعلة .

إن العلاج بالبنيسلين لم يزل كله تحت التجربة . لقد أبرأ — على ما يبدو — أربع إصابات بالزهرى المبكر فحسب ، يضاف إلى ذلك أن صناعة البنيسلين ما زالت عسيرة ، وأن طلب القوات المحاربة من الكثرة ، بحيث لا يرجى له ذيوع فى مكافحة الزهرى قبل انقضاء عدة أعوام .

يكافح مركز شيكاجو الزهرى كفاحاً ناجحاً بأفعل ما فى متناول يده من الأساليب العملية فى الوقت الحاضر ، أى بالعلاج المزدوج بالحمى والعقاقير فى يوم واحد ، هذا العلاج الذى استنكره الخبراء يوم جاء نبأه على صفحات الريدرز دايجست منذ سنة مضت .

حكمة النساء

النساءُ أحكم من الرجال لأنهن أقلُّ منهم علماً وأعظم فهماً . (جيمز ستيفنز)

من غير مبالغة

قال الرائد القطبى : بلغ البرد مبلغاً شديداً فتجمد لهب الشمعة حتى عجزنا عن إطفائها .

فقال منافسه : ليس هذا شيئاً . فحيث كنا ، كانت الكلمات تخرج من بين شفاهنا قطعاً من الجمد فنضطر أن نقلوها لكى نسمع ما يقوله بعضنا لبعض .

انتفع بتجاربي

علاج ناجع "للتسويف"

لمسوف مجهول . ملخصة عن مجلة "فوربز"

أجمع الناس على أن الخطايا هى : خطايا إغفال ما يجب ، وخطايا ارتكاب ما لا يحلّ . ولكن بينهما خطيئة وسطى عظيمة هى خطيئة التسويف ، وقد لا تحول هذه الخطيئة دون دخول الجنة فى الآخرة إلا أنى أشهد، بعد تجارب نصف قرن، أنها تذيق مرتكبها نار الجحيم فى هذه الحياة الدنيا .

لقد ولدت مسوّفاً ، وكان التسويف منذ حداثتى أسوأ عيوبى . وازدادت هذه العادة سوءاً على السنين ، فكنت أتخلف أغلب الأحيان عن إنجاز أعمالى ، وكنت فى هم مقيم من جراء الأعمال الكثيرة المعلقة، وكدت أفقد عملى بسبب هذا التسويف ، بيد أن ذلك لم يشفنى من دائى .

يقول علماء النفس إنه من المعجزات أن تبرأ من عادة مرذولة فى سن الخمسين ، ولكننى شفيت نفسى كل الشفاء من هذه الخطيئة القاتلة فى تلك السن . فبينا كنت جالسا أقرأ فى شرفة فندق صيفى بعد ظهر يوم سبت ، سمعت رجلا يحادث أهل بيته . وكان لا يستطيع أن يحزم أمره هل يذهب بهم فى نزهة بحرية ذلك اليوم أو صباح اليوم التالى . وأنشأ يقول: « النسيم عليل اليوم ، ولكنه قد يكون غداً خيراً منه اليوم » . وكانت الأسرة تود الخروج من فورها إلى هذه النزهة . ولكنّ الرجل ظلّ يتساءل : من الخير أن يذهب اليوم أم غداً ؟ .

أثارنى تردده وأنا أحاول القراءة فانفجرت أقول له محدثاً نفسى : « إن هذا اليوم الجميل سيمضى وشيكا ، فلم لا تحزم أمرك أيها الرجل ؟ » .

وعندئذ لاح لى أن تلك هى آفتى ، فلم أكن أحب أن أجمع الرأى على القيام بعمل من الأعمال . لم تكن آفتى أنى أؤجل عمل هذا الشىء أو ذاك ، بل أن أؤجل العزم على القيام به ، وفجأةً ولأول مرة رأيت التسويف فى صورته الصحيحة .

قلت لنفسى : « إذا كان هذا كل ما فى الأمر فينبغى أن أكون قادراً على الوصول إلى قرار ، فإذا كنت لا أريد فعل شىء من فورى فسأقرر أن لا أفعله من فورى ، - ولكن يجب أن أقرر ساعتئذٍ متى أفعله ، وتالله إذا حلّ ذلك الوقت فسوف أفعله » .

حل غاية فى البساطة إلا أنه أثمر .

كنت فى البداءة أبسط لنفسى فسحة من الوقت ، فأقول لها : « لا أريد أن أفعل هـذا الآن ولـكن سأفعله الليلة فى الساعة الثامنة » ، وفى الساعة الثامنة كنت أقسر نفسى على البر بما وعدت . وبعد قليل ألفيتنى أسائل نفسى : « لماذا تنتظر حتى الساعة الثامنة ؟ ولماذا لا تفرغ منه الآن ؟ » وأؤدّيه من فورى .

وسرعان ما تحققت أن التسويف ليس قاصراً على « متى ؟ » وحسب ، بل ينطوى على أسئلة أخرى هى : أين ؟ وماذا ؟ ومن ؟ ولِمَ ؟ ماذا أفعل فى هـذا الأمر ؟ من أدعو إلى الوليمة التى أولمها ؟ أين أبدأ ؟ ولِمَ أفعل هـذا أو هكذا ؟ .

والآن ما هو إلا أن آمر نفسى فى صرامة أن « أعقد العزم » فأعقده وأعمل من فورى .

وإنى لأدهش اليوم بعـد أن كنت من أكثر النـاس تسويفاً أن أجدنى أسـبق الوقت المحـدد للعمل فى أغلب الأحيان . إن راحة الفكر التى أجدها حين لا يكون هناك عمل معلق علىّ أداؤه لتنعشنى حتى أجد عقلى ينقب عن عزائم أخرى جديدة لينفذها .

أما الأسرة التى كانت على شرفة الفندق فلم تذهب إلى النزهة البحرية عصر ذلك السبت ، وأمطرت السماء يوم الأحد ، بيد أن ذلك الوالد المتردد قد أفلح فى شفائى من هذا الداء المستعصى الوبيل .

لنكولن المحامى . . . بين الصباح والمساء

اتفق لإبراهام لنكولن ، حين كان محامياً ناشئاً ، أن ترافع فى قضيتين ، فى يوم واحد ، أمام قاض واحد ، وكان المبدأ القانونى فى القضيتين واحداً . ولـكن لنكولن كان فى إحدى القضيتين محامى المدعى وفى الأخرى محامى المدعى عليه . وقد ترافع فى القضية الأولى فى الصباح ، فكانت مرافعته غاية فى البلاغة وقوة الحجة فربح القضية . وحين نهض للمرافعة فى القضية الثانية بعـد الظهر كان بليغاً متحمساً قوى الحجة كذلك . فسأله القاضى وعلى ثغره بسمة : ما الباعث على تغير موقفه بين الصباح والمساء ، فقال لنكولن من فوره :

ـــ يا حضرة القاضى لعلى كنت مخطئاً فى الصـباح ، ولـكننى أعـلم أنى مصيب الآن .

[نلى ريڤل]

لم يكن تشيهاليس جواداً يملأ العين فى مظهره ، ولكنه ضرب رقما عالمياً — قصة واقعية

جواد ضئيل

الدكتور فردريك لوميس

لقيت أنا وزوجتى منذ سنين فرانك وكيتى فريزر للمرة الأولى ، وقد زرناهما مراراً بعد ذلك ، وهما الآن يستمتعان بالقوة والنشاط فى الحادية والتسعين والثالثة والثمانين من العمر . وقد وقفنا فى دارهما على كثير مما هان وما جل من الأشياء التى حاك منها مغزل الدهر نسيج حياتهما الفذ فى مدى عمرهما الطويل : وعرفنا كفاحهما منذ ما هبطا أرض أمريكا الثرية فى صباهما ، وعرفنا إخلاص كل منهما لصاحبه ، ولم يرزقا أطفالا قط — وأخيراً عرفنا حبهما الفريد العظيم .

وهذه قصة ذلك الحب ، حب جواد ضئيل هزيل ، كما قصها علىّ فرانك وكيتى مجتمعين .

قال فرانك :

« حدثنى بوكر ناش ذات يوم بالتلفون وسألنى إذا ما كنت أريد شراء حصان ، فقلت إننى لا أريد شراء حصان من خيله ، قد يكون حصاناً بلا أسنان على الإطلاق ! فقال : « فليكن أيها الشيخ الأحمق » . ووضع السماعة . فأسرعت بالطبع إلى محادثته على الفور لأستوضح جلية الأمر فتبين لى أنه رأى مهراً أعجبه واستهواه ، وكان قد رآنى قبل ذلك أسابق جياد طبيب القرية وكل مرة أكون أنا المغلوب ، ولم يكن هو يحب الدكتور ، ولعل هذا هو السر فى اهتمامه !

« وكتبت إلى صديق خبير فى الجبله وطلبت إليه أن يذهب ليرى هذا المهر . فتلقيت فى اليوم التالى برقية يطلب فيها أن أرسل إليه ٦٠٠ ريال ، وقد فعلت . وفى خلال أيام جاءتنى قائمة الحساب بشراء (تشيهاليس) .

« وانطلقت كالأحمق أذيع فى أنحاء المدينة أننى ظفرت بجواد أصيل عمره سنتان ، ثم جاء الجواد فى سيارة كبيرة فكدت أصعق حين رأيته ، إذ وجدت أمامى أضأل وأهزل ما رأت عيناى ، فقدته وتسللت به فى الأزقة حتى لا يراه أبناء المدينة .

« ولكن كيتى لم تكد ترى ذلك الحصان المسكين الضامر الضئيل حتى بدأت تناغيه

مناغاة الأطفال . فراح ، ويا للعجب ، يشم عنقها كما لو كانت هى التى ربته وأرضعته اللبن فى زجاجة ! ولم تكن تدرى هل يصلح أو لا يصلح للسباق ، ولم تعبأ بذلك بل ظلت تقول : « آه يا فرنك ! إننى أحب هذا الجواد وكفى » . وكانت تنطلق فى مطلع الفجر لتناغيه مرة أخرى .

« واشتريت عربة قديمة عالية العجلات وخرجت بالقزم الضئيل إلى الخلاء ، ولسعته بالسوط لسعة ، فكدت ، ويالله ، أنتزع من مقعدى انتزاعاً وكادت تتمزق سراويلى ، إذ انطلق الشيطان الصغير كالخفاش الآبق من نيران الجحيم . فلما عدت إلى البيت ظنت كيتى أن بى مساً من الجنون !

« ولم أكن فى أول الأمر أظهره كثيراً على حقيقته ، وكنت أكفكف من سرعته كلما اقترب منا أحد ، حتى أقبل الدكتور يوماً فى الطريق بجواده الخبّاب وصاح بى : أى فرانك ، أهذا هو الجواد الجميل الجديد الذى طالما سمعت به ؟ أم هذا قنغر لا جواد ! » .

« ولا بد أن يكون تشهاليس قد سمعه كما سمعت ، فلم أكد أنطق حتى رأيته يلحق به فى طرفة عين . وأدركناه بسرعة خفت معها أن ندوسه فصرخت فيه : « أفسح الطريق ، أيها الدجاجة العجوز ، ودع القنغر يمر » فاستدار الدكتور ونظر بعينين جاحظتين وانهال على حصانه بالسوط ، وكان هذا كل ما رأيت حين تجاوزناه . فأيقنت أن لدى جواداً خالصاً من جياد السباق ، وأنه يعلم أن السباق هو الغلبة على الجواد الآخر ، وهو أمر لايدركه الجواد فى بعض الأحيان !

« وظللنا ندرب تشهاليس طيلة الصيف ، وكنت أنا أقوده على الدوام . وكانت هذه فكرة كيتى ، إذ كانت تقول إنه إذا لم يشعر أبداً بأية يد غريبة تمسه ، فإننى أستطيع أن أكلمه وأخبره بما ينبغى له أن يفعل . وكانت كيتى تنتظره بعد تمرينه ، فيبحث حوله عن قطعة السكر التى اعتادت أن تحملها إليه ، وحدث ذات يوم أن وضعت

١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١

امتاز الدكتور فرد يك لويس فى الطب والتأليف ، ومع ذلك بدأ سيرته فى غير الطب والتأليف فقد ترك جامعة ستيجن قبل نيله شهادتها ليحارب فى الحرب الأمريكية الأسبانية ، ثم زاول التجارة والتعدين خلال عشر سنين ، وعاد إلى الجامعة فدرس الطب ودرسه فى مدرستها الطبية ومارس طب التوليد بين ١٩١٧ و١٩٣٨ وهى السنة التى اعتزل فيها ممارسة الطب . وقد ألف بعد ذلك كتابين راجا رواجاً عظيما هما « العيادة » و « الصلة بيننا » . وقد نشرنا فى المختار (فبراير ١٩٤٤) فصلا للدكتور لوميس عنوانه « عملية على غير استعداد » .

قطعة السكر فى جيبها ودست فوقها منديلها وهى ساهية ، فجاء هـذا الحصان وأخرج من جيبها المنديل وظل ممسكا به . ورأيت أنا ذلك أمراً تافهاً ، ولـكن كيتى رأته تصرفاً مدهشاً وأخذت تعيده كل يوم .

« ولما رأيت أنه أصبح مستعداً للسباق سافرت به إلى السباق فى كاليفورنيا . وهناك جرى مع ستة عشر حصاناً ، فسبقها هـذا الجواد الأسـود الضئيل وتخطاها كاللمح الخاطف ، وكأنهـا جميعاً مقيدة لا تستطيع الحراك . ومن ثم طفنا فى جولة على ميادين السـباق الغربية ، أنا وكيتى وتشيهاليس ، فـكسب ١٢ سباقاً من ١٣ سباقاً اشـترك فيها . وامتلأت أنهر الصحف بأنباء الجواد الأسود الضئيل المدهش ، الذى يعدو وكأنه يسبح فى الفضاء ! » .

« ثم كان الربيع التالى ونزل تشيهاليس فى أول سباق له ففاز بغـير عناء ، ولهـذا كفـكفت من سرعته بعض الشىء قبيل قصب السبق ، فأعلن كبير المحكمين أنه دخل ثالث الجيـاد ! وكاد الجمهور يقتحم مكان المحكم . وانطلق كبير من أهل تكساس الخبيرين بالسـباق ، وصـعد السلم وهو يهدد بقتل الحكم . ولـكن الحكم كان قد صدر ولات ساعة تعديل ، فاشمأزت نفسى حتى كدت أنسحب من ميادين السباق .

« ولـكن ذلك الـكبير من أهل تـكساس قال لى : « اسمع يابنى . يجب ألا تنسحب ما دام فيك عرق من الرجولة والجلد ، فإن لديك جواداً صغيراً بديعاً . وربما كان من الخير أن تدربه على مسافات أطول . . . » ومضى يحدثنـا متحمساً عن فـكرة ربمـا أسفرت عن نتيجة مدهشة .

« وسرعان ما بدأت — أنا وكيتى — فى مشروعات كادت تستهلك أنفاســنا . فاحتفظنا بعقدرة تشيهاليس على سباق ميل واحد ، ولـكنى بدأت أدربه فى صباح كل يوم على مدى الميلين . ثم ذهبنا قبيل نهاية الموسم إلى السـباق الـكبير فى سالم ، من أعمـال أوريجون ، ولـكننا لم نجد مجالا للسـباق ، فـلم يكن بين الجياد جـواد واحد يصلح لمنافسة تشيهاليس . وكثرت المراهنـة على حصانى الصغير ، وأراد المحكمون أن يراه الجمهور وهو يجرى . وكان الإخصائيون الذين يحملون الساعات فى الصباح الباكر قد رأونا بالطبع فى تمرينات الميلين . فسألنى المحـكمون إذا ما كنت أفكر فى ضرب الرقم القياسى لمسافة الميلين — وهو ٤ دقائق و ٢٤ ¼ ثانيـة — وقالوا إننى إذا ضربت هذا الرقم أعطونى ٥٠٠ دولار فضلا عن مائة أخرى لـكل ثانية تسقط من هذا

الزمن ، فقبلنا العرض ، وكان الجواد الصغير يبدو كأنه على أتم استعداد » .

فقاطعت كيتي الحديث قائلة :

« نعم . وأنت أيضاً كنت على أتم استعداد . ليتك قد رأيته ، لقد كان يرتدى سترة من الحرير الأزرق الخفيف الزرقة ، وقبعة سباق فى زرقة البحر ذات وقاء طويل ، وسراويل من الكتان ، وكانت كلها جديدة زاهية . فكان منظره بديعاً هو والجواد الصغير الأسود اللماع .

« وجلست فى مكان المحكم وقد خيل إلىّ أنى سأموت من شدة اللهفة ، فما كان أحد ليتصور أنه سيسجل رقماً عالمياً — على ضآلة جسمه — سواى أنا وفرانك ، وربما تشهاليس نفسه . ثم انطلقت الخيل فأمسكت أنفاسى . وسمعت المحكمين يقولون : « ٣٠ ثانية فى الربع الأول . . . السرعة فوق الطاقة ، سيجهد نفسه .. — ١٫٠٤ — فى النصف . . . — ١٫٣٥ — فى الربع الثالث » على الشوط الأخير من عند الميل الأول ، فى حين ظل الجواد الصغير يعدو ثابتاً كالآلة المنتظمة .

« وكدت أختنق حين صاح المحكمون . « ٢٫٠٩ للميل — لن يستطيع المثابرة ! » ثم كادوا يصيحون وهم يقولون : « يالله ، انظروا كيف يسبح هذا الجواد ! » ثم بدأوا ينادون ويهتفون كأنهم ليسوا قضاة على الإطلاق . وأقبل فرانك وتشهاليس يشقان طريقهما شقاً دون أن يرفع فرانك سوطه ، ولكنى كنت أتصوره يقول : « هيا يابنىّ ! هيا يابنى ! » وحسب .

« ثم مرّا كالبرق الخاطف فأخذ القضاة يرقصون وهم يقولون ويرددون : ١٩¼ر٤ ! — وكان هذا أسرع رقم فى العالم فى مدى ميلين . واستطاع فرانك وتشهاليس أن يحذفا من الرقم السابق خمساً من الثوانى . وراح الجمهور يهتف حين عاد فرانك بالجواد الصغير جذلان فرحاً . وقد أحاطوا عنق تشهاليس بإكليل كبير من الورد الأحمر ، فأخذت أنا فى البكاء ، يالله ، ما كان أروعه ! » واختنق صوت كيتى من التأثر .

ثم همست قائلة : « ولم يكن ذلك كل ماحدث . فقد كان فرانك ، حين ذهبنا إلى الفندق ، يحمل تحت أبطه صندوقاً كبيراً عليه رباط أحمر ، ولم نكد ندخل غرفتنا حتى فتح الصندوق ، فإذا به يضم إكليل الورد الذى كانوا قد أحاطوا به عنق تشهاليس ، وألقاه فرانك حول كتفى فمسّ الأرض ، ثم قال : « كيتى ، إنك أنت التى صنعت ذلك — أنت التى أحببت ذلك الجواد الصغير حباً لم يجد معه بداً من

الفوز — وها هو الآن بطل العالم ! » .

وبعدئذ قال فرانك :

« سيدى الدكتور ، لقـد ظل رقم تشهاليس عالمياً ست سـنوات حتى حازه دان باتش — وما زال ذلك الرقم قياسياً منذ أربعين سنة ! .

« ثم كان علينا بعد ذلك أن نفوز فى سباق (الدورة العظيمة) إن سباق هذه الخيل ذات العربات يبدو لى أروع من سباق الخيل فى هـذه الأيام ، فعجلات العربات تلمع ببريقها تحت أشعة الشمس ، وجمهور النظارة فى تمام أبهتهم .

« وفى أواخر الموسم مرضت كيـتى فى بفالو ، وما زالت تلح علىّ حتى حملتنى على الذهاب وحدى إلى بوسطن . فأمرت أحد بائعى الزهور بأن يرسل إليها ورداً أصفر كل يوم من أيام الشهر الفردية ومعه بطاقة كتب عليها : « مع محبة تشهاليس » ويرسل إليها كل يوم من الأيام الزوجية ورداً أحمر : « مع حب فرانك » .

« وظللنا نفوز ولـكننا افتقدنا شطر اللذة ، فـكلما ذهبت إلى الإصطبل تلفت تشهاليس من حوله كأنه يقول : « أين كيتى ؟ » ثم جاء فى يوم من الأيام خطاب من طبيب كيتى ينبئنى بأنه يجب أن أنقلها إلى كاليفورنيا الجنوبية لقضاء فصل الشتاء بها ، ويقول إننى قد أفقدها إذا لم أفعل ذلك .

« جلست وحاولت أن أفكر . لم أكن من أصحاب الملايين ، وقد عرض على خمسة آلاف ريال ثمناً لتشهاليس ، وكيتى مريضة . وكنت أعلم أنها لن توافق على بيعه إذا سألتها رأيها ، فكتبت إليها أقول إننى بعته بالفعل وأخبرتها بأننى سأسابق به آخر مرة يوم السبت ثم أحضر فأعود بها إلى بيتنا .

« لم يصلنى منها خطاب يوم السبت ، فقدّرت أن وطأة المرض اشتدت عليها ، وكدت أعـدل عن دخول السباق . ثم فكرت فى المال الذى راهن به المراهنون على تشهاليس ، وأدركت أننى لا أطيق أن أخلف ظناً أو أهرب من معترك ، فقررت أن أبيعه بعد السباق .

« وركبت العربة وسرنا بها مجتازين مكان السباق ، فهتف الجمهور لتشهاليس ، وكان الجمهور دائماً شديد الولع بهذا الجرو الصغير . ورفعت بصرى لألمس قبعتى رداً للتحية ، فرأيت كيتى ! . وقد لفتت نظرى أول الأمر تلك المظلة الأنيقة التى اشتريتها لها من شيكاغو ثم رأيت وجهها . كانت صفراء صفرة الموت ، ولـكنها كانت تبتسم .

« لوحت بيدها ، وكنت منذ لحظة غير عابىء بشىء ، أما الآن فقد ظللت أقول

لتشهاليس : « كيتى هنا يا بنى ، كيتى هنا » ولعله قد فهم ما أريد . .

« وقعنا عند البداية فى مأزق بين الجياد ، ولكن الجواد الصغير شق طريقه وخرج . فلما كان الثمن الأخير وثب من المؤخرة وأخذ يطير طيراناً لم أشهد مثله من قبل . كان أمامه ثلاثة من الجياد ، فتخطى الثالث وتخطى الثانى ، حتى إذا أدركنا المائة ياردة الأخيرة خيل إلى أن جموع المتفرجين قد جن جنونها . فكان ضجيجهم كضجيج شلالات نياجرا ، ونهض ألوف منهم على الأقدام ، وراحوا يلوحون بالورق والمناديل والقبعات ، ثم نفذنا إلى المقدمة ، وإذا بنا نكسب بمسافة رأس واحدة .

« نظرت إلى مقاعد النظارة فلم أجد كيتى ! وهرعت إلى مكانها فوجدتها مغمى عليها وسط حلقة من الناس ، لأنها لم تحتمل تأثير الانفعال .

« وفى تلك الليلة جاء إلى الفندق ذلك الرجل الذى كان يريد أن يشترى تشهاليس وقال لى : « ٧٢٠٠ ريال فوراً يافرانك » فتذكرت وجه كيتى الذى ابيض ثم قلت : « إن تشهاليس لك أيها السيد » .

وفى صبيحة اليوم التالى آنست كيتى من نفسها القوة على أن تذهب إلى الإصطبل وهناك ، أقسم بالله أن الحصان ابتسم لها ، وراح يصهل كما كان يفعل فى البيت ، ويشمها ، فغلب عليها البكاء . ومد فمه خارج قضبان الحظيرة والتقط منديلها من جيب ردائها كما كان يفعل من قبل ، وكان آخر عهدنا به وقد وقف ينظر إلينا ممسكا بالمنديل فى فمه ، وكأنه غرة بيضاء فى ردائه الأسود اللماع » .

وعندئذ قالت كيتى :

« كان ذلك منذ نيف وأربعين سنة ، وأنا امرأة لا تدين بالحب إلا لرجل واحد ، وكذلك كان تشهاليس جواد رجل واحد ، فلم يكسب سباقاً واحداً بعد أن تركه فرانك — سباقاً واحداً ، ومات بقلب كسير » .

وجرت إلى فرانك وأوت بين ذراعيه كما يأوى الطائر إلى عشه ، وألقت رأسها على كتفه ، فضمها فى حنان وربت على خدها . ثم لم أستطع أن أتبين شيئاً واضحاً بعد ذلك ، ولكنى تصورت فى ذهنى منظر فرانك وقد ارتدى سترته الحريرية الزرقاء وسراويله البيضاء ، ومنظر تشهاليس الضئيل الأسود يطير على أرض السباق ليسجل رقماً قياسياً ، كما تصورت آخر منظر للجواد وقد وقف فى ذلك اليوم فى بوسطن ، وفى فمه حريرة بيضاء ، يشيعهما ببصره سدى وهما يتركانه ، فكان مثار حزنهما العظيم الفريد ، كما كان حبهما العظيم الفريد .

أبطلوا المحراث

« من كتاب « جريرة الحارث » الذى أحدث انقلابا خطيراً فى الزراعة بقوله إن المحراث العـادى يهد كيان الأرض »

لويـس برومفيـلد

هذه قصــة رجل أصاب النجاح بفكرة ســديدة وقع عليها فاستمسك بها حتى أتته الشهرة تجرر فى أذيالها بعض الثراء . وقد يكون ما وقع عليه شيئاً يقلب اتجاه التاريخ الاقتصادى فى أمريكا رأساً على عقب ، وربما أقيمت له بعد خمسين سنة تماثيل تكريماً له فى المنــاطق الزراعية الغنية ، كالتماثيل التى أقيمت لتخليد ذكرى باسـتور الذى أنقذ صناعة النبيذ الفرنسى من البوار .

رأيت هذا الرجل أول مرة منذ أربع سنين مضت فبادرنى بقوله : « أنا إد فوكنر وقـد جئت لأقابلك ، إذ علمت أنك مهتم بشؤون الزراعة » .

كان أشيب مفتول العضل، وكان محدثاً قديراً ، تشع من عينيه الزرقاوين الصافيتين تلك النظرة الثابتــة التى طالما عهدتها فى أولئك الذين يأتون إلىّ بمشـاريع لإنقاذ العالم . وكان اهتمام فوكنر قاصراً على شىء واحد هو كيف يقوى التربة ، ويعين الزراع على إحياء أرض أمريكا الزراعيــة الخصبة التى أخذ الاضمحلال يسرع فيها .

حدثنى فوكنر عن حديقته بإليريا بولاية أوهيو ، وعن فدانين من الأرض الرخيصة الضعيفة استأجرهما ليتخذهما حقلا لتجاربه . كان وكيل أعمـال واستقال من عمله إذ لم ترض رؤساءه بعض آرائه المتطرفة . وهو الآن يبيع ضمانات التأمين كلما أعوزه المـال لسداد كراء أرضه . وكان أبوه مزارعاً فى كنتكى ، جعل من مزرعتــه جزيرة يانعة خضراء وسط تيه المزارع الموات المقفرة فى تلك الجهـة . وكثير من آراء فوكنر وأفكاره قد انحدرت إليه عن أبيه .

وسرعان ما اكتشفت أنه يدعو إلى إبطال محراث مولدبورد (وهو المحـراث العادى المعروف لكل إنسان). فهذه الأداة العالمية التى تقلب ملايين الملايين من الأفدنة كل سنة فى جميع أنحاء العالم ، تقوّض فى

ا ا ا ا ا ا ا ا ا

لويس برومفيلد ، روائى مشهور ، وفلاح يعنى بشئون الأرض عناية بحث وتطبيق .

الوقت نفسه — كما يرى زائرى — أسس اقتصادنا ومدنيتنا . وبدا لى اقتراحه كاقتراح من يقول باستغناء عالم الصناعة عن الآلات المحركة أو أفران صهر المعادن .

اخترع هذا المحراث القديم فى إنجلترا فى القرن الثامن عشر ، ولم يكن الحرث حتى ذلك الوقت أكثر من نبش سطح الأرض ، فجاءت الأداة الجديدة تقلب التربة إلى غور عشر بوصات ، وتدفن كل شىء على ظهر الأرض المحروثة تاركة سطحاً نظيفاً خالياً يمكن أن يحول تراباً دقيقاً قبل الزرع . وقد قلبت هذه الأداة أوضاع الزراعة ، وفتحت مساحات هائلة من الأرض للاستثمار السريع ، حتى عدّت من أكبر مقومات التقدم والمدنية . وهأنذا أسمع اليوم أنها شىء بالغ الضرر شديد الإتلاف . ونظرت إلى محدثى على أنه رجل مخبول وإن يكن ذكيا .

بيد أن فوكنر ، وهو شخص شديد المراس ، قد وقع على بعض حقائق سليمة فاستمسك بها جاهداً فى وجه كل مقاومة . وتوالت زياراته لى خلال السنتين أو الثلاث التالية ، وأخبرنى أنه يؤلف كتاباً . وألفيتنى فى كل مرة أستفيد منه شيئاً جديداً .

وقد اختلفنا فى خير طريقة لإحياء التربة الفوقية المتداعية وزيادة خصبها ، وهى التى توفر لنا جميع أقواتنا وقدراً كبيراً من أثاث منازلنا وعجائننا الكيميائية وزيوتنا وطعام مواشينا وملابسنا . ولقد أيدت — كما تفعل جمهرة الزارعين — فكرة تقوية التربة بحرثها حرثاً عميقاً ، ودفن السماد وحشائش الأرض والفضلات ليزيد قدر ما يستخرج من أغوارها إلى ظهرها ! فدفع فوكنر فى إيمان شديد بأنه يجب أن نزيدها خصباً بترك الأسمدة والحشائش والفضلات جميعاً تتراكم وتتحلل على السطح . وبتعبير آخر ، أن نقوّى ظهرها بتكديس مقادير وافرة من المواد العضوية المتحللة على السطح كما تفعل الطبيعة دائماً .

ولم ألبث حتى جاءنى بمخطوط كتابه ، فألفيته على شىء من الخلط ، فأدليت ببضعة آراء ، ولكن لم تكن أية ملاحظة لتثبط من همة فوكنر وحماسته .

وفى الصيف الماضى تلقيت كتاباً عليه اسم إحدى مطابعنا الجامعية الحديثة ، وكان عنوانه « جريرة الحارث » لمؤلفه إدوارد ج . فوكنر . ولم أنته من قراءته حتى كانت الساعة الثالثة صباحاً ، وأغمضت عينى وقد صرت من أشياع فوكنر ، وأزمعت منذ ذلك الحين أن لا أستخدم المحراث العادى فى زراعتى إلا فى الفرط والندرة .

وسهر كثيرون طوال الليل فى الأسابيع التى تلت نشر الكتاب يقرأون « جريرة

الحارث» ، واستطار صيت الكتاب فكثرت التعليقات والمقالات والافتتاحيات فى جميع الصحف والمجــلات ، وطيرت الإذاعـة اللاسلكية أنباءه ، فألفيت النـاس أينما ذهبت يتجـادلون فى أمر هذا الكتاب ، وربما لم يثر أى كتاب فى موضوع زراعى ما أثاره كتاب فوكنر من الجدل فى هذه البــلاد .

وما هى إلا عشية أو ضحاها حتى أصبح فوكنر — وكيل الأعمال السابق وبائع ضمانات التأمين بإليريا — رجلا يشار إليه بالبنان ، فقصده الناس من كل فج عميق ، واضطر إلى اتخاذ سكرتير للإجابة على أكداس الرسائل التى انهالت عليـه ، وأذيعت له خطابات بالراديو ، واستخدمته إحدى شركات الإذاعة الكبرى معلقاً ومستشاراً زراعياً . وكانت قصته قصة من صميم الحياة ، فقد آمن إد فوكنر بأنه على صواب ، فتمسك بآرائه وأفكاره فى وجه كل معارضة ، وخرج من النضال ظافراً منتصراً . وأخلق به أن يترك طابعـه زمناً طويلا على زراعة بلاده واقتصادها بل على مدنيتها أيضاً .

فقد نشرت رسالته وأمريكا تشعر بالبوار الذى يهدد أراضيها ، جاءت وقد اكتشف سكان المدن لأول مرة فى تاريخ الأمـة الأمريكية أنه من الممكن أن تشح الأقوات بلا ريب فى هذه البلاد الغنية .

وتتلخص نظرية فوكنر فى نقد المحراث المستعمل ، أن هـذا المحراث يترك الأرض خلواً من كل شىء ، معرضة لعوامل التعرية من هواء وماء ، وللتبخر السريع بالشمس والهواء . وهذا يقلل الإنتاج ويؤدى بمرور الزمن إلى بوار التربة الفوقية بواراً تاماً . وثمة ضرر آخر ، إن يكن ثانويا إلا أن له خطره ، فإن حشائش الأرض والفضلات المدفونة تحت السطح تستغرق أشهراً حتى تتحلل ، وفى خلال هـذه المدة تبقى التربة حمضية ، وتفعل طبقة المواد العضوية الكثيفة التى تتحلل فى بطء فعـل ورق النشاف ، فتحول دون وصول رطوبة التربة التحتيـة إلى جذور النباتات التى على السطح حين تمتصها الشعيرات . وهذا العمل وما يقترن به من تبخير الشمس الشديد فى تربة عارية من سباخ الحشائش والفضلات ، يخلق حالة مصطنعة من الجفاف بين طبقة النشاف وسطح الأرض الذى أيبسته حرارة الشمس . ويقابل ذلك ، كما يقول فوكنر ، أنك إذ استخدمت نوعاً من المحاريث (كالمحراث ذى القرص أو غيره) يفتت السطح ويفككه دون أن يقلب الحشائش والفضلات فى غور الأرض ، ظفرت بأرض ممهـدة للبذور

لا يمنع الشعيرات أن تمتص رطوبة التربة التحتية ، وتترك فى الوقت نفسه من السباخ على السطح ما يمنع التبخر ، وبذلك تدخر تلك الرطوبة الثمينة لكى تغذى محصولاتك.

وعلاوة على ذلك فإن سباخ الفضلات على السطح يمنع مياه الأمطار من الانسياب — كما يحدث حين يكون السطح عارياً — ومن فيضان القنوات بالماء حتى لا تكتسح أطناناً من التربة الفوقية . كذلك يمنع وجود هذا السباخ على التربة الفوقية من أن تذروها الرياح تراباً .

كان كثير مما كتبه فوكنر معروفاً لدى الكثيرين من الخبراء الزراعيين . وقد وضع الكثير من آرائه وطريقته موضع التنفيذ ، وخاصة فى منطقة المنخفضات البور . كانت الماشية ترعى مناطق المراعى ، فى أسوأ أيام استغلال أمريكا للزراعة ، فلا تبقى على شىء منها ، حتى مات الحشيش ، وتركت التربة الفوقية عارية تذروها الرياح . وكان القش يحرق فى حقول القمح المترامية الأطراف ، وما تبقى فى الأرض من فضلات كان يحرث ويقلب إلى الغور ، وتترك الأرض عارية ، فسرعان ما تعصف بها الريح أو يكتسحها الماء . وقد أنقصت هذه الأساليب إنتاج الغلال ، وأفضت إلى كوارث زراعية فى الفترة ما بين سنة ١٩٣٠ و ١٩٤٠ ، هجرت من جرائها ملايين الأفدنة من الأراضى الزراعية الجيدة .

ويستحق خبراؤنا الزراعيون جميل الثناء ، فقد بادروا فصدوا كارثة الأراضى الزراعية البائرة ، وكان لما اتخذوه أثر ناجع فعال فى صد تلك الكارثة ، وجعلوا أساس كفاحهم أمرين : هما غرس أشجار واقية من الرياح ، ونبذ المحراث العادى الذى يقلب الأرض ، ويترك القش على الأرض فى الحقول الواسعة لتقطعها المحاريث ذوات القرص ، فتقى التربة الفوقية من الريح والمطر ، ولتكون سباخاً يمنع تبخر الرطوبة بالشمس ، ويتوفر للأرض تلك المادة العضوية المتحللة الثمينة اللازمة للخصب .

وكان حتما أن يتقدم أحد الناس بمثل كتاب « جريرة الحارث » يوماً ما ، فقد كان الناس يشعرون منذ أمد بعيد بمساوىء الأساليب الزراعية فى هذه البلاد . وطالما سمعتهم يرددون أن الزارع الأمريكى هو أسوأ زارع فى العالم . وكان التقليد السائد فى الزراعة فى أمريكا أن يقوض الزارع كيان التربة ، فيتلف مزرعة فى بنسلفانيا ثم يهجرها غرباً إلى إنديانا حيث يستأجر قطعة أرض رخيصة يستغلها ويتلفها هى أيضاً ، ويمعن فى التنقل غرباً ليكرر المأساة وهكذا دواليك .

لقد أتلفنا ربع أراضينا الزراعية الجيدة ، وثمة ربع ثان فى سبيله إلى البوار . وإنا لنجد عاقبة هذا فى نقص الأغذية والأقوات ، فلم تبق هنالك أرض بكر ذات قيمة ، وقلما كانت الأرض فى أمريكا عزيزة على أصحابها .

لقد كان الزارع الأمريكى فى الغالب يخالف ناموس الطبيعة ، مع أن الزراعة الحديثة تقوم على مبدأ العمل وفق نواميس الطبيعة واتباع طرائقها .

يقول فوكنر إن أول ما دفعه إلى التفكير فى مساوىء المحراث العادى هو ما لاحظه فى الأشجار النامية فى حواجز النباتات وقت الجفاف . فقد كانت الأشجار فى الحقول العارية التى أحرقتها حرارة الشمس تذوى وتموت ، ولكنها تنمو وتترعرع فى حواجز النباتات ، حيث لم تحرث الأرض وحيث يغطيها سباخ الأعشاب والحشائش المتحللة ، وحيث التربة رطبة متفككة .

ولقد شاهدت فى مزرعتى الخاصة حقلين من التوت البرى الأحمر لا يفصل أحدهما عن الآخر ما يزيد على مائة ياردة ، أحدهما ضعيف مريض ترعاه الحشرات ، والآخر سليم ينوء بما يحمل من ثمار . وكان الحقل المريض قد حرث ونقى من الحشائش والأعشاب ، أما الحقل السليم فقد ترك على سبيل التجربة دون أن يمس ، ولم يمون بسباخ الماشية غير مرتين فى السنة فقط ، ولم يرش بالمواد القاتلة للحشرات ، فإن الحشرات لا تهاجم النباتات المسبخة . وكان الحقل المريض قد عولج بطرق منافية للطبيعة ، أما فى الحقل السليم فقد اتبعنا طريقة الطبيعة نفسها ، وحصلنا على نتائج تثير الدهشة .

ثار فى أواخر الصيف الماضى جدل فى مزرعتنا عن أساليب الزراعة . كان الحقل الذى نحرثه استعداداً لزراعة القمح يقع على الطريق تحت بصر الرائح والغادى ، وكانت الأرض صلبة تغطيها حشائش وأعشاب كثيفة من الصعب حرثها وقلبها كلها . فأبدى كنث كوك ، الذى كان يحرثها ، تذمره من تلك الحال فقلت له : « لا تلق بالا إلى قلب هذه الأعشاب ، وأحبّ إلى أن تترك على السطح ليقطعها المحراث ذو القرص » .

فقال كنث : « ماذا يظن الجيران بنا إذا رأوا مثل هذا الحرث ! » فلم ألبث أن تنبهت إلى إحدى مساوىء المحراث العادى ، وهى زهو الزارع بالحرث الجيد الذى يترك الأرض خلواً من كل شىء .

فقلت : « ما حرصنا على رأى الجيران ، إذا ظفرنا بإنتاج حسن ؟ ! » .

وفى ذلك المساء أعطيت كنث كتاب « جريرة الحارث » ليقرأه ، فلما جاء الصباح

ابتـدرنى بقوله : « إياك أن تعطينى كتباً مثل هذا ، فقد أرقنى الليل كله » . وبعد مرور يومين قال لى : « لا أظن أنى سأحرث حديقتى هذا الخريف ، وسأكتفى بتفكيكها بالمحراث ذى القرص ، وأزرعها شوفانا ، ثم أجرى عليها القرص مرة أخرى فى الربيع المقبل » .

لقد ظفر فوكنر بمزيد آخر من صفوف الزراع المحافظين الأمريكيين ، وأثار بكتابه مشكلة عويصة لمصانع الآلات الزراعيـة ، هى توفير أداة جديدة تقوم مقام المحراث العادى . وقد ظهر فى الأسواق فى السنين الأخيرة عـدد من المحاريث ذوات القرص وغيرها لا تقلب التربة بل تفتتها وتقطعها ، ولـكن ليس بينها محراث صالح من جميع الوجوه لإعـداد جميع أنواع الـتربة فى الظروف المختلفـة . وقد كان كتاب « جريرة الحارث » سبباً فى ازدياد الطلب على هذه المحاريث زيادة كبيرة ، وأظن أن المحراث العادى سيقل استعماله بل ربما زال من عالم الزراعة .

إن التقدير الذى قوبل به كتاب فوكنر دليل على أن الانقلاب فى الزراعة وأساليبها قد استرعى انتباه النـاس واهتمامهم . وقد سمعت أخيراً أحد الاقتصاديين الزراعيين فى وشنطن يقول : « إن الحضارة الأمريكية قائمة على تسع بوصات من التربة الزراعية . فإذا ذهبت هـذه التربة ذهبت معها حضارتنا » . ولن تكون هذه أول مرة يحدث فيها ذلك ، فإن سطح الأرض ملىء بآثار أمم وحضارات جرّت على نفسها الهلاك بإتلافها التربة التى تعيش عليها .

✡ ✡ ✡ ✡ ✡ ✡

عناء الشاعر

فى المتحف البريطانى بلندن خمس وسبعون صورة لقصيدة توماس جراى الموسومة « مرثية فى فضاء كنيسة فى الريف » . وقـد كتب جراى الصورة الأولى فلم تعجبه فـكتب الثانية فالثالثة وهكذا ، حتى كتبها خمساً وسبعين مرة فارتضى الصورة الأخيرة .

[كارل ساندبرج]

● الحب هو تاريخ حياة المرأة ، وليس إلا حادثاً عابراً فى حياة الرجل .

[مدام دوستايل]

● ليس سر السعادة فى أن تعمل ما تحب بل فى أن تحب ما تعمل .

[جيمز بارى]

من فراش المرض إلى الميدان

البرت ميزل • ملخصة عن مجلة "الانباء الجوية"

كان أحد الأطباء ، وقد هجر عيادته حديثاً وانضم إلى الجيش ، يتفقد مرضى المستشفى الكبير التابع للسلاح الجوى بشكنات جفرسون ، وهو مستشفى فيه ألفا سرير . ووقف يسأل مريضاً في قالب من الجص كيلا يتحرك : كم قضى من الزمن وهو ملقى على ظهره ؟

فقال الشاب : منذ ستة أسابيع ياسيدى . ومازلت أحدق فى هذا السقف منذ ٤٢ يوماً وقد أحصيت فيه ٢٨ صفا من المسامير ، وفى كل صف ٣١ مسماراً . وفيه ١٢ صدعاً من الشرق إلى الغرب ، و ١٤ صدعاً من الشمال إلى الجنوب . وفى الأسبوع الماضى نسجت عليه عنكبوت ولكنهم أزالوها . .

كان ذلك منذ عام مضى .

أما اليوم فإن مستشفيات السلاح الجوى الأمريكى ، وعددها ٢٢٥ مستشفى ، لم تعد مواطن ضجر أو سآمة . نعم قد يسير المرء فى مختلف أقسامها فلا يزال يرى كل طريح على الفراش يحدّق فى السقف ، ولكنه لم يعد يحصى المسامير ، بل يدرس نماذج طائرات مدلاة من السقف .

وهذه النماذج تستبدل كل يوم لكى يتسنى لكل مريض أن يتبين كل طراز من طائرات الحلفاء أو الأعداء . وهذه النماذج يصنعها الناقهون فى أثناء نقههم .

وأول ما يفجأ الرائى أن تدريب المرضى يبدأ فى أول فرصة ممكنة ، حتى لا تجد السآمة إليهم سبيلا . ويستمر تدريب الجنود الجدد فيتلقون دروساً فى الإسعاف وفن التضليل ، وفى التمييز بين الطائرات وما إلى ذلك، فالوقت الذى يقضيه المرضى فى المستشفى لا يضيع سدى . ومتى غادر المريض المستشفى أعطى شهادة بنوع العمل الذى أتقنه ، تعتمدها فرقهم كل الاعتماد . وهذا أمر يعود على الجيش بالخير كما يعود على الجندى بخير أعم ، فقد كان المرضى من الجنود فى كرب دائم من خشيتهم أن يتأخروا عن سائر

١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١

البرت . ك . ميزل هو أحد مراسلى الصحف يعنى بالطب خاصة . وقد ألف عدة كتب منها « عجائب الطب العسكرى » . وهو اليوم منهمك فى تأليف كتاب يصف فيه الأعمال الطبية العظيمة التى يقوم بها أطباء الأسطول الأمريكى فى جنوب المحيط الهادى .

رفاقهم، وأن يفرق بينهم وبين أصحابهم فيلحقوا بفرقة جديدة ويعاد تدريبهم من جديد .

أما الجنود الذين تم تدريبهم — والذين قد خدموا فيما وراء البحار — فيجدون دائماً أشياء جديدة يستطيعون أن يتعلموها، كالراديو ، وقراءة الخرائط ، والطبيعيات ، والتصوير، والكهربائية، والمسطرة الحاسبة والسباحة .

واتفق أخيراً أن كان بين مرضى أحد المستشفيات اثنا عشر طاهياً وخبازاً ، وكان أحدهم كبير الطهاة فى أحد فنادق نيويورك . فلم يلبث أن أنشىء فصل لتعليم الطهى ، وشرع ذلك الطاهى يلقن رفاقه دروساً فى أفانين الطهى . ولم تمض بضعة أيام حتى صارت تقدم موائد المستشفى ألواناً جديدة من الطعام الشهى .

أما العدد القليل من الأميين فلهم فصول تعلمهم . فمستشفيات السلاح الجوى تستطيع أن تعلم أى إنسان أن يكتب اسمه بسهولة فى يوم واحد . وإن المرء ليعجز عن تصور أثر ذلك فى روح الجندى المعنوية ، وفى اعتداده بنفسه .

وقد تعلم ٥٧ جنديا من الناقهين فى إحدى المستشفيات القراءة والكتابة فى ستة أسابيع . ولما غادروا المستشفى كان فى وسعهم أن يقرأوا الوثائق والأوامر ويكتبوا الرسائل إلى أهلهم . وأهم من ذلك أنهم أدركوا أن فى استطاعتهم أن يتعلموا ، أى أنهم لم يكونوا دمى كما كان يخيل إليهم من قبل .

وقد كان الرجل فى مستشفى جفرسون يقضى ٤٥ يوماً حتى يبرأ من تسمم ذات الرئة ، أما الآن فينطلق هؤلاء الرجال إلى أعمالهم بعد ٣١ يوماً . وليس يراد بتسريحهم من المستشفى التباهى بنجاح المعالجة ، كلا ، فقبل إنشاء هذا النظام للناقهين كان الذين يغادرون المستشفى بعد الشفاء من ذات الرئة يعودون بعد بضعة أسابيع وقد نكسوا، أما فى الربيع الماضى فلم يزد عدد الذين نكسوا على ثلاثة فى المائة . ويعزى هذا التحسن إلى برنامج العلاج العقلى والجسمى.

وقد ترى فى بعض أقسام المستشفى المظلمة مرضى يتدربون على الإشارات والرموز الضوئية بأجهزة قد صنعوها من بطاريات المصابيح ، ومن علب الورق المقوى .

وفى كثير من المستشفيات أجهزة تلغرافية على المناضد المجاورة لسرير المريض . وكان المرضى من عمال التلغراف يغادرون المستشفى وقد فقدوا رشاقة أناملهم . أما اليوم فهم يغادرونها كما كانوا أبداً ، بل أسرع مما كانوا .

وفى مستشفى « ويستوفر فيلد » بولاية

مساتشوستس ، ترى ميكانيكيا مريضاً يدفع بيديه عجلة كرسيه إلى محرك طائرة ، فيأخذ المحرك وادعاً ويفككه ليفحص جهاز التبخير. وفى مستشفى « لورنبرج ماكستون » بولاية نورث كارولينا يتدرب الناقهون على تفكيك الطائرات الشراعيـة وإعادة بنائها . وفى مستشفى « ثكنات جفرسون » قد يصعب عليك أن ترى المرضى ، لأنهم يتدربون على فن التضليل والتعمية (الكاموفلاج) وهم فى أسرتهم تحت كِلَل (ناموسيات) من صنع أيديهم .

وإنك لتكاد تجـد فى كل مستشفى من مسـتشفيات القوة الجوية رجالا ينصـتون للفونوغراف طول نهارهم ، وما إنصاتهم للأغانى الحديثـة ، بل لأسطوانات تعـلم الجنـــدى ما ينفعه من الجمل الإسـبانية أو اليابانيـة أو العربية أو الإيطالية فى مدة لا تزيد على سبع ساعات .

هذه الأعمال ، وغيرها مما يثير الدهشة ، هى جزء من برنامج يعرف ببرنامج « تدريب الناقهين من رجال السلاح الجوى » ، وقد بدأ منـذ عام مضى يوم وقف اللفتننانت كولونيل هوارد . ا . رسك يحادث الفتى الذى أحصى صدوع السـقف . وكان أول ما يرجوه الدكتور رسـك أن يخفف عن المرضى ما يعتريهم من السأم . ولـكن لم يكد يمضى فى تنفيذ برنامجه حتى بدت له أشـياء مدهشة ، فقـد أسرع برء المرضى ، وقل عدد الذين كانوا يصابون بالنكسة .

وسمع الماجور جنرال دافيـد جرانت ، كبير جراحى السلاح الجوى ، بذلك البرنامج فاحتفى به ، ولم ينقض أسبوعان حتى أصدر أمره إلى الكولونيل رسـك بتعميمه فى جميع مستشفيات السلاح الجوى .

وقد زرت مستشفى الناقهين فى « ميامى بيتش » — وهو فى فنـدقين مواجهين للبحر — فألبسونى ثياب المرضى من الجند والمعطف الخفيف الأحمر . فلما تم تنكرى انطلقت أجول فى أقسام المستشفى .

والجنود الذين يأتون من وراء البحار مصابين بإعياء من جراء العمليات الجراحية أو باضطراب عصبى ، أو بإصابات لا تحتاج إلى معـالجة جراحية مهمة ، يذهبون من فورهم إلى أحد مراكز الاستشفاء السبعة . أما الذين كانت إصابتهم بالغـة من رجال السلاح الجوى فيغادرون المستشفى إلى أحد منشآت الاستشفاء فى أول فرصة .

وقد رأى جراحو السـلاح الجوى أن خير ما يصنعون أن يخبروا المريض فى أول فرصة بسبب دخوله المستشفى ، وما ينبغى له أن يتوقعه فى مرضه ، وبذلك يتسنى لهم أن يقهروا ما يغلب أكثر المصابين من

كآبة تلازمهم وهم يصّعدون فى الطريق الطويل إلى ذِروْة الشفاء .

وقد وقفت أنا مع أحد الجراحين أمام سرير جاويش مصاب بجروح من رصاصة وقد بترت ساقه ، وكان قد جىء به من أحد الميادين وراء البحار منذ يومين ، وقد استبان فيه ضعف العقل .

أنبأنا أنه أصيب فى نابولى برصاص طائرتين ألمانيتين من طراز مسر شميت . ثم صوب نظره إلى حيث كانت ساقه اليمنى وقد انقبضت أسارير وجهه الطليق الغضّ وقال : « كنت سائق مركبة » . فقاطعه الطبيب قائلا : « لقد جئت إلى حيث ينبغى أن تجىء . فانظر ما سنفعله . سنشفيك قبل كل شىء . وأخشى أن يتطلب الأمر عملية جراحية أخرى . ولكن ينبغى لنا قبل أن نجريها أن نلتمس فيما بيننا نوع العمل الذى تودّ أن تزاوله متى تم تسريحك من الجيش ، ثم نمرنك عليه وأنت فى سريرك وسنركب لك ساقاً صناعية ، ولا تنس أنهم اليوم يتقنون صناعتها ، وستستطيع أن تعود إلى عملك وتسوق المركبة إذا شئت . ولعلك تختار أن تزاول عملا أحسن من ذلك » .

ولما فرغ الطبيب من كلامه أطبق صمت طويل ، فصدعه الجاويش أخيراً بقوله : « تبًّا لهم لماذا لم ينبئونى بذلك من قبل ؟ إنى لأستحسن ما قلت . لنبدأ فى الحال » .

نعم كان يجب أن ينبأ بذلك من قبل لكى يكفى مؤونة الهم ، ومنذ تلك الدقيقة وبرنامج علاج المريض يبدأ فعلا أول ما تحمله الطائرة .

وفى هذه المناسبات يحافظ كل المحافظة على العلاقة الوثيقة التى اعتنى بتوطيدها بين الطيار وجراح السرب(*) ، فجرّاح السرب ينبغى أن يكون صديقاً كما ينبغى أن يكون طبيباً . وقد يحرص على ميعاد يهيؤه للفتى كما يحرص على جودة الوصفة الطبية . وخير الأمكنة التى تجرى فيها المشورة الطبية هو حوض السباحة الفخم فى « كورال جايبلس » ، وقد أنفق على إنشائه مليون دولار . وكما قال أحد الأطباء : « إن فى وسعى أن أبذل جهدى فى شفاء نصف المرضى ، ولكن فى وسع أشعة الشمس وحوض السباحة أن تشفيهم جميعاً » .

والغاية الأولى هى أن ترد على الجندى كل مقدرته على القتال ، فإذا لم يتسنّ ذلك فيجب تدريبه على أى عمل آخر من أعمال السلاح الجوى . فقائد الطائرة المقاتلة يصبح معلماً فى مدرسة الطيران ، ورجال الطائرة

(*) انظر « جراح السرب » المختار ، فبراير ١٩٤٤ صفحة ٧٤

ومصوروها الفوتوغرافيون يصبحون ضباطاً فى قسم مخابرات الطيران . والمدفعى يدرب على تدريس فنه ، وبهذه الطريقة يهون على الرجال ما أصابهم من النكبات ، فى حين يظفر السلاح الجوى بما استرده أو استبقاه من الكفايات الممتازة .

أما الذين لا يمكن إعادتهم إلى الجيش العامل فيهيأون للعودة إلى الحياة المدنية . وقد نبذت الأفكار القديمة التى كانت ترمى إلى تدريب المرضى على الحرف اليدوية ، فلم يعد الجنود ينسجون السلال أو ينظمون عقود الخرز ، بل يتعلمون كيف يميزون بين مختلف الطائرات ، مستعينين على ذلك ببطاقات مصورة ويتمرنون بأجهزة مبتكرة على الرماية وقذف القنابل ، أو يتعلمون ما ينفعهم . ويعمل الجميع فى المصانع استبقاء لقوة عضلاتهم ، واجتلاباً للشعور بأنهم يزاولون أعمالا جديدة .

وأصبح السلاح الجوى يترقب اليوم الذى توجد فيه أحسن العناية حتى يعود ذوو العاهات قادرين على ممارسة الحياة المدنية .

وشفاء المرضى — على ما يرى السلاح الجوى الأمريكى — لا ينبغى أن تكون نهايته فحص أجسامهم ، ثم إعطاءهم تذاكر العودة إلى بلادهم . ولذلك نقل جميع معلمى الحرف من سلاح الطيران ليقوموا على تدريب الجنود وفقاً لهذا البرنامج .

ولذلك فمنذ اليوم الأول ، حين يصل الجندى إلى أحد مراكز الشفاء ، يبدأ ببرنامج يتدرب فيه على حرفة يرجى منها أن ترد عليه اعتماده على نفسه ، واعتداده بكرامته ، وتهيئه لضرب من الحياة ينتفع به فى الجيش العامل أو فى أرض الوطن .

سر الثناء

إذا أردت أن تثنى على أحد بالخير ، فاجعل الثناء على الجزئيات . فمثلا إذا أردت أن تعرب عن إعجابك ببيت أحدهم فاحذر أن تقول له عبارة عامة مثل : « إن بيتك هذا لطيف » وتخير شيئاً معيناً كالمنظر الذى يبدو من نافذته ، أو الحذق فى تأثيث غرفة . ولا تقل لامرأة أن قبعتها « تلائمها » وحسب ، بل قل لها إن اللون بديع ، أو إن زاوية وضعها على الرأس تخلب الألباب أو ما كان من هذا القبيل .

[دوروثى وولورث]

فلسفة فذة لقائد ممتاز، درب على أساسها فصيلة من فرقة البحارة، فكتب صفحة مجيدة فى تاريخ الحرب.

الكولونيل كارلسون
والمغيرون "على طريقة" العمل معًا"

لوسيان هبارد * ملخصة عن مجلة "ليبرتى"

بدت الجزيرة قبالة الغواصتين على مسافة لا تزيد على ثلاثة أرباع ميل، وكان البحر صاخباً مائجاً يتدفق منه تيار قوى على الشاطئ. وفتحت أبواب الغواصتين واندفع منها إلى سطحهما عدد كبير من الرجال.

كانت الأرض المقابلة هى جزيرة «ميكن» من مجموعة جزر جلبرت — مارشال، فى قلب المنطقة التى يحتلها اليابانيون. وكان ذلك فى ١٧ أغسطس ١٩٤٢

وكان رجال فصيلة المغيرين الثانية من فرقة البحارة، وقد دربوا ستة أشهر من أجل تلك الدقيقة الحاسمة، وكانوا جميعاً من المتطوعين. وقد تدرب نفر مختار منهم على أساليب الفدائيين مدة ثلاثة أشهر فى كاليفورنيا، وتدربوا شهراً آخر على النزول إلى البر فى قوارب من المطاط. وأخيراً أتموا هذا التدريب فى جزيرة من جزر هواى، حيث هيأوا بقعة على البر على شاكلة البقعة التى بدت الآن أمامهم حالكة السواد، ومرنوا فى الليل مرة بعد مرة على النزول إلى الشاطئ، والإغارة على «دار الحكومة» المقامة من العمد والحبال، وعلى «المحطات اللاسلكية»، «والمواقع المحصنة القوية». أما الآن فقد واجهوا التجربة الأخيرة.

وجعلت الغواصتان تعلوان وتهبطان، فتارة تهويان تحت سطح الماء وأخرى يحملهما الموج على ذروته إلى الشاطئ. وأخيراً استطاع المغيرون إنزال قواربهم إلى البحر بعد أن تسرب الماء إلى أجسامهم، واكتسحتهم الأمواج مرة بعد أخرى من فوق سطح

لوسيان هبارد، اشتهر صحفياً ومخرجاً سينمائياً. وقد ذهب منذ ما دخلت أمريكا الحرب إلى أستراليا وغينية الجديدة. مراسلا ملحقاً بقوات الجيش الجوية. وقد فتنته شخصية الكولونيل كارلسون وغارة جزيرة ميكن. فأنجز من عهد قريب فلماً يمثلها. وكل ما فى الفلم واقعى صحيح، لأن كارلسون كان مستشاره الفنى فى الاخراج.

الغواصة الأملس . ثم أبت محركات القوارب وقد غمرها الماء إلا أن تقف فلا تدور !

لقد جربت مرة بعد أخرى بنجاح فى البحار الصاخبة ، ولكن لقد ضاعت لآن كل تلك التجارب ، وانهارت الخطط المضنيه المحكمة ، والمواعيد الدقيقة التى وضعت لتضمن الاستيلاء على جميع أجزاء الجزيرة فى وقت واحد ، قبل أن يفيق اليابانيون إلى المقاومة . وفى هذا الخضم المتلاطم ، والتيار القوى يدفع بقوارب المطاط على جوانب الغواصتين ، تبين أنه من المستحيل أن تصل القوارب إلى المواقع المتفق عليها .

وفى طرفة عين قرر قائد المغيرين أن يضرب بالخطط المهيأة عرض الحائط ، وصاح فى رجاله : « أنفذوا الكلمة لى جميع القوارب أن تتبع قاربى هذا . هيا إلى العمل معاً » .

لم يقم القائد وزناً لأى شئ سوى تلك الصفة العزيزة التى امتازوا بها ، وهى المقدرة التى اكتسبوها من المرانة العسيرة والتعليم الطويل ، على أن يفكروا لأنفسهم كما يفكر الشباب النابه المدرب حين يواجه المصاعب الطارئة ويبتكر الخطط للتغلب عليها .

ومضى الركب الطويل المتعرج يشق طريقه فى اللجب شبراً شبراً إلى الخطر المجهول . وكان الرجال يجدفون بعزم لا يلين . وبدلا من أن ينزلوا فى أماكن متعددة فى ظلام الليل نزلوا جميعاً فى بقعة واحدة على الشاطئ ، مع مطلع الفجر . وقد تم نزولهم إلى البر دون أن يراهم أحد ، فأخرجوا أسلحتهم ووضعوا قواربهم بحيث لا يمتد إليها المد . ولم يكن اليابانيون قد كشفوا نزولهم بعد ، بيد أن نزولهم كان فى غير البقعة الصحيحة وفى غير الوقت المحدد ، ولم يكن من المستطاع استخدام أية خطة من الخطط الموضوعة .

ومع هذا فقد ظل المغيرون من الفصيلة الثانية أربعين ساعة فى جزيرة ميكن ، قضوا فيها على ثلثمائة من اليابانيين ، ودمروا ثلاث محطات لا سلكية ، ومدرعة وناقلة جنود وطائرتين ، وألف برميل من بنزين الطيران ، وثبتوا فى وجه هجوم جوى عنيف قامت به طائرات يابانية أنفذت على عجل من « جالويت » .

فلما عادوا إلى الشاطئ فى وقت اتفق عليه ، استقلوا القوارب إلى الغواصات وركبوها ، ولم يزل البحر على صخبه ، وقد خسروا ثمانية عشر رجلا فى المعركة ، وغرق اثنا عشر وهم يشقون طريقهم فى اللجة المتلاطمة .

فلما عادوا إلى قواعدهم ، استقبل الفصيلة أمير البحر « نيمتز » ، فأثنى عليها وحلى صدر عشرين من رجالها بالأوسمة .

وبعد الغارة على ميكن وجهت الفصيلة إلى « وادى الكنار » حيث ظلت تعمل شهراً كاملا ، من ٤ نوفمبر إلى ٤ ديسمبر ،

وراء خطوط اليابانيين ، فلم يمض منها يوم واحد دون اشتباك أو نزال . فحموا الجناح الأيمن للقوة الأمريكية الرئيسية ، وكشفوا موضع المدفع اليابانى المخبوء من عيار ٧٥ ، وكان يضايق تلك القوة ، فدمروه تدميراً ، وأوقعوا بقوات يابانية مرة بعد أخرى وأتلفوا أكداس المؤن والأقوات .

ولم يكن لهؤلاء المغامرين من المؤونة ما يقتاتون به إلا قدر يسير من الأرز واللحم المقدد والشاى والعنب المجفف . وقد انقطعت صلتهم بالقوة الأمريكية الرئيسية فى الجزيرة ، ولكنهم مع ذلك قضوا على ثمانمائة من اليابانيين ، وكانت خسارتهم لا تعدو ستة عشر قتيلا وثمانية عشر جريحاً .

وأخيراً بدا الهزال عليهم لقلة القوت ، فأنفذ الجنرال «فانديجرفت» الأمر بعودتهم إلى مطار هندرسن ، على أنهم أبوا أن يجوسوا خلال الأدغال الكثيفة فاقتحموا طريقهم اقتحاماً فى ساحة مونت أوستن .

وقد نالت الفرقة ، علاوة على الأوسمة الكثيرة التى منحت لرجالها ، أحسن الذكر فى التقرير الذى أعده الجنرال فانديجرفت لأعمالها المجيدة فى وادى الكنار . وكانت هذه أول مرة حدث فيها ذلك منذ الدفاع المجيد عن جزيرة ويك .

كانت هذه الغارات مغامرات عجيبة ، لا يمكن أن يأتيها إلا قائد عجيب وعصبة فريدة تشد أزره . وكان هذا القائد هو الكولونيل إيفانز كارلسون . ولن تستطيع أن تدرك سر بطولة هذه العصبة إلا إذا أحطت بهذا الرجل خبراً .

كان إيفانز كارلسون ، ابن واعظ من ولاية كونكتيكت من سلالة نرويجية ، يبلغ السابعة والأربعين من العمر نحيفاً ، معتدل القامة عريض المنكبين ، تلمع عيناه الغائرتان ببريق الحمية والبأس ، وكان صوته رقيقاً عميقاً لا تكاد تسمعه وهو يتحدث . كان كارلسون مزيجاً عجيباً من الرجل المفكر ، والرجل المؤمن ، والرجل المحارب .

وقد هجر موطنه وهو فى السادسة عشرة والتحق ا يش . وقد خلبت لبه فنون الحرب ، فجاز الامتحان لرتبة ضابط ، ولكن كان عليه أن ينتظر حتى يبلغ الحادية والعشرين لينالها . بيد أنه لم يكد يشرف على الثانية والعشرين من عمره حتى كان قد تقدم رتبتين إلى رتبة كابتن . وفى الحرب العالمية الأولى عين مساعداً لرئيس أركان حرب الجنرال پرشنج ، وكان يشغل هذا المنصب فى جيش الاحتلال الأمريكى بألمانيا .

وبعد الحرب بدا له العمل فى الجيش سهلا ليناً فاستقال ، ولكنه عاد فالتحق بعد سنتين جندياً بفرقة الجنود البحرية . وبعد

سنة أو نحوها منح رتبة ضابط ، وعمل فى الفيليبين ونيكاراجوا وفى الحاميات البحرية فى الولايات المتحدة وفى الصين ، وكان يقود الجند ويقوم بكل عمل من أعمال أركان الحرب .

وفى تلك السنين المليئة بمختلف الأعمال كانت فلسفة كارلسون — إذا جاز لنا أن نسميها فلسفة — أو نظريته عن العلاقات الإنسانية فى الحرب قد اتخذت شكلا محدوداً فهو يقول : « إذا أنت أجّرت شباناً من الأمريكيين فى أى عمل من أعمال السلم ، فإنك تفيد من كل ما يقدمونه لك ، تفيد من تفكيرهم ، ومن مقترحاتهم ، ومن قوة ابتكارهم . فلماذا إذن لا نحكم العقل وندير عمل الحرب على هذا الأساس نفسه ؟ » .

عهد إليه فى نيكاراجوا إبان حملة ساندينو فى قيادة كتيبة من الجنود الوطنيين قتلوا سلفين له من ضباط فرقة الجنود البحرية . فقال : « لقد عنّ لى أن هذين الضابطين قد لقيا حتفهما لأنهما لم يفهما الجند الذين أمّرا عليهم ، فصممت على أن أبذل الجهد فى فهمهم . ولم أكن أعرف اللغة الإسبانية إلا معرفة يسيرة ، ولكننى منذ البداءة لم أستخدم مترجماً ينقل الكلام بينى وبينهم ، ولم أنزل عقاباً بأحد منهم إلا إذا استطعت أن أجعله يقر بأنه يستاهل ذلك العقاب .

وقبل أن أفارقهم كان هؤلاء الجند الغلاظ يحملون إلىّ مشا كلهم الخاصة يبتغون منى أن أحلها لهم » .

ولما نقل إلى المفوضية الأمريكية ببيبنج قائداً لحرس الجنود البحرية ، وجد أن عليه أن يعاقب فى شهر واحد مائة من الجند أو يزيدون للسكر والعربدة ومشاغبة المدنيين . فأرسل فى طلب بعض المدرسين من مدارس الإرساليات ليلقوا على الجند دروساً فى لغة الصين وفنهم وآدابهم وعاداتهم وتقاليدهم . وأخذ الجند لأول مرة يرهفون السمع لما يلقى عليهم ، ويهتمون بتفهم البيئة التى يعيشون ، فيها فتقلصت قائمة العقاب إلى ثلاثة أو أربعة فى الشهر .

ولكن خبرته التى اكتسبها فى العمل مع الجيش الصينى الشيوعى الثامن هى التى أدت أخيراً إلى تهذيب طريقة كارلسون هذه ، وجعلت لها اسماً هو : « جنج هو » أو « العمل معاً » .

فقد عين كارلسون مراقباً مع الجيش الثامن فى مستهل مقاومته التاريخية لليابانيين الذين اجتاحوا البلاد . وعاش كارلسون كما يعيش الصينيون ، يأكل من أقواتهم القليلة ، ويفترش الأرض ، ويجاريهم فى سيرهم الطويل الذى تضطرهم إليه ضرورات الحرب ، ويرقب عن كثب فصول تعليمهم التى كانت

يحضرها فرق برمتها من الفلاحين ليدرسوا القراءة والكتابة، ويلقنوا ما يجب عليهم نحو الوطن والمواطنين . وشاهد كارلسون الضباط والجند يعيشون معاً سواسية على قدم المساواة ، ولعل أعظم ما رآه هو تلك النتائج الباهرة لذلك التدريب وفى ذلك يقول :

« لقد شاهدت ستمائة جندى فى تمام عدتهم وسلاحهم يسيرون ٥٨ ميلا فى اليوم فأتم كل فرد منهم هذا السير الشاق الطويل . ومنذ ذلك اليوم أخلصت نفسى لطريقة « العمل معاً » .

وعند عودته إلى هنج كنج أثار ثناؤه الصريح على الجيش الصينى الثامن واتهامه اليابانيين ، احتجاجات رسمية أدت فى النهاية إلى استقالته من فرقة الجنود البحرية سنة ١٩٣٨ . فعاد إلى أمريكا ، وألقى محاضرات كثيرة بين فيها ضرورة وقف إرسال الصلب ومواد الحرب الأخرى إلى اليابان ، عدو أمريكا المنتظر . وفى مايو سنة ١٩٤٠ تبين أن الحرب قاب قوسين أو أدنى ، فطلب اللحاق بالخدمة العسكرية العاملة فمنح رتبة الصاغ فى احتياطى الجنود البحرية .

وسنحت له الآن الفرصة المواتية العظمى ، فرصة تنظيم وحدة مستقلة يلقنها المبادىء التى شكلها وآمن بها خلال ثلاثين عاماً من حياته العسكرية .

وقر قراره على أن تكون الوحدة الجديدة فصيلة للمغيرين . ولما كان عملها محفوفاً بالمخاطر الجسام فقد رأى أن يكون قوامها من المتطوعين من بين أفراد فرقة الجنود البحرية . وكان فى المنطقة خمسة عشر ألفاً من أولئك الجند ، تطوع منهم سبعة آلاف ، واختير من هؤلاء أقل من ألف للبدء فى التدريب ، استغنى عن عدد آخر منهم أظهر التدريب عدم صلاحهم .

وقد جىء بالمتطوعين لاستجوابهم مرتين مرة على يد ضابط صغير ، والأخرى على يد كارلسون نفسه. وكانت الاستجوابات تكاد تكون على صورة اعترافات ، فقد قيل لهم أنه لن يؤخذ عليهم شىء مما يقولون ، ولن يعاد ذكره خارج جدران الغرفة الأربعة .

وكانت الأسئلة كالآتى : « لماذا يتطوعون لعمل قد يكلفهم حياتهم ؟ » « هل يستطيعون أن يجهزوا على عدو بأيديهم بغير سلاح ؟ » « هل يستطيعون أن يذبحوا رجلا ذبح الشاة ؟ » « هل يحبون القتال ؟ » « ما رأيهم فى الحرب ؟ » « وفى فرقة الجنود البحرية ، وفى العدو ؟ »

ويقول كارلسون : « إن نظام « العمل معاً » يقوم على الجندى . وقد وددت أن أعرف كل شىء عن كل رجل منهم : ذكاءه

ورفقه فى الأمور وقوة ابتكاره . وأردت فى الوقت نفسه أن أشعره أنه عندى أكبر من أن يكون فرداً فى جماعة ، بل هو جون سميث أو إجناس بونتوسكى، فإذا حاز القبول فسنعمل معاً جنباً إلى جنب، أنا وهو».

وإذا تم فى النهاية اختيار الرجال بدأ التدريب فى طريقين متقابلين: الأول الطريق العادى طريق التربيــة البدنية والكفاية ، والطريق الثانى هو ما أسماه كارلسون « التهذيب الخلق » .

فكان يعقــد اجتماعات « العمل معاً » ويذيع خطاباً قصيراً فيما يشغل باله من الأمور ، ويترك لرجاله بعد ذلك إدارة دفة الاجتماع . ولكل فرد منهم أن يدلى برأيه فى أى موضوع ، أو يقترح ما شاء ، أو ينقد أو يبدى استحسانه لما يريد .

ويقــول كارلسون : « لقد كان همى الأول أن أقضى على الفوارق الاجتماعية بين الضباط والجنــود . نعم ، لابد من الطاعة فهى حجر الزاوية فى كل شىء، بيد أننى قلت لضباطى إن عليهم أن يقودوا الجنــد بفضل مقــدرتهم وكفايتهم ، وأن رتبتهم العسكرية لا تغنى شيئاً حتى يبرهنوا أنهــم جديرون بها حقاً .

« وكان الضباط يأكلون ما يأكل الجند، وينامون كما ينامون لا يفرق بين أحد منهم. وقد قضينا على جميع الفوارق التى يخلعهـا العمل على القائم به ، فكنا نؤمن أن خادم المطعم أو الطاهى أو سائق سيارة النقل ، لهم من الخطر والمنزلة ما للمدفعى ، وأن المهم هو الطريقة التى يؤدى بهـا الرجل عمــله لا العمل نفسه .

« وكان مبدأ « العمل معاً » هو مقياس كل شىء فإن « العمل معاً » هو أن تسرع إلى نجدة رجل فى ضيق ، أو أن تتم عملا دون أن تسأل من كان عليه أن يتمه . وحسبى أن أقول إنه كلما أوغلنا فى الأدغال واشتبكنا مع العدو يداً بيد، زاد اعتمادنا على ذلك المبدأ مبدأ « العمل معاً » .

ولمـا تقدّم التدريب كانت كل خطوة من خطواته تطرح على بساط البحث فى الاجتماع ، وكان كل شىء يفحص بنظر الشـباب الذين تعودوا البحث عن أخصر الطرق وأمثل ضروب الإصلاح .

ولما خاضت الفصيلة غمار القتال اتبعت الطريقة نفسها . « فأحيط كل رجل من رجالها بالدور الذى سـيقوم به فى الخطة الموضوعة ، فإن ظن أن لديه رأياً أصوب أدلى به ، فإذا لقى قبولا من الباقين اتبعناه وإلا أقنعناه بوجهة نظرنا » .

ويعقد بعد كل موقعة اجتماع آخر تبحث فيه المعركة فى صراحة وجلاء . وقد حدث

ى الاجتماع الأول بعد غارة جزيرة ميكن ن قام جاويش وقال : « لا أظن يا سيدى نه كان من سداد الرأى أن تقابل الغواصات ى وقت محدد ، فلو أننا جنحنا إلى التريث حتى يهدأ ثائر البحر لاستطعنا فيما أظن أن نقذ بعض الأرواح . » فأجابه الكولونيل كارلسون من فوره : « أصبت ، إلا أنه كان ثمة سبب دعانا إلى الإسراع ، على أنى ن أفعل ذلك مرة أخرى » .

يـد أن أغلب الملاحظات ، كما يقول كارلسون ، كانت نقداً من الناقدين لأنفسهم ، فإذا أخطأ ضابط أشار إلى خطئه قبل أن يتاح لأحد أن يشير إليه .

وكان المغيرون عند خروجهم من وادى الكنار يستريحون فترة قصيرة ثم تليها غارة أخرى . ولقد أملوا أن تكون تلك الغارة فى جهة ما من اليابان نفسها ، إلا ان شيئاً من ذلك لم يحدث ، فقد ضمت الفصيلة الثانية إلى ثلاث فصائل أخرى وجعلوا منها جميعاً آلاى المغيرين البحريين ونبذوا نظام « العمل معاً » . وأصيب كارلسون بالملاريا ، فعاد إلى وطنه يستشفى . على أنه بعد أن تم له الشفاء التحق بالخدمة العاملة من جديد ، ولكن فى عمل أركان حرب .

وترد له أحياناً رسائل من رجال فصيلته القديمة ، فقد كتب إليه أخيراً أربعة منهم يقولون : « إننا نقيم فى معسكر غاية فى الجمال ، ولكننا لا نتردد فى تركه فى سبيل كيس أرز قذر لنكون مغيرين نرفع عقيرتنا بصيحة : « العمل معاً » و « لبيك يامغير » مرة أخرى .

أنا جندى

لاحظ الملك كرستيان ملك الدانمارك من عهد قريب علماً نازياً يخفق فوق مبنى رسمى فى كوبنهاجن ، فقال لضابط ألمانى إن هذا مخالف للمحالفة بين الدنمارك وألمانيا ، فرد الضابط أن العلم يخفق هناك وفقاً لأمر من برلين . فقال الملك : يجب أن يطوى العلم قبل الساعة الثانية عشرة وإلا فإنى أرسل جندياً ليطويه . وكان العلم لا يزال يخفق فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والخمسين فصرح الملك أنه مرسل جندياً لينزله . فأنذر الضابط الألمانى بأن ذلك الجندى يرمى بالرصاص . فقال الملك فى سكينة ووقار : أنا ذلك الجندى . فأنزل العلم النازى .

[وكالة أخبار « أوفرسيز »]

الباحث الأثرى فى غمار عمله

الحافرون عن التاريخ

ملخصة عن مجلة « فورتشون »

قبل أن يكشف الحفر عن « طروادة » هوميروس سنة ١٨٧٠ ، لم يكن هناك علم يقال له التاريخ . ذلك بأن التاريخ ليس له معمل يمتحن فيه مواده . فعلم الأرض وعلم الطبيعة وعلم الكيمياء ، قامت جميعاً على حقائق تشاهد لا على الفرض . ولكن البحّاث الذين أخذوا أنفسهم بالكشف عن الماضى ، كان عليهم أن يعتمدوا على أخباريات غير دقيقة كتلك التى خلفها هيرودوتس ، أو على مدونات تاريخية غامضة مريبة كالإلياذة .

ولكن علم الآثار قد زود المؤرخ بمعمل بسبك علم التاريخ حتى نحيط بالمشهد التاريخى كله . فمصر وبابل وفينيقية وإغريقية (اليونان) وورومية وأوربا وأمريكا ، لم تعد الآن ، كما كان يلوح لنا فى زمن الدراسة ، عوالم تاريخية منفصلة ، بل إن تاريخ الإنسان فى جملته قد نظر فيه على أنه رواية متصلة ، تجد أصولها ممتدة فى بقايا حفرية ، ما حوادث زماننا إلا نهاياتها . وفيما بين هذين الطرفين — طرف الأصول وطرف النهايات — تقع على حلقات متصلة من الزمان تبلغ ١٥ ألف سنة ، هى المجال الذى يعمل فيه العالم بالآثار . تلك الفترة القصيرة بالقياس إلى تاريخ الدنيا ، هى التى جهد فيها الإنسان أن يصنع « أشياء » ، ولم يقتصر على الأدوات اليدوية والأثاث واللباس بل صنع فيها الأوانى والقدور والتعاويذ ، وأقام المنازل وشيد الهياكل والآثار .

ولقد أفلح علماء الآثار اليوم فى أن يمدوا رواق فهمهم مدًّا ، حتى إن كل المدنيات تقدم أمام ناظرينا واضحة بكل تفاصيلها فقيل مثلا إننا نعرف من تفاصيل الحياة فى مصر خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، أكثر مما نعرف عن إنجلترا فى القرن الرابع عشر بعده . بل إن لدينا صورة تكاد تكون كاملة عن المدينة المينووية العظيمة التى قامت فى جزيرة إقريطش (كريت) حوالى ٣٤٠٠ — ٧١٠٠ قبل الميلاد ، وكانت قد طمست معالمها من التقريب من ذاكرة الإنسان .

وقد تسأل كيف يدرك الأثرى أين

حفر ؟ والجواب : بكل وسيلة تتصورها . وقد يعرف أحياناً أين يقع طلل أو مشهد قديم ، تطلع إلى الحفر عنه سنين طويلة . وقد يكشف فلاح بمحراثه عن جمجمة هندية . وقد يقع على حانوت فى بغداد يبدأ فتاة ببيع آثار ذات قيمة ، أو يصادف غلاماً فى دار آثار محلية فى إغريقية وبيده قطعة من النقد الذهبى . فمدنية الـكوكلى فى بناما قد استكشفت بمثل هـذه الطريقة اتفاقاً . كما يتفق أن يقـدر عالم الآثار مكان مدينـة مغمورة أو موقع طريق تجارى ، فيمضى باحثاً عن آثار تنم عنه ، كشظيات من الفخار أو أطلال لحصون القـديمة ، بل فى الأساطير الشعبية . وكان للطائرات فضل الدلالة على كثير من الأشياء ، فكشفت مثلا عن حصون رومانية فى « كايستور » فى وسط إنجلترا ، ومدن إنكاوية — نسبة إلى الإنكا — فى بيرو ، ومدائن مايانيـة — نسبة إلى مايا — محجوبة فى ولاية يوكاتان . فإذا أراد العالم الخبير بالآثار أن يبحث عن المقابر القـديمة نظر مع غروب الشمس ، حين تنم التعاريج الهزيلة التى تكون فى الأرض فجأة وبسرعة السحر ، عن صورة مقبرة أو مدينة . وقد يكشف فى وقدة الصيف عن موقع جدران مدفونة ، لأن الثرى يكون عليها أرق ، والحشائش فوقها أشـد جفافاً مما هى البقعة المجاورة . وعلى العكس من ذلك ، كما يقول عمر الخيام ، تكون الحشائش أزهى وأنضر فوق مواقع القبور . ولقـد شاع بين النـاس فى « قرشميش » على الفرات ، أن علماء الآثار سحرة ، ذلك لأنهم يعينون مواقع القبور بعصمة لا زلل معها .

والخطوة التالية فى « المعدات » . ولفظ المعدات يهيئ للذهن ما تتزود به بعثة كاملة العدة لارتقاء قمة إيفرست ، ولـكن معدات الأثرى بسيطة جهـد تصورك . ففى العادة يقابل الأثرى الرئيس وزوجه ، غلامين فى القدس أو دمشق ، فيمضى يحفر معهما ومعه قليل من صناديق الحزم والحقائب . وفى الحقائب عدسة تصوير صغيرة ، وعدد كبير من الأفلام . ولقد أحدث ذلك انقلاباً كاملا فى العمـل الأثرى . ففى طرفة عين يسجل الأثرى بعدسـته ما كان يستغرق تسجيله أسابيع من قبل . ولأدوات المساحة من القيمة والضرورة ما للعدسة ، فإن أساس الحفر المنتج ، مصوَّرة (خريطة) دقيقـة مقسمة مربعات هندسية ، تتخذ سـنداً للمراجعة .

كذلك يحمل فى صناديق الحزم عشرات من أقلام الرصاص وكميات من الورق والحبر الهندى والحبر الأبيض ، للتأشير على حجر

البازلت الأسود ، وحشوات خشبية ، أو ما ماثلها لحفظ الكنوز التي يريد نقلها ، ومناشف من الورق ليطبع عليها بالضغط الكتابات والنقوش التي يعجز عن حملها معه إلى بلده ، فتلوح في النهاية ككتب العميان . ولا يستغني كذلك عن عديد منوع من الأدوات العجيبة . والمدى المستعملة في جني ثمار الشادوق (نوع من الثمار في الملايو وبولينيزيا) مفضلة على غيرها لملاءمتها من حيث الشكل ، لسهولة إيلاجها في جوف آنية الفخار . كما لا يستغني عن الأدوات الصغيرة المستعملة في علاج الأسنان وفرشها .

وإن من أكمل الأدوات لنزع الثرى عن آنية من الفخار مطمورة في الأرض هي فرشة التزيين . ودبابيس الشعر أداة صالحة لنزع الأوساخ من التجاويف الصغيرة .

وينبغي أن يقوم على محفر متوسط الاتساع أثري أو اثنان ، وربما استعين بمهندس ليخطط الأطلال ، ويشف معالم المدن القديمة . ثم بمعماري ، وخاصة بمصور ضوئي . ولا تدعو الحاجة في المحافر الصغيرة إلى إخصائيين البتة — إذ يكفي أثري أو اثنان ومعهما زوجاهما . والأهمية المعقودة على الزوجات هنا لا يغالى في تقديرها ، فإن الأثري يروض زوجه كما يروض راع من رعاة البقر جواده . ومما لا شك فيه أنه يحبها حبا جما ، وذلك لا يحول دون أن يجعلها تكد وتنصب . ولها من فرض العمل ما يشغلها ، فمن القيام بشئون البيت والتبويب (فإن كل ذرة من ذرة لا بد من تسجيلها) إلى التخصص في فحص العملة أو الفخار . حيث يتفق أن يؤدي البحث إلى الربط بين مدنيتين تلوحان منفصلتين .

وهنالك ثلاث طرق لمعالجة مشهد قديم ، واحدة منها لا غير لها صبغة علمية . وتسمى هذه الطريقة « التعرية » ، وهو كشف الثرى طبقة بعد طبقة ، كما لو كانت بصلة تنزع قشورها . غير أن نفقات هذه الطريقة حائل دونها ، فبدلها الأثريون بطريقة أخرى ، فيتعمدون إلى فتح حفر حيثما اتفق ، لكي يكونوا بذلك فكرة عما تحت الثرى ، أو يحفرون خندقاً على طول المشهد . وقد يقف متريثاً أثناء الحفر ليستكشف ملامح ما يقع عليه ، كركام من الأشياء ، أو ركن في حجرة ، أو شظية من عمود .

وإن البيئة التي تحيط بالأثري من شأنها أن تربكه وتشدهه ، فإن المشاهد القديمة ليست منضدة كالكعكة المطبقة ، فإن طبقاتها قد تعلو ثم تهبط على صورة تولد الارتباك . وكثيراً ما تكون غير مميزة بتاتاً ، فتجد في طبقة دنيا من الأشياء ما يتوقع الإنسان أن يجده في طبقة تعلوها . وربما دل هذا إما على

بقاء جيل بعينه ، وإما على أن الغزاة قد تزوجوا من سبايا الجيل المغلوب على أمره ، فظللن يدِرْن شئون البيت على ما تعودنه . وقد يضيف أحد السراة الأغنياء عاملا آخر يثير الارتباك ، بأن يمعن فى حفر أساس بنائه حتى يتصل بآثار مدنيــة سابقة ، كما يتفق أن يتخذ بعض البناة لبنات وأحجاراً من منازل أو هياكل أقدم مما يتخذون فى زمنهم .

والأساليب التى ينهجها عالم الآثار لكى يواجه هذه الصعاب وأمثالها ، واستدلالاته التى يلجأ إليها ، جديرة بأمهر رجال الشرطة . فالجدران الرقيقة دليل على أن المنزل كان طابقاً واحداً ، كما يدل ماهو أسمك على أن البناء كان ذا طبقتين . وقاعدة عمود واحد تدل على ارتفاع بناء ما ، ذلك بأن أكثر الأبنية القديمة كانت تقام وفقاً لشروط دقيقة . وقد يستطيع المرء أن يعيد تخطيط هيكل برمته مسترشداً بقاعدة عمود وبضعة رسوم حائلة من بقايا اللبنات . ففى قصر « توت عنخ أمون » بمصر ، عثر الحافرون على قسم من أساس السمنت ، وقمتى عمودين ، وحجرين من حجارة البناء ، نقش كلاهما من وجهيه ، وبعض شظايا . ولكن لوحظ على السمنت خطوط حمر ، دلت على المكان الذى شاء المهندس أن يقيم فيه الهيكل . وكان العمودان لحسن الحظ من محيطين مختلفين . ودلت شظيات تساقطت من شرفة على زاوية السطح . ولما كان الحجران منقوشين من وجهيهما أشار ذلك إلى أنهما كانا يخترقان الجدار . ومن هذه الدلائل التى لا يمكن إغفالها ، رسمت صورة كاملة للهيكل .

على أن قطعاً من الفخار النيىء فى الطبقة الخامسة (من الحفر) ، وغيرها من صنفها تتقدمها فى الطبقة الرابعة ، إذا تخلل ما بينهما آثار حريق ، تدل على وقوع غزو فى ذلك الطور من الزمان . وشواهد الانحطاط فى المهارة ، تدل على أنه لم يحدث غزو ، بل إن المدنيــة تدهورت وانحلت . والأسكيمو الأمريكى شاهد على ذلك ، فإن « مدنيته » الحاضرة أقل عراقة منها منذ بضع مئات خلت من السنين . وازدياد المهارة والقدرة إذا خلت من دليل على حدوث حرب ، تدل إجمالا على فتح طريق تجارى جديد . والمعرفة الفنية الخاصة بأمثلة الفخار ، تعرفك فى أى متجه اتجه ذلك الطريق . والرمل المنضود طبقة فوق طبقة برهان على مشهد مهجور ومستعمرة جديدة . وقد يتفق أحياناً أن أمثالا فى المنسوجات قد توجد مطبوعة فى الأرض ، من غير أن يبقى شىء من القماش نفسه .

وإذا رأيت أثارة من الدقيق الأحمر ، فذلك دليلك على أن آنية فضية على مقربة منك . فقد حدث فى أور (الكلدان) أن صبّ شىء من الجص الباريسى فى نفقين فارغين شوهدا فى الثرى ، وكانا مستديرين استدارة كاملة بحيث يتعذر أن يكونا من صنع المصادفة . فلما جمدت المادة وحفر حولها واستخرجت ، نمت صورتها عن قيثارة اندثرت ، ربما رجع تاريخها إلى ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، وفى الثرى عشرة رسوم حائلة تبين عن آثار أوتارها الهالكة .

وكأن علماء الآثار أغوال وهامات . فهم يحبون القبور وغربلة عظام الموتى ، آملين أن يعثروا على أزرار أو ما كان يقوم مقامها فى الأعصر القديمة . وبالرغم من أن كل المقابر القديمة ذات القيمة قد انتهكت فى العصور الأولى ، فإنها ما تزال الموئل الوحيد لقطع الآثار ، بفضل العادة القديمة فى دفن الموتى مزودين بكل ما قد يحتاجون إليه فى الحياة الثانية . ومما يغتبط به الأثرىّ مدينة غمرها بركان فجأة ، فترك كل شىء فيها فى مكانه جامداً إلى الأبد . فإذا لم يقع على ذلك . فحصار ونهب يكفيانه ، لأن الجند قلما يعنون بالأوانى والقدور المنزلية أو النقوش المحلية ، وهى التى ينشدها الحافرون .

وما الحفر إلا مقدمة العمل الجاهد المضنى الذى يستوجبه التبويب والتنسيق بعد أن يعود البعث أدراجه إلى الوطن . ويغلب أن يكون ذلك أثناء الليل ، بعد الفراغ من إلقاء الدروس أو تنفيذ التعليمات . ولكن من الواجب أن يتم وإلا حبط عمل الموسم كله . وإن فلسطين لفى الطليعة من حيث أنها تبشر بإذاعة حقائق قيمة قبل أن يبدأ الحفر فيها .

أما الغنائم التى يعود بها الباحث إلى الوطن فتكون موضع عناية كاملة ، فإنها تنظف وتصقل وتتعهدها يد صناع بالتكميل ، ثم ينسقها معاً إخصائيون فى حل الرموز ذوو ذاكرات غير عادية ، وتدرس ثم توضع فى صناديق من الزجاج . فإذا فرغ من هذا العمل وكتبت اللوحات الدالة عليها ، فقد كمل عمل الموسم .

● إنجلترا وأمريكا بلدان تفصل بينهما لغة واحدة . [برناردشو]

« كيف يعمل القسم السيكولوجى الحربى من الجيش ،
وكيف نجى حياة كثير من الأمريكيين فى حملة صقلية »

حرب "القصاصات"

فردريك پاينتون • ملخصة عن مجلة "أميريكان ليجيون"

ذات ليلة من ليالى غزو صقلية ، وضع مدفعى أمريكى قنبلة فى مدفع من مدافع الميدان مسدد نحو أحد معاقل العدو ، فقذف المدفع لهباً أبيض ، وزمجرت القنبلة خلال الظلماء ، فلما بعدت كان الانفجار ضعيفاً .

فثار المدفعى وتمتم : « هذه إحدى نكبات الحرب أن نقاتل بالقصاصات » .

كانت تلك القذيفة مشحونة بالقصاصات التى تقول للايطاليين : إن النازى هم الذين يتمنون أن يجعلوا من بلادكم المحبوبة ميدان حرب ، وإن موقفهم يدعو إلى اليأس ، وإن هذه القصاصات هى « بطاقات تسليم » تضمن لكم الغذاء الجيد والأمان خلف خطوط الحلفاء . ومن فوق المرتفعات ، حيث يربض الشباب الأمريكى فى أوكارهم ، رجال يتكلمون الإيطالية يذيعون نفس الوسالة بالمكبرات فيتردد صدى الكلمات فى جوف الأودية .

وقبيل الفجر أخذت القاذفات المتوسطة تنثر « بطاقات التسليم » خلف خطوط العدو ، وضجر الطيارون فهم يرون أن القنابل الثقيلة أجدى من هذا بكثير . ولكن عشرات من الإيطاليين أقبلوا فى الصباح من مواقع العدو وفى يد كل منهم بطاقة بيضاء .

فصاح رجل : « بطاقة التسليم ؟ » ورحب بهم الأمريكيون وآووهم وراء الأسلاك الشائكة وقدموا لهم علب الطعام .

هذا هو القسم السيكولوجى الحربى فى الجيش الأمريكى ، وهو فرع من قسم النشر والرقابة بمركز قيادة جيوش الحلفاء ، ومنذ سنة واحدة كان الضباط الفنيون يستهزئون به . ولم تكد معركة العلمين تنتهى حتى قال الجنرال مونتجمرى : « أنا لا أريد طليعة من الدعاية فى الميدان الذى أحارب فيه » فلما نزل الحلفاء صقلية أمر مونتجمرى نفسه أن يسدل ستار من قنابل القصاصات .

هذا كله كان حين وضع الجنرال أيزنهاور خطته لغزو شمال أفريقية .

وحينذاك كان لأمريكا وإنجلترا معاً ست هيئات — مدنية وحربيـة — تتمنى أن تلقى العدو فى ميدان الأفكار، وكان لكل واحدة نظرها. وأخذت الأوامر تتدفق من وكالة الأنباء الحربية، ومن وكالة الخدمة الحربية، ومن اللجنة التنفيذية البريطانية للخدمة العسكرية السياسية، ومن وزارة النشر البريطانية، ومن قلم المخابرات للجيش والبحرية البريطانية والأمريكية، فكانت الفوضى هى العاقبة.

وفى أكتوبر سنة ١٩٤٢ وضع أيزنهاور المشكلة كلها بين يدى الكولونيل شارل ب. هازلتين، وهو ضابط من الفرسان عنيد الرأى، قضى فى الخدمة ٣٣ سنة، ومنذ قريب عين قائد فرقة من المشاة الميكانيكية. فجمع هازلتين رجالا ونساء من مختلف هيئات الدعاية ليكون القسم السيكولوجى الحربى للجيوش المتحالفة، ثم قال لهم فى خشونة: « أنا لا أعرف شيئاً عن الدعاية غير أنى أومن بقوتها. أنا أعرف أمور الجيش وأحسن أساليب التنظيم. ونحن تحت الاختبار حتى نخرج للناس شيئاً، فاكتبوا أنتم الكلمات وعلىَّ أنا أن أقنع الجيش بفائدتها ».

وانقسم القسم السيكولوجى الحربى إلى ثلاث شعب: وحدات الدعاية الحربية وهى تتقدم مع فرق المقدمة، ووحدات الاحتلال وهى التى تعمل فى الأرض المحتلة حديثاً، ووحدات الأساس وهى التى تصل ما بين جهود الدعاية فى مراكز قيادة جيوش الحلفاء وبين أخواتها فى لندن ووشنطن.

وهذا مثل نموذجى يبين كيف تعمل هذه المؤسسة: فهذا جون هويتاكر، وكان مراسلا أجنبياً بعيد الصيت، يقود وحدة من وحدات الدعاية الحربية فى بالرمو بصقلية، فلم يلبث أن استولى على محطة الراديو وعلى مؤسسات الصحيفة، وأبرق إلى القسم السيكولوجى الحربى يطلب وحدة من وحدات الاحتلال. ولم تمض أيام قلائل حتى أذاع الراديو على الإيطاليين أخباراً خالية من المغالاة، ونشرت صحيفة « سيسيليا ليبرتاتا » على الصقليين أولى الحقائق التى لم يقرأها أحد منذ أكثر من عشرين سنة.

وكان القسم السيكولوجى الحربى أول أمره يسلك مسلكا وعراً، فلم يتم تنظيم جماعة هازلتين إلا وحملة تونس تبدو فى أخطر مراحلها، فلم يعره التفاته أحد. فراح يحصل على المال والمعدات بكل وسيلة مستطاعة، ثم طبع جملة من القصاصات. ولكن الطيارين أبوا أن يحملوها، وكرهت دوريات المشاة أن تندس خلف خطوط العدو لكى تلقيها، ولكن ضابطاً بريطانياً

اسمه أونيل اكتشف طريقة لملء القذيفة بالقصاصات وحشوها بمواد تكفى لأن ينفجر الغلاف دون أن تحترق القصاصات . غير أن المدفعيين أبوا أن يقذفوا ما سموه « هلاهيل » .

ودأب ضباط القسم السيكولوجى الحربى على أن يزوروا القواد ليروجوا آراءهم ، وحرصوا على أن يلقوا من قصاصاتهم قدراً أكبر ، يوماً بعد يوم . وفى النهاية اتسع الخرق ، واندفع الإيطاليون يسلمون عشرات عشرات ومئات مئات ، وفى يد كل واحد منهم قصاصة كأنها رائد الأمان .

وحين ترامى ذلك إلى هازلتين ابتسم وقال : « جاء رجلان من الإيطاليين ، فى يوم واحد ومعهما البطاقات ، وقالا إن من ورائهما ستين رجلا يخشون الحضور لأنهم لا يجدون البطاقات ، فأرسلنا رجالا يحضرونهم . وفى مرة أخرى جاء إيطالى يطلب بطاقة أخرى ثم عدا ليحضر أخاه . ولقد أخبرت أن العرب فى الأيام الأخيرة من الحملة التونسية أقاموا سوقاً سوداء لهذه البطاقات يبيعونها للألمان أيضاً كما يبيعونها للطليان » .

ولقد أبلغ قائد ألمانى أسير ضباط قلم المخابرة فقال : « إن دعايتكم كانت ساحقة حتى إنه ليخيل إليك حين تقرأ هذه القصاصات الصغيرة أنك تقرأ الحق ، وأن حكومتنا تكذبنا . ولقد شعرت كأن عاصفة تعصف بعقلى ، فكان من الصعب أن أحول بين رجالى وبين قراءة هذه القصاصات لأنها كانت فى كل مكان » .

أما الآن فلا شك فى أن القواد الحربيين قد تنبهوا ، فكان يوماً عظيما فى حياة هازلتين حين أمر الليفتنانت جنرل جورج س . باتون — قائد الفيلق الثانى فيما بعد — أن تلقى القصاصات أمام مواقعه ، وحين أمر الليفتنانت جنرال كارل أ . سباتز بأن تلقى عدة ملايين من هذه القصاصات ، لتحذر السكان المدنيين يوم صمم السلاح الجوى فى الشمال الغربى لأفريقية على أن يضرب الأهداف الحربية فى روما .

ويتخذ القسم السيكولوجى الحربى من الراديو أيضاً أداة تحطم عزم العدو على المقاومة . ولقد تجلت قوة هذا السلاح الخفى فيما ظهر من تغير مروع فى وجهات نظر الأسرى الألمان . ففى تونس كانت تسيطر على الأسرى النازيين أوهام الدكتور جوبلز ، حتى قال أحدهم : « لم يبق الآن إلا أن يفتح اليابانيون سيريا وينتهى أمر روسيا هذا العام ، وفى العام المقبل سنغلبكم أنتم والإنجليز » . وقال آخر : « آه لو نقلت

إلى أمريكا ، فأنا أتمنى أن أرى نيويورك قبل أن يدكها اليابانيون بقنابلهم » . لقد كانوا فى غاية الجرأة .

ولكن الأسرى الألمان فى صقلية كان يغلبهم الحزن ووهن العزيمة ، لأنهم علموا أن الهجوم الألمانى فى روسيا قد حبط ، وأن صقلية قد انتزعت منهم ، ورأوا أن إيطاليا هى الأخرى على الأثر . واعترف بعض الضباط الألمان بأن ألمانيا لم تعد تأمل فى كسب الحرب . هؤلاء الألمان جاءوا — فى الغالب — من الاحتياطى فى فرنسا الجنوبية التى ما برح يهاجمها راديو القسم السيكولوجى الحربى ١٤ ساعة كل يوم . ولقد زودت كثير من عربات الحرب الألمانية بالراديو فكان من المستحيل أن تمنع القيادة العليا إذاعة الحلفاء من الوصول .

وأصبحت محطات إذاعات القسم السيكولوجى الحربى مدافع حصار على إيطاليا وألمانيا وفرنسا . والقاعدة الأساسية فى إعداد الأخبار للنشر هى : « اجعل الأخبار بسيطة ، وقل الحق وحده ، فإن قمتنا تنهار إذا استطاع الألمان أن يدلوا الناس على كذبة واحدة »

واستمر الراديو يلح على إيطاليا ، وما من ريب فى أن الإذاعة كانت تبلغ الشعب الإيطالى . وكلف أيزنهاور راديو القسم السيكولوجى الحربى أن ينشر على الإيطاليين خبر الهدنة مع إيطاليا ، ثم إنه أذاع عليهم تعليمات صريحة فى طريقة تخريب المواصلات الألمانية . وقد أثبتت التقارير الأخيرة أنها نفذت .

ولقد قال ك . ر . جاكسون المندوب المدنى للقسم السيكولوجى الحربى : « لقد بدأنا من لدن نقطة فى لعبة لا نعرف عنها شيئاً ، ولكن أدلة كافية تشهد الآن بأن الدعاية الصادقة فتاكة كغارات القنابل . ونحن ننقذ حياة الجنود الأمريكيين لأن كل عدو يلقى لنا السَّلم ، وفى يده بطاقة من بطاقات التسليم ، وهو نقص فى عدد من يطلقون رصاصهم على جنودنا فى المقدمة » .

● سئل القائد الأمريكى ستونوال جاكسون عن خطته الحربية فرد على القسيس السائل : أتستطيع أن تحتفظ بالسر ؟ فأجاب القسيس بالإيجاب . فقال القائد : وأنا كذلك .

[روبرت كلارك فى « أسطولنا »]

كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس

ملخصة عن كتاب بقلم

ديل كارنيجى
رئيس معهد كارنيجى للالقاء المؤثر والعلاقات الإنسانية ، بمدينة نيويورك ، ومؤلف كتابى « الخطابة » و « حقائق مجهولة عن المشاهير » الخ .

[فى الثلاثين عاماً الماضية درّب ديل كارنيجى أكثر من ١٥٫٠٠٠ من رجال الأعمال والمهن الحرة ، بينهم لفيف من أشهر الناس ، على الخطابة وسياسة الناس . وبلغ من عظم فائدة مناهجه فى دوائر الأعمال أن شركات مثل « شركة وستنجهاوس للكهرباء وصناعاتها » و « شركة ماك جرو ـ هيل للنشر » و « شركة تليفونات نيويورك » أدخلت هذا التدريب فى مكاتبها لأعضائها وموظفيها ومجالس إداراتها .

ويقول المؤلف : « إن هذا الكتاب لم يكتب بالمعنى المألوف . وإنما نما وتكوّن من تجارب آلاف من البالغين فى فصولى . » ومن « خزان » هذه التجربة الواسعة النطاق تدفقت ثروة من دروس الحكمة والحصافة فى العلاقات الإنسانية خص بها كتاب « كيف تكسب الأصدقاء ، وتؤثر فى الناس »]

النقــد عقيم

فى مايو سنة ١٩٣١ قبض على مجرم سفاح مشهور اسمه « كراولى ذو المسدسين » بعد أن حاصره مائة وخمسون من الشرط المسلحين بالمدافع الرشاشة وقنابل الغازات، فقال مدير بوليس نيويورك : إن هذا العيّار من أخطــر المجرمين فى تاريخ نيويورك . وقال: «إنه يقتل لأهون سبب وأتفه باعث»

ولـكن كيف كان كراولى «ذوالمسدسين» ينظر إلى نفسه ؟ إنه كتب رسالة عنوانها هكذا : « إلى من عسى أن يعنيه هذا » ، فى حين كان الشرط يطلقون النار عليه فى حجرته . وفى هذه الرسالة يقول: «إن تحت ثيابى قلباً مضنى ولـكنه رقيق — قلباً لا يطيب له أن يمس أحداً بأى سوء » .

وقبل ذلك بوقت قصير كان كراولى يتنزه مع صاحبـة له فى طريق خلوى حيال « لونج أيلند » فأقبل شرطى على السيـارة الواقف وقال : « هات رخصتك » .

فمـا كان من كراولى إلا أن أخرج مسدسه بلا كلام ورمى الشرطى فأرداه .

وقد حكم على كراولى بالإعـدام على الـكرسى الـكهربائى . ولمـا جىء به إلى غرفة الإعـدام فى سجن « سنج سنج » لم يقل : « هذا جزائى على قتلى النـاس » وإنما قال : « هــذا جزائى على دفاعى عن نفسى » .

ومغزى هــذه القصة هو أن كراولى « ذا المسدسين » لم يلم نفسه على شىء ما .

فهل هذاهو الموقف المألوف بين المجرمين؟ إذا كان هــذا ظنك فاستمع إلى ما يقوله المستر لوز مدير سجن سنج سنج : « قلّ بين المجرمين من يعد نفسه رجلا شريراً . ومعظمهم يحاول أن يسوغ ما اجترح ضد المجتمع ، وأن يقنع بذلك حتى نفسه ، ومن أجل هــذا يذهبون إلى أنه ما كان ينبغى أن يسجنوا ، ويصرون على ذلك بكل ما فى طاقتهم من قوة » .

وإذا كان الأشرار الذين تحيط بهم جدران السجون لا يحملون أنفسهم تبعـة شىء ما — فمـا الرأى فى غيرهم ممن نحتك بهم نحن ؟

أما أنا فقــد ذهبت أتعثر نحو ثلث قرن قبل أن أتبين أنه فى كل ٩٩ مرة من مائة، ما من رجل يأخذ على نفسه شيئاً ما ، وأن النقــد عبث ، لأنه يدفع المنقود إلى اتخـاذ موقف الدفاع ، ويحمله عادة على الاجتهاد فى تسويغ ما فعل .

والنقد أيضا خطر لأنه يجرح كبرياء المرء

ويسيء إلى شعوره بقيمته وشأنه ، ويثير امتعاضه ونفوره .

وقد اتفق لى وأنا فى مقتبل العمر ، أيام كنت أحاول أن ألفت الأنظار إلى نفسى أن كتبت رسالة سخيفة إلى ريتشارد هاردنج دافيز ، وكان يومئذ مؤلفاً مشهوراً ، وكنت أعد مقالا لإحدى المجلات ، عن المؤلفين ، فرجوت من دافيز أن يفضى إلى بطريقته فى العمل . وكنت قد تلقيت قبل ذلك رسالة فى آخرها هذه الحاشية : «أمليت ولم تراجع» فوقعت الحاشية فى نفسى موقعاً عميقاً ، وشعرت أن الكاتب لا بد أن يكون كثير العمل عظيم الشأن . ولما كنت أريد أن أقع فى نفس ريتشارد هاردنج دافيز هذا الموقع ، فقد ختمت رسالتى إليه بهذه الحاشية « أمليت ولم تراجع » .

ولم يتكلف دافيز قط أن يرد على رسالتى ، واكتفى بأن يعيدها إلىّ وعليها هذه العبارة : « إن سوء أدبك لا يفوقه إلا سوء أدبك » . ولا شك أنى كنت أستحق هذا التأنيب ، ولكنى بشر ، ولهذا امتعضت . وبلغ من شدة استيائى أنى لما قرأت نعيه بعد ذلك بعشر سنين كان الذى لا يزال يخامرنى ويدور فى نفسى — ويخجلنى أن أقول ذلك — هو الألم الذى أورثنيه .

وينبغى أن تذكر فى معاملتك للناس أنك لا تعامل أهل منطق ، بل أهل عواطف وشعور حافلة النفوس بالأهواء يسيرها الكبر والغرور . وإذا كان همك أن تثير غداً عداوة تبقى على الأحقاب وتدوم ما دامت الحياة فما عليك إلا أن تجرى لسانك بشىء من النقد اللاذع — بالغة ما بلغت ثقتك بأنك على صواب فيه .

لقد كان بنيامين فرانكلين كثير فلتات اللسان وعثراته فى شبابه ، فراض نفسه حتى صار حصيفاً كيساً لبقاً فى معاملة الناس حتى اختير سفيراً لأمريكا فى فرنسا . أتريد أن تعرف السر فى نجاحه ؟ قال : « لن أذكر أحداً بسوء ، وسأحرص على أن أتكلم بكل ما أعرفه من خير عن كل إنسان » .

ولقد قال الدكتور جونسون : « إن الله يا سيدى لا يحاسب الإنسان إلا بعد انتهاء أجله » .

فلماذا أفعل أنا وانت غير ذلك ؟

نريد أن نكون شيئاً مذكوراً

يقول الأستاذ جون ديوى — أعمق فلاسفة أمريكا : « إن أقوى دافع فى الطبيعة البشرية هو الرغبة فى أن يكون المرء شيئاً مذكوراً » . فتذكر هذه العبارة « الرغبة فى أن يكون المرء شيئاً مذكوراً » فإنها جوع ملتهب لا يسكن ولا يفتر ، وهذه

الرغبة هى التى أغرت كاتب البقال الفقير غير المتعلم — إبراهام لنكولن — بأن يدرس القانون ، وهى التى ألهمت ديكنز أن يكتب رواياته الخالدة ، وهى التى تغريك بارتداء أحدث الأزياء ، وبطلب وظيفة أرقى ، وبالتحدث عن بنيك الأذكياء .

ويتمارض بعض الناس أحياناً ليفوزوا بالعطف والعناية والالتفات ، وليفيدوا الشعور بأن لهم قيمة . ويذهب بعض الثقاة إلى أن بعض الناس يصيبهم الجنون فعلا ليجدوا فى عالم الأحلام الذى يتيحه الجنون ، ذلك الشعور بالأهمية الذى حُرموه فى عالم الحقيقة القاسى .

فإذا كان هذا مبلغ ظمأ الناس إلى الشعور بالأهمية ، فتصور المعجزات التى نستطيعها إذا نحن لم نبخل عليهم بالتقدير المنصف ! إن الإنسان النادر الذى يسعه أن يسكن هذا الجوع النفسى يسعه أن يضع الناس فى راحة يده .

لقد كان أندرو كارنيجى — ملك الصلب — ينقد تشارلز شواب مرتباً سنويا لم يسبق له نظير ، مليون ريال ، فهل كان ذلك لأن شواب يعرف عن صناعة الصلب أكثر مما يعرف سواه ؟ كلام فارغ ! فقد أخبرنى شواب نفسه أنه كان معه رجال يعملون له ، ويعرفون عن الصلب فوق ما يعرف هو ، وأنه إنما كان يتقاضى هذا المرتب لقدرته على معاملة الناس . وما السر فى ذلك ؟

قال شواب : « إنى أرى أن قدرتى على إثارة الحماسة والغيرة فى النفوس أعظم ما أمتاز به . والتقدير هو الوسيلة إلى إبراز خير ما فى الإنسان . فما قتل الطموح فى نفس الإنسان كالذم من رؤسائه . لهذا ترانى أتوخى أن أطرى وأكره أن أذم . وينقصنى أن أعرف رجلا — مهما بلغ من رفعة المحل — لا يكون عمله أجود ، وجهده أعظم ، بفضل الإطراء دون الذم » .

وكان التقدير المخلص من أسرار نجاح روكفلر فى معاملة الناس . مثال ذلك أن أحد شركائه — إدوارد بدفورد — جر على الشركة خسارة بلغت مليون ريال فى صفقة خاسرة عقدها فى أمريكا الجنوبية ، ولو شاء روكفلر لعاب وذم ، ولكنه كان يعلم ان بدفورد فعل أقصى ما يدخل فى طوقه ، ومن هنا وجد روكفلر ما يثنى عليه ، فهنأ بدفورد لأنه استطاع أن ينقذ ٦٠ فى المائة من المال الذى ثمره . قال : « هذا بديع ! ولسنا نحسن أن نفعل مثل ذلك فى مكاتبنا هنا » .

والحقيقة أن كل رجل تلقاه تقريباً ، يشعر أنه خير منك ويفوقك فى شىء ما ،

فالطريق إلى قلبه هو أن تدعه يدرك أنك تعرف قيمته ولا تنكرها . إننا نغذى أجسام أطفالنا وأصدقائنا ، ولكن ما أقل ما نغذى احترامهم لأنفسهم !

كلا ! لست أشير بالملق ، فإن الملق جدير بأن يخفق ، وهو يخفق عادة . والملق من طرف اللسان ، أما التقدير المخلص فمن القلب .

فلنكف عن التفكير فيما صنعنا وفيما نحتاج إليه ، ولنحاول أن نفطن إلى مزايا الغير ، ولنوف هذه المزايا حقها من التقدير النزيه المخلص ، فإن الذى يظفر بذلك منك يظل يذكره على كرّ الأعوام ، على حين تكون أنت قد نسيته .

قال إمرسون : « إن كل رجل ألقاه يفوقنى من ناحية ما ، فأنا لهذا أتعلم منه » .

ما يريده الرجل الآخر

تحتاج فى غد أن تقنع بعضهم بأن يفعل شيئاً ما ، فتذكر قبل أن تتكلم أنه ليس ثم سوى وسيلة واحدة تحت قبة هذه السماء لحمل أى إنسان على فعل أى شىء . وهذه الوسيلة هى أن تجعله « يريد » أن يفعل الشىء .

وقد كان أندرو كارنيجى استاذا حاذقاً فى التأثير فى الناس ، وذلك بأن يتحدث إليهم بما يحرك فيهم إرادة العمل . مثال ذلك أن أخت زوجته كانت شديدة القلق على ولديها فى الكلية ، فقد أهملا أن يكتبا إليها ، ولم يعيرا رسائل أمهما التفاتاً . فعرض كارنيجى أن يراهن بمائة ريال على أن يغريهما بالرد مع البريد الراجع من غير أن يطلب ذلك منهما . فقبل بعضهم الرهان منه ، فكتب إليهما رسالة لطيفة ، وذكر عرضاً فى حاشية أنه أرسل لكل منهما خمسة ريالات غير أنه أهمل أن يرسل المال .

فجاءه الرد برجع البريد .

وقد نبهت هذه الحيلة باعثاً يعد ، إذا قيس إلى غيره ، غير كريم ، ولكن من الممكن فى كثير من الأحيان التأثير فى الناس بتنبيه أسمى البواعث الممكنة . وقد حدث أن رأى اللورد نور ثكليف صورة له فى جريدة لم يكن يريد أن تنشر فكتب إلى رئيس التحرير رسالة ، ولكن هل قال له فيها : « أرجو أن لا تنشر هذه الصورة مرة أخرى فلست أرضى عنها » ؟ كلا ! بل أيقظ فى نفس المحرر الاحترام الذى تنطوى عليه جميعاً للأمومة فكتب يقول : « أرجو أن لا تنشر صورتى هذه مرة أخرى فإن أمى لا تحبها » .

ولما أراد جون د . روكفلر الصغير أن يكف مصورو الصحف عن رسم أبنائه ،

لم يقل لهم : « لا أريد أن تنشر صورهم » كلا ، بل نبه الحرص الكامن فى نفوسنا جميعاً على اتقاء ما فيه أذى للأطفال فقال : « إنكم تدركون الباعث لى ، فإن لكم أبناء ، وإنكم لتعرفون أنه ليس من مصلحة الصغار أن تكثر الدعاية لهم » .

كان لتشارلز شواب مدير مصنع لا ينتج رجاله ما ينبغى أن ينتجوه فسأله شواب : « كيف اتفق أن رجلا فى مثل اقتدارك لا يستطيع أن يجعل هـذا المصنع ينتج ما يجب أن ينتج ؟ » .

قال الرجل : « لا أدرى . قد حاورت العمال وداورتهم ، وحضضتهم ، ولعنتهم ، ولكنهم يأبون أن يزيدوا على ما يفعلون » وكان هـذا فى آخر النهار ، قبل أن يجىء عمال الليل .

فقال شـواب : « أعطنى قطعـة من الطباشـير » ثم التفت إلى أقرب رجل وسأله : « كم أخرجتم اليوم ؟ » .

قال : « ستة » .

فلم ينطق شواب بكلمة ، وانحنى فكتب بالخـط الكبير رقم « ٦ » على الأرض بالطباشير وانصرف . فلما أقبل عمال الليل رأوا رقم « ٦ » وسألوا عنه ما معناه فقال لهم عمال النهار : « كان صاحب المصنع هنا اليوم ، وسألنا عن إنتاجنا فقلنا ستة فخطها بالطباشير على الأرض » وفى صباح اليوم التالى دخل شواب فى المصنع فإذا عمال الليل قد محوا رقم « ٦ » وخطوا مكانه « ٧ » بالخط الجليل .

ولما جاء عمال النهار رأوا السبعة الكبيرة على الأرض فقالوا لأنفسهم : إن عمال الليل يظنون أنهم خير منا ! ! حسن ! سنريهم ! وعكفوا على العمل بحماسـة وغيرة ، ولما انصرفوا فى المساء تركوا وراءهم « ١٠ » ضخمة . وما لبث المصنع الذى كان يتلكأ فى إنتاجه أن صار ينتج فوق ما ينتج سواه .

ولماذا ؟ قال شواب : « إن الوسـيلة لحمل النـاس على العمل هى إثارة روح التنافس ، ولست أعنى التنافس الذميم الذى غايته الحصول على المال ، وإنما أعنى الرغبة فى التفوق » .

فى سنة ١٩١٥ لما صمم وودرو ولسون على إرسال رسول سلام إلى سادة الحرب فى أوربا ، أراد وليم جننجز برايان ، وزير الخارجية وداعيـة السلام ، أن يكون هو الرسول . ورأى أن هذه فرصة أتيحت له لتخليد اسمه ، ولـكن ولسون عين الـكولونل هاوس ووكل إليـه أن يبلغ برايان ، وهى مهمة شائكة . وقـد كتب هاوس فى يومياته يقول : « لقد كان من الجلى أن برايان خاب أمله ، ولـكنى بينت

له أن الرئيس رأى أن ليس من المصلحة أن يتولى هذه المهمة أحد رسميا ، وأن إيفاده (برايان) يلفت الأنظار لفتاً قوياً ، فيروح الناس يتساءلون عن السر فى قدومه » .

فهل أدركت المعنى الذى تنطوى عليه هذه العبارة ؟ إن هاوس يقول لبرايان إنه أكبر جداً من هذه المهمة ، وقد رضى برايان وارتاح ، ذلك أن الكولونل هاوس الحاذق الخبير بالدنيا وأهلها يجرى على قاعدة مهمة فى العلاقات الإنسانية : أشعر غيرك السعادة حين يعملون ما تقترح عليهم .

لا تجادل

حدث فى مأدبة أن قص الجالس إلى جانبى قصة اقتبس فيها هذه العبارة : « إن هناك قدراً يصوغ مصائرنا كائناً ما كان ما نفعله نحن فى تدبيرها » وزعم أنها من الإنجيل وكان مخطئاً ، فصححت له خطأه وأظهرت أنى أعلم منه ، ولكنه أصر على زعمه . من شكسبير ؟ كلام فارغ ! إنها من الإنجيل . وكان إلى يسارى صديق قديم لى وقد درس شاكسبير درساً وافياً ، فاتفقت أنا وصاحب القصة أن نطرح الخلاف عليه ، فأصغى صديقى ثم ركلنى برجله من تحت المائدة وقال : « إنك مخطىء ياديل . وهذا السيد مصيب . فإن العبارة من الإنجيل » .

ولما كنا فى طريقنا تلك الليلة إلى بيوتنا قال صديقى على سبيل الإيضاح : « لاشك أن الكلمة من شكسبير ياديل ، ولكننا كنا ضيوفاً فى مأدبة بهيجة ، فلماذا تحاول أن تثبت لرجل أنه مخطىء ؟ أتظن أن هذا يجعله يستلطفك ؟ لماذا لا تدعه وشأنه ؟ ثم إنه لم يطلب رأيك فلماذا تجادله ؟ اتق دائماً الزاوية الحادة » .

« اتق دائماً الزاوية الحادة » لقد كانت بى حاجة شديدة إلى هذا الدرس ، لأنى كنت مغرى بالجدل ، وقد جادلت أخى فى شبابى فى كل شىء تحت السماء ، ودرست فى الكلية المنطق والمناظرة ، ثم صرت أعلمهما فى نيويورك . وكانت النتيجة أنى انتهيت إلى أن ثم وسيلة واحدة لإقامة الحجة وإنهاضها ، وهى أن تجتنب إقامتها ! ففى كل تسع مرات من عشر ينتهى الجدل بأن يكون كل من المتجادلين أشد اقتناعاً بأنه هو على حق ، ولا تستطيع أن تفوز ، لأنك إذا انتصرت على خصمك فإنك تخسر ، لأنك لن تكسب قط رضاه وطيب طويته .

وقد قال وليم م . ماك أدو وزير الخزانة فى عهد رياسة وودرو ولسون إنه تعلم من السنوات الحافلة التى قضاها فى السياسة : « أن من المستحيل أن تقهر جاهلا بالحجة » وما ارى إلا أن المستر ماك أدو قد آثر

القصد ، فإن تجربتى تنبئنى أنه يكاد يكون من المستحيل أن تحمل أى رجل — بغض النظر عن علمه أو جهله — على تغيير رأيه بالجدل .

مثال ذلك أن المستر فردريك س . بارسونز ، وهو مستشار فى الضرائب ، ظل ساعة يجادل مفتشاً للضرائب ، وكانت المناقشة على ٩٠٠٠ ريال يقول المستر بارسونز إنها دين ميت ، ويقول المفتش إن ضريبتها يجب أن تجبى .

قال المستر بارسونز : « كان هذا المفتش جامداً ومتحجرفاً وعنيداً ، وكان يزداد عناداً كلما طال الحوار ، وأخيراً قلت له : « أحسب أن هذه مسألة تافهة بالقياس إلى المسائل المهمة الصعبة التى تعالجها وتبتّ فيها . وقد درست موضوع الضرائب ، ولكن معرفتى بها مستمدة من الكتب ، أما معرفتك فمستفادة من خط نار التجارب . وإنى لأتمنى أحياناً أن يكون لى مثل وظيفتك ، فإنها خليقة أن تعلمنى كثيراً مما أجهل » وكنت مخلصاً فيما قلت ، فاعتدل المفتش على كرسيه واضطجع وراح يتكلم طويلا عن عمله ، وحدثنى عن غش كثير كشف عنه . وصارت لهجته ودية شيئاً فشيئاً ، وما لبث أن حدثنى عن بنيه . ولما هم بالانصراف قال لى إنه سيدرس موضوعى مرة أخرى ثم يبلغنى رأيه بعد بضعة أيام ،

وعاد بعد ثلاثة أيام وقال لى انه قرر أن يترك الأمر على ما هو مدون فى ملفه » .

لقد كان هذا المفتش يبدى ضعفا إنسانيا شائعا جداً ، فقد كان مطلبه الشعور بأنه ذو شأن وخطر ، فلما كان المستر بارسونز يجادله ، كان هو يرضى شعوره بقيمته بتقرير سلطته وتعزيزها ، فلما أقر له بارسونز بقيمته وطمأنه من هذه الناحية وانقطع الجدل ، وتيسر له أن يوسع نطاق ذاتيته انقلب إنساناً عطوفاً رقيقاً .

وقد كففت عن القول لأحد إنه مخطىء ، وألفيت ذلك نافعاً ، فإن المنطقيين قلة ، وأكثرنا متحيز منكوب بآراء سابقة يعتنقها . وقد نعترف فيما بيننا وبين أنفسنا بالخطأ ، وقد نقرّ به لغيرنا إذا عالجنا برفق وحكمة ، بل قد نباهى بصراحتنا ، ولكننا لا نفعل ذلك إذا حاول بعضهم أن يرغمنا على ازدراء الحقيقة غير السائغة .

حدثنا فرانكلين فى ترجمته بقلمه كيف تغلب على عادة الجدل القبيحة ، وكيف عالج نفسه حتى صار من أقدر الساسة فى تاريخ أمريكا . وقال إنه حين كان شاباً كثير العثرات انتحى به صديق قديم ناحية وقال له : « اسمع يابنى ، إن آراءك كأنها سياط تجلد بها كل من يخالفك ، وإن إخوانك ليطيب لهم العيش حين تغيب عنهم ، وإنك

لتبدو أعلم من أن يستطيع أحد أن يعرفك بشيء ، بل إنه ما من أحد سيحاول ذلك ، لأنه جهد لا يثمر إلا المتاعب . فانت لا يحتمل أن تعلم أكثر مما تعلم الآن وهو قليل جدا » .

وكان فرانكلين حصيفاً عاقلا ، فأدرك أن هذا حق فتحول . قال : « اتخذتها قاعدة لى أن أجتنب كل معارضة لآراء غيرى وكل تقرير لآرائى . بل حرمت على نفسى أن أستعمل لفظاً يدل على رأى مقرر أو مفروغ منه مثل « على التحقيق » أو « بلا شك » وصرت أقول « أحسب أن الأمر كيت وكيت » أو « إن هذا يبدو لى كذلك فى الوقت الحاضر » . وإذا قال غيرى قولا أراه خطأ فإنى أحرم نفسى لذة الاعتراض عليه فجأة ، وإظهار ماينطوى عليه من غلط، فإذا أجبته بدأت بأن أبين أن رأيه يصدق فى حالات معينة ، ولكنه فى الحالة الراهنة يظهر أن هناك شيئاً فى الاختلاف .

« وصار هذا فى النهاية عادة راسخة حتى إنه فى خمسين عاماً تقريباً لم يسمع أحد منى عبارة تقريرية . وإلى هذه العادة ، مضافة إلى النزاهة، يرجع الفضل فى أنه كان لى تأثير فى مواطنى حين اقترحت مشروعات جديدة أو تنقيحاً فى مشروعات قديمة ، كما يرجع إليها الفضل فى نفوذى فى المجالس العامة » .

إذا كنت مخطئاً

إذا وقعت فى خطأ فكثيراً ما ينفعك أن تبادر إلى الإقرار به . كان فرديناند وارين رساماً تجارياً فلجأ إلى هذه الوسيلة لاكتساب رضى مدير فنى شكس . حدثنى وارين قال : « بعثت إليه حديثاً برسم رسمته بسرعة ، فطلب منى بالتليفون أن أحضر إليه فى مكتبه على الفور ، فلما صرت عنده كان ما توقعته ، فألفيته ساخطاً ، ومغتبطاً بالفرصة التى أتيحت له للإنحاء علىّ باللوم ، وسألنى بحدة: لماذا فعلت كذا وكذا؟فلجأت إلى خطة جديدة وقلت : « لقد أخطأت وليس لى أى عذر، فإنى أرسم لك من زمن طويل ، فكان من الواجب أن لا أغلط هذا الغلط ، وإنى لفى خجل شديد » .

وإذا به ينقلب مدافعاً عنى ويقول : « نعم ، نعم ، إن ما تقول صحيح ، ولكن هذه غلطة هينة على كل حال . . . »

فقاطعته قائلا : « إن أية غلطة قد تصبح باهظة الكلفة . وكان ينبغى أن أكون أشد عناية . وسأرسم هذا من جديد » .

فرفض قائلا : « لا لا لا . إنه لا يخطر لى أن أجشمك كل هذا العناء » وأثنى على عملى وأطراه ، وأكد لى أنه لا يريد إلا تغييراً طفيفاً لا يستحق كل هذا القلق . ذلك أن تقدى لعملى استلّ غضبه ،

وقبل أن أنصرف ناولنى شيكا ووكل إلى عملا آخر .

ضمير المفرد المتكلم

هل تريد أن تكتسب أصدقاء ؟ إذن كن ودوداً ، وانس نفسك ، فليس الناس بمعنيين بك ، وإنما هم معنيون بأنفسهم صباحاً وغدوة ومساء . وقد درست شركة تليفونات نيويورك الحوار التليفونى ، لتعرف أى الألفاظ أكثر دوراناً على الألسنة ، فإذاً هو الضمير « أنا » فقد أستعمل ٣٩٠٠ مرة فى ٥٠٠ محادثة تليفونية. « أنا »، « أنا » ، « أنا »، «أنا».

وهذا هو السبب فى أنك تستطيع فى شهرين اثنين ، إذا أظهرت العناية بأمر غيرك — أن تكسب من الأصدقاء أكثر مما تكسب فى عامين طويلين ، إذا حاولت أن تحمل الناس على العناية بأمرك أنت .

وكان هذا هو السر فى الشهرة العجيبة التى فاز بها ثيودور روزفلت. زار روزفلت البيت الأبيض يوماً ، ولم يكن الرئيس تافت وزوجته هناك ، فبدا حبه الصادق لصغار الناس من تحيته لكل خدم البيت الأبيض القدماء بأسمائهم ، حتى الخادمات اللواتى يغسلن أوانى المطبخ .

كتب ابنه يقول : « ولما رأى أليس خادمة المطبخ سألها عن فطائر الذرة ، ألا تزال تصنعها ؟ فقالت إنها تصنعها أحياناً للخدم ، ولكنه لا يأكلها أحد من العلية»

« فقال روزفلت : « هذا يدل على فساد ذوق ، وسأقول هذا للرئيس حين أراه » .

« فجاءته بقطعة على طبق فذهب إلى المكتب وهو يأكلها ويحيي البستانية والعمال وهو يمر بهم . ولا يزال هؤلاء يتذاكرون ذلك اليوم . وقد قال خادم والدمع يجول فى عينيه : « لقد كان ذاك أسعد يوم مر بنا فى عامين كاملين » .

وكان مثل هذا الاهتمام القوى بأمور الناس هو الذى جعل الدكتور تشارلز إيليوت مدير جامعة هارفارد من أنجح من تولوا إدارة الجامعات . حدث ذات يوم أن طالباً جديداً — ل . ر . ج . كراندون — قصد إلى مكتب المدير ليقترض ٥٠ ريالا من صندوق الطلبة ، فأعطاه ما طلب . قال كراندون : « ثم التفت الرئيس إيليوت وقال : « تفضل واجلس » وأدهشنى حين استطرد يقول : « لقد قيل لى إنك تطبخ طعامك وتتناوله فى غرفتك . وأرى أن هذا حسن إذا حصلت على الطعام الصالح وعلى الكفاية منه . وقد كنت أنا أفعل هذا فى زمن التحصيل . فهل صنعت قط فطيرة بلحم العجل ؟ إنها من خير الأطعمة إذا

أنعمت إنضاجها ، لأنه لا شيء يضيع منها سدى . والطريقة التى كنت أصنعها بها هى هذه . . . » ثم راح يخبرنى كيف ختار اللحم وكيف أطبخه على مهل ، وبحيث يترك التبخر الحساء كالهلام ، ثم كيف أقطعه وأضغطه بين وعائين أحدهما فى الآخر ، ثم آكله آخر الأمر بارداً » .

أفترى يكون هذا الأسلوب صالحاً نافعاً فى الأعمال المالية والتجارية ؟ إن فى وسعى أن أورد عشرات من الشواهد .

كان تشارلز وولترز من رجال مصرف كبير فى مدينة نيويورك ، فكلف أن يعد تقريراً سريا عن شركة معينة . وكان لا يعرف سوى رجل واحد عنده ماينبغى من العلم، وهو الرئيس . فلما أدخل وولترز عليه فى مكتبه أطل رأس فتاة من الباب وقالت إنه ليس عندها له اليوم طوابع بريد أخرى .

قال الرئيس على سبيل البيان : « إنى أجمع الطوابع لابنى وهو فى الثانية عشرة من عمره » .

وشرح وولترز غايته من الزيارة وبدأ يلقى أسئلته ، فجاءت الأجوبة غامضة ، عامة ، وكان الحديث وجيزاً عقما .

فلم يدر المستر وولترز ماذا يصنع ، ثم تذكر أن القسم الخارجى من مصرفه يجمع الطوابع من الرسائل التى يتلقاها من قارات الأرض جميعاً .

قال وولترز : « وفى عصر اليوم التالى زرت الرجل مرة أخرى ، وبعثت إليه أنبئه أن معى طوابع لابنه . فحيانى بوجه مشرق الديباجة وجعل يقول وهو يتناول الطوابع : « سيعشق جورج هذا . وتأمل هذا .. إنه كنز ! »

« وقضينا نصف ساعة نتحدث عن الطوابع ، ثم أفرد لى أكثر من ساعة يفضى إلىَّ بكل ما أريد الوقوف عليه ، حتى من غير أن أسأله » .

فإذا كنا نريد أن نكتسب أصدقاء فلنعن بأن نصنع شيئاً للناس — شيئاً يتطلب وقتاً ونشاطا وحصافة .

أحسن الاصغاء

قابلت أخيراً عالماً نباتياً ممتازاً فى مأدبة عشاء ، ولم أكن قبل ذلك حادثت أحداً من علماء النبات . فظللت طول ذلك المساء جالساً على حافة الكرسى فى حين راح هو يتحدث عن الحشيش والبطاطس والحدائق المنزلية . وانتصف الليل ، فحييت وانصرفت . فالتفت النباتى إلى مضيفنا وأثنى علىَّ ثناءاً جميلا ، ووصفنى بأنى أنعش نفس جليسى ، وأنى « محدث ظريف » .

محدث ظريف ؟ إنى لم أفتح فمى قط . وما كنت أستطيع أن أقول شيئاً لو أنى أردت الكلام إلا إذا تغير الموضوع ، لأنى لا أعرف شيئاً فى علم النبات . ولكن الذى فعلته هو هذا : أصغيت بعناية وأرهفت سمعى ، لأنى كنت حقيقة معنيا بما أسمع ، فلم يفته اهتمامى بما يقول ، وسرّه منى هذا . وهذا الضرب من الإصغاء هو خير ما تثنى به على المرء .

وهذا هو سر النجاح فى أحاديث المجتمع والأحاديث التى تدور على الأعمال أيضاً . وتذكر أن الرجل الذى تتحدث إليه يهتم بنفسه وبحاجاته وأموره مائة ضعف اهتمامه بك وبأمورك . ولضرس يؤلمه أخطر شأناً عنده من مجاعة فى الصين . ففكر فى هذا حين تفتح حديثاً مع أحد ، وإذا أردت أن يحبك الناس فأحسن الإصغاء ، وشجعهم على الكلام عن أنفسهم .

سحر الأسماء

سألت مرة جيم فارلى عن سر نجاحه فقال : « الكد فى العمل » فقلت له : « لا تكن سخيفاً » .

فسألنى هو عما أظن أنه سر نجاحه فقلت : « سمعت أنك تستطيع أن تدعو ١٠٫٠٠٠ إنسان باسمه الأول » .

قال : « بل أنت مخطىء ، فإنى أستطيع أن أدعو ٥٠٫٠٠٠ إنسان باسمه الأول » .

فلا يداخلك شك فى هذا ، فإن هذه القدرة أعانت المستر فارلى على أن يجلس فرانكلين د . روزفلت فى البيت الأبيض . ولما كان فارلى يطوّف فى البلاد ممثلا مصنعاً للجص ، ابتكر طريقة يتذكر بها الأسماء ، فكان إذا تعرف برجل بحث عن اسمه الكامل وعن أسرته كلها ، وعن عمله ، وعن آرائه السياسية ، وحفظ ذلك كله عن ظهر قلب . حتى إذا قابله مرة أخرى ، استطاع أن يربت له على كتفه ويسأله عن زوجته ، وبنيه وعن الخبيزى فى حديقته الخلفية . فلا عجب إذا صار له شيعة وأتباع!

وقد أدرك فى صدر حياته أن الرجل من الأوساط العاديين أعظم اهتماماً باسمه هو منه بجميع أسماء الخلق مجتمعة . فإذا تذكرت اسم رجل ووسعك أن تدعوه به بلا عناء ، فإنك تطريه إطراء فعالا ، أما إذا نسيته أو أخطأت فى هجائه ، فإنك تضع نفسك منه فى موضع لا يسرك .

وقد عرف أندرو كارنيجى ، وهو فى العاشرة من عمره ، الأهمية المدهشة التى يراها الناس لأسمائهم ، فاستخدم هذه المعرفة لاكتساب المعاونة . وكان له عدد من صغار الأرانب ليس عنده طعام لهم ، فقال للغلمان

من جيرانه إنه مستعد أن يطلق أسماءهم على الأرانب إذا جمعوا له الكفاية من البرسيم والهندباء لإطعامها .

فكان لهذا الاقتراح فعل السحر ، ولم ينس كارنيجى قط هذه الحادثة .

وقد ربح فيما بعد ملايين وملايين بتوخى هذه الوسيلة فى أعماله . مثال ذلك أنه أراد أن يبيع قضباناً حديدية إلى شركة بنسلفانيا للسكك الحديدية ، التى كان يرأسها يومئذ ج . إدجار تومسون . فشيد أندرو كارنيجى مصنعاً هائلا للقضبان الحديدية فى بتسمبرج وسماها « مصانع ج . إدجار تومسون للصلب » .

فمن أين كان إدجار تومسون يشترى القضبان لشركة بنسلفانيا للسكك الحديدية حين يحتاج إلى شرائها ؟ .

ولما كان كارنيجى وجورج بولمان يتنافسان ويحاول كل منهما أن يتغلب على صاحبه فيما يتعلق بمركبات النوم ، تذكر ملك الحديد (كارنيجى) درس الأرانب .

وكانت شركة النقل المركزية التى يسيطر عليها كارنيجى تنافس الشركة التى يسيطر عليها بولمان ، وكانت كل من الشركتين تحاول أن تحصل على امتياز مركبات النوم من شركة السكة الحديدية الاتحادية للباسفيكى . وكانت المنافسة قوية ، وكل منهما يهبط بالأسعار والقيم ، ويقضى على كل أمل فى الربح . وذهب كارنيجى وبولمان إلى نيويورك لمقابلة مجلس إدارة شركة السكك الحديدية ، فالتقى كارنيجى ذات مساء ببولمان فى فندق « سنت نيقولاس » فاقترح كارنيجى إدماج شركتيهما ، ووصف بعبارات خلابة المزايا المتبادلة التى تستفاد من العمل معاً بدلا من التنافس . فأصغى إليه بولمان باهتمام ، ولكنه لم يقتنع كل الاقتناع ، وأخيراً سأل : « وماذا تقترح أن تسمى الشركة الجديدة ؟ » فأجاب كارنيجى على الفور : « شركة مركبات بولمان بالطبع ! » .

فأشرق وجه بولمان وقال : « تعال معى إلى حجرتى . ولنتداول فى الأمر »

كان برسى هاموند الناقد المسرحى يجرى على عادة لا تتغير إذا أراد إيذاء أحد فيما يكتب ، فكان يتعمد أن يغلط فى هجاء الاسم . وكان يضع حلقة حول الاسم الخطأ ، ويكتب على الهامش تحذيراً لمصحح المسودات من أن يكون قليل العقل فيصحح الاسم . ولأمر ما يستاء معظم الناس إذا رأوا أسماءهم مكتوبة على غير وجهها الصحيح ، وكان هاموند يسره أن يمتعض الناس إذ يرون أنهم عنده شىء مهمل ، حتى إنه يخطىء حين يتهجى أسماءهم .

فكان هذا الحديث حدثاً فى تاريخ الصناعة.

ومن فرط زهو الناس بأسمائهم واعتزازهم بها ، يحاولون تخليدها بأى ثمن . قبل مائتى عام كان الأغنياء يبذلون المال للمؤلفين ليهدوا كتبهم إليهم . وقد موّل أصحاب الملايين بعثة الأميرال بيرد إلى القطب على أن يطلق أسماءهم على الجبال الثلجية .

ومن أسهل الطرق وأقربها وأهمها لاكتساب حب الناس وإشعارهم أن لهم شأناً ، أن تتذكر أسماءهم . ومع ذلك كم منا يفعل ذلك ؟ إننا نتعرف بامرىء ونحادثه دقائق ، ثم نودعه ولا نستطيع أن نتذكر اسمه . ومعظم الناس ينسون الأسماء لأنهم لا يكلفون أنفسهم عناء التذكر وحفر الأسماء فى رءوسهم .

كان نابليون الثالث يفخر بأنه يستطيع أن يتذكر اسم كل امرىء قابله . أتسأل كيف كان يصنع ؟ إنه كان إذا لم يسمع الاسم واضحاً يقول : « إنى آسف جداً لأنى لم أسمع الاسم بوضوح » فإذ كان الاسم غريباً غير مألوف سأل عن هجائه .

وكان أثناء الحديث يتكلف أن يكرر الاسم مرات عديدة ، ويقرنه فى ذهنه بمعارف وجه الرجل وشكله العام ، فإذا كان الرجل ذا شأن جشّم نابليون نفسه ما هو أكثر من ذلك ، فكان إذا خلا بنفسه يكتب اسم الرجل على ورقة وينظر إليه ويركز خواطره فيه ، ويثبت الاسم فى ذهنه ثم يمزق الورقة . وبهذه الطريقة كان يتذكر رسم الاسم مكتوباً كما يتذكره ملفوظاً مسموعاً.

وهذا كله يستغرق وقتاً. ولكن الأدب ، كما يقول إمرسون يتطلب تضحيات صغيرة .

فتذكر دائماً أن اسم الرجل هو أعذب وأحلى وأهم لفظ فى اللغة .

● كان الكولونيل لورنس ، أحد أبطال الثورة العربية ، فى الحرب العالمية الأولى ، واقفاً ذات صباح قائظ على شرفة فندقه فى القاهرة ، فدنت منه سيدة كان يهمها أن تشاهَد واقفة معه ، وقالت وهى تروّح بمروحة كبيرة : « تصوّر يا كولونيل لورنس ، تصوّر ، اثنتان وتسعون » . فرد لورنس فى الحال : « أهنئك يا سيدتى ، وأتمنى لك عود العيد السعيد مراراً ! » .

[ى . ى . ادجار]

باب القصة

آرثر كونان دويل

عن "مجموعة شرلوك هولمز الكاملة"

مغامرة العصابة الرقطاء

إن شخصية شرلوك هولمز المحببة التى ابتدعها كونان دويل ، ظفرت بقلوب ثلاثه أجيال من القراء ، ولا تزال آخذة سبيلها لتصبح متعة الجيل الرابع أيضاً . ولا جرم أن كانت نشوة مغامراته تلقى القارىء فى بحر من النسيان ، كأنما بها مخدر لا سبيل إلى إنكاره . إذا دخلنا غرفة الجلوس ، فى المنزل « رقم ٢١١ مكرر فى شارع بيكر » انتقلت نفوسنا المرهقة بالشواغل إلى عصر الملكة فيكتوريا وكل ما يذكرنا به : عربات سود مقفلة ، تجرى على عجلات كبيرة ، وسماء يجللها الضباب ، وشرلوك هولمز يضرب أمامنا أمثلة بارعة على مقدرته الفائقة فى الاستنتاج . ونحن والدكتور وطسون الأمين ، نراقبه فى دهشة وإعزاز .

قد حاول بعض كتاب القصص البوليسية أن يقلدوا — بلا خجل — طريقته ، ولكن هيهات ! فليس هناك إلا هولمز واحد . ومغامرة العصابة الرقطاء تمثل شرلوك هولمز فى ذروة مقدرته وإقدامه ، إذ نرى فى هذه المغامرة بوقائعها الفريدة فى إثارة الرعب ، كيف يتفوق ذكاء هولمز — البوليس السرى الذى لا يبارى — على ذكاء رجل الشر ، الدكتور جريمسي رويلوث . وسواء أقرأت هذه القصة للمرة الأولى أم قرأتها للمرة العشرين ، فإن وقائعها المخيفة لا تزال قادرة على أن توقف الدم فى قلبك من الرعب ، وأن تدفعك إلى البحث عن مغامرات أخرى لهولمز الخالد ؟

كريستوفر مورلى

استيقظت مبكراً ذات صباح من شهر أبريل فإذا شرلوك هولمز واقف بجانب فراشى فى تمام ثيابه. فنظرت إليه، والنوم يغالب عينى، فى شىء من الدهشة. فقد كانت عادته أن ينام إلى وقت متأخر. قال لى :

— يؤسفنى أن أوقظك ياوطسون، ولكن هذا هو حظنا المشترك هذا الصباح.

— ماذا حدث إذن؟ هل شبت حريق؟

— بل هى زبونة تقصدنا. هى سيدة فى مقتبل العمر قد أخذ الاضطراب منها كل مأخذ، وهى تنتظرنا الآن فى غرفة الجلوس.

ما يسرنى شىء أكثر من تتبعى لهولمز فى مباحثه الفنية، ومن إعجابى باستنتاجاته الخاطفة، تخال لسرعتها وحياً وإلهاماً، على حين أنها تستند إلى أساس من المنطق السليم، وبفضلها يحل هولمز كل مشكلة تعرض عليه.

وفى برهة وجيزة تأهبت لمصاحبة هولمز إلى غرفة الجلوس. فلما دخلناها قامت إلينا سيدة قد ارتدت بالسواد، محجبة الوجه بنقاب غليظ.

قال لها هولمز وهو يحييها بانشراح :

— طاب صباحك ياسيدتى، أنا شرلوك هولمز وهذا صديقى الحميم ورفيقى الدكتور وطسون، وتستطيعين فى حضرته أن تفضى إلىّ غير متحرجة بكل ما تريدين. بالله عليك إلا اقتربت من الدفأة فإنى أراك ترتجفين.

أجابته السيدة بصوت خافت :

— ليس البرد هو الذى يجعلنى أرتجف

— مِمّ إذن؟

— إنه الخوف يامستر هولمز، إنه الرعب

رفعت، وهى تتحدث، نقابها فاستطعنا أن نتبين أنها حقاً فى حالة من الهياج يرثى لها : وجه مجهد مغبر، وعيون حائرة وجلة، السمة والهيئة، سمة امرأة فى الثلاثين ولكن أسرعت فى شعرها فلتات من الشيب. وفرّها هولمز بنظرة من نظراته السريعة الشاملة، ومال عليها يربت على ذراعها ويقول لها مطمئناً :

— يجب أن تطرحى الخوف جانباً، وعما قليل سنصلح لك أمورك. لقد جئت بالقطار، فيما أرى، هذا الصباح؟

— هل تعرفنى إذن؟

— لا، ولكنى لاحظت أنك تحتفظين بالنصف الثانى من تذكرة ذهاب وإياب فى قفاز راحتك اليسرى. ولا شك أنك بدأت رحلتك مبكرة، فاضطررت إلى ركوب « دوكار » يبلغك المحطة من خلال طرق وعرة.

حدقت فيه مبهوتة فأردف يقول :

— إن الأمر جلىّ ياسيدتى العزيزة، فإن كم سترتك الأيسر قد تناثر عليه الطين

فى أكثر من سبعة مواضع ، وليس هناك عربة سوى الدوكار تقذف عجلاتها الطين على هذه الصورة، ولا يكون ذلك إلا وأنت جالسة على يسار السائق .

— مهما تكن أدلتك ، فقد أصبت فى كل ما قلت . لقد غادرت دارنا قبل السادسة فلم أعد أطيق احتمال هذا الهم . أواه ياسيدى ، هل تستطيع أن تلقى ببصيص من الضوء على هذا الظلام الدامس الذى يكتنفنى ؟ ليس فى طوقى اليوم أن أجازيك على مساعدتك ، ولكنى سأتزوج بعد شهر أو ستة أسابيع ، وسيصبح لى حق التصرف فى دخلى . وعندئذ ستجدنى — على الأقل — غير منكرة للجميل .

فأجابها هولمز :

— عملى هو جزائى . ولكنى أترك لك الخيار فى دفع ما قد أتحمله من النفقة ، فى الوقت الذى يروق لك . والآن أرجوك أن تدلى إلينا بكل ما يساعدنا على تكوين فكرة عن مسألتك .

أجابته زائرتنا :

— وا أسفاه ! إن سبب الرعب الذى أنا فيه يرجع إلى أن مخاوفى جد مبهمة ، وأن ارتيابى إن قام على شىء فإنما يقوم كله على أمور هينة قد تبدو لك أوهام امرأة مضطربة الأعصاب ليس إلا .

— إننى منتبه إلى ما تقولين كل الانتباه يا سيدتى .

— اسمى هيلين ستونر ، وأعيش مع زوج أمى ، وهو آخر من بقى من سلالة أسرة من أعرق الأسر فى إنجلترا ، أسرة رويلوث التى تنتسب إلى جهة ستوك موران بمقاطعة صارى .

فأومأ هولمز برأسه وقال :

— ليس هذا الاسم بغريب على .

— كانت هذه الأسرة فى وقت من الأوقات تعد من أغنى الأسر فى إنجلترا ، ولكنها الآن لا تملك شيئاً سوى بضعة أفدنة من الأرض ، وقصراً يرجع تاريخه إلى مائتى سنة مضت ، وهو الآن مرهون مثقل بالدين . وظل آخر سيد يحمل لقب الأسرة يعانى على مهل بشاعة الحياة وهو يعيش عيشة صعلوك أرستقراطى . فلما رأى ابنه الوحيد ، زوج أمى ، أن لا مفر له من أن يلبس للحالة الجديدة لبوسها ، حصل على إجازة فى الطب ورحل إلى كلكوتا حيث أصبح مقصد كثير من المرضى . ولكنه فى نوبة غضب انهال ذات يوم بالضرب على خادمه الهندى حتى قضى عليه . ولم ينج من الإعدام إلا بشق النفس ، فعوقب بالسجن مدة طويلة عاد بعدها إلى انجلترا رجلا مكتئباً ممروراً .

وحين كان الدكتور رويلوث فى الهند

تزوج أمى ، المسز ستونر ، الأرملة الشابة التى مات عنها الماجور جنرال ستونر ، الضابط بمدفعية البنغال . وكنت أنا وأختى چوليا توأمين فى الثانية من عمرنا يومئذ .

ماتت أمى بعد عودتنا إلى إنجلترا بقليل ، فأخذنا الدكتور رويلوث لنعيش معه فى ستوك موران . وكانت أمى قد أوصت بكل دخلها ، وهو ما لا يقل عن ألف جنيه فى السنة ، إلى الدكتور رويلوث بشرط أن يدفع إلينا سنوياً مبلغاً معيناً بعد زواجنا . كان هذا الدخل يكفينا كل الكفاية ، وكانت السعادة تبدو كأنها فى متناول يدنا .

ولكن لم يلبث زوج أمى أن تبدلت طباعه تبدلا مخيفاً . فأصبح يغلق عليه باب غرفته ، ولا يكاد يخرج حتى يثير شجاراً وحشياً مع أى امرئ يلقاه فى طريقه .

والمعروف عن رجال أسرته أنهم يتوارثون حدة فى الطبع تقارب الجنون . ولا شك أن إقامة زوج أمى زمناً طويلا فى بلاد حارة قد أجج هذه العلة ، حتى صار أخيراً مثار رعب أهل القرية كلها . فلا يقابله أحد إلا فر منه رعبا ، إذ كان رجلا مفرط القوة ، فإذا أخذه الغضب فلا رادّ لغضبه .

لم يبق « بعدُ صديق واحد — اللهم إلا جماعة من الغجر الرحّل ، وقد أذن لهؤلاء المشردين أن يحطوا رحالهم فى تلك الأفدنة القليلة المهملة التى لم يبق للأسرة غيرها

وكانوا يردون جميله فيدعونه إلى خيامهم فيلبى الدعوة ويصحبهم فى جولاتهم أسابيع متوالية . ولهذا الرجل ولع شديد بالحيوانات الهندية ، وإن لديه الآن فهداً وقرداً قد أطلق سراحهما فى أرضه ، يرهبهما أهل القرية رهبتهم لصاحبهما . ولعلك تدرك بعدُ أن لم يكن فى حياتى وحياة أختى المسكينة چوليا كثير من البهجة والسرور . ولقد توفيت أختى منذ سنتين ، وموتها هو الموضوع الذى أريد أن أحدثك عنه .

لنا عمة ، هى المس أونوريا وستفيل ، تعيش قريباً من مدينة هارو ، وكان يؤذن لنا أحياناً فى زيارتها فترة قصيرة ، وهنالك قابلت أختى ضابطاً فى البحرية وقبلت خطبته لها . لم يبد زوج أمى أى اعتراض على هذا الزواج ، ولكن قبل الموعد المحدد للزفاف بأسبوعين وقعت لنا حادثة مفزعة .

كان شرلوك هولمز مضطجعاً فى مقعده ، وعيناه مغمضتان ، ورأسه غارق فى الوسادة ، فإذا به يفتح عينيه قليلا ويرمى ببصره إلى الزائرة ويقول :

— أرجوك أن تراعى غاية الدقة فى ذكر التفاصيل .

— من السهل علىّ أن أفعل ، فإن كل

التفاصيل عالقة بذاكرتى كأنما حفرت فيها حفراً. فليس فى القصر القديم اليوم سوى جناح واحد مسكون. وغرف النوم فى الطابق الأرضى، الغرفة الأولى لزوج أمى، والثانية لأختى، والثالثة لى. ولا يتصل بعض هذه الغرف ببعض، ولكن أبوابها جميعاً تفتح على طريقة واحدة.

هل ترانى أوضحت الوصف؟

— كل الوضوح.

— وتطل نوافذ الغرف الثلاث على المرج المحيط بالقصر. وفى تلك الليلة المشئومة بادر الدكتور رويلوث فأوى إلى غرفته، ولكننا أدركنا أنه لم يفعل ذلك لغلبة النوم عليه، فإن أختى آذاها الدخان المتصاعد من لفائف التبغ الهندى التى كان من دأبه أن يدخنها. فلذلك تركت غرفتها وجاءت إلى غرفتى حيث جلست قليلا تثرثر بذكر زواجها المقترب.

وفى الساعة الحادية عشرة قامت تودعنى ولكنها تريثت لدى الباب وقالت:

— خبرينى يا هلين. هل حدث لك أن سمعت شخصاً يصفر فى هدأة الليل البهيم؟ قلت:

— أبداً؟ ولماذا؟

— لأننى، فى الليالى الماضية، حوالى الساعة الثالثة صباحاً، سمعت صفيراً خافتاً واضحاً، لم أستطع أن أتبين مصدره. ربما كان من الغرفة المجاورة، وربما كان من المرج. أفتراك سمعتِه أنت أيضاً؟

— كلا لم أسمعه. هم هؤلاء الغجر المناكيد، ولا بد.

— إنه لخليق أن يكون كذلك. على كل حال، ليس هذا بأمر ذى بال.

ابتسمت لى وأغلقت الباب، وبعد بضع دقائق سمعت مفتاحها يدور فى قفل بابها.

قال هولمز:

— وإذن أكان من عادتكما أن توصدا الباب عليكما بالليل؟

— دائماً. لقد ذكرت لك أن الدكتور يقتنى فهداً وقرداً، فلا عجب أن كنا لا نشعر بالأمن إلا إذا كان بابنا موصداً.

— معكما الحق! تفضلى فأتمى الحديث.

— لم يغمض لى جفن، سيطر علىّ شعور غامض بأن مصاباً يوشك أن يحلّ بنا. وكانت ليلة عاصفة، تزمجر فيها الريح، ويقرع المطر زجاج النوافذ. وفجأة شقت ضجة العاصفة صرخة عالية. صرخة امرأة مذعورة. فتبينت صوت أختى، فوثبت من فراشى وتلفعت بشال واندفعت إلى الطرقة، ولما فتحت الباب خيل إلى أننى أسمع صفيراً خافتاً كالذى وصفته أختى.

وبعد هنيهة دوت صلصلة أشبه بصلصلة

لوح ثقيل من المعدن يقع على الأرض . وبينا أنا أجرى فى الطرقة سمعت المفتاح يدور فى قفل غرفة أختى ، ثم فتح الباب على مهل ، وأثبت الرعب نظرتى عليـــه . وفى ضوء مصباح الطرقة رأيت أختى على عتبة غرفتها ، قد شحب وجهها من الرعب ، وامتـدت يداها تطلبان الغوث ، وجسمها كله يهتز ذات اليمين وذات اليسار . جريت إليها وطوقتها بذراعىّ ، ولـكن ركبتيها خانتاها وسقطت على الأرض تتلوى كمن يعانى آلاماً شديدة ، وأطرافها ترتعـد ارتعاداً مخيفاً ، فلما انحنيت عليها صرخت فجأة :

— آه ! يارب ! هلين ! إنها العصابة ، العصابة الرقطاء .

وكان على لسانها شيء تود أن تقوله ، وأخذت تشـير بإصبعها مراراً إلى غرفة الدكتور ، ولـكن الرعدة أخذتها من جـديد ، فخفت صوتها . جريت أصرخ مستغيثة بزوج أمى ، فقـابلته وهو مسرع من غرفتـه ، وعليه معطفه المنزلى . ولما وصل إلى جانب أختى وجدها مغمىً عليها ، فصبّ فى فمها قليلا من الـكونياك ، وبعث إلى القرية فى طلب الإسعاف ، ولـكن كل ما بذلناه من جهد فى إنعاشها ضاع سدى .

قاطعها هولمز :

— لحظة واحـدة . هل أنت واثقـة من الصفير والصلصلة المعدنية ؟

— هذا ما سألنى عنه قاضى التحقيق . يتملـكنى إحساس قوى بأنى قد سمعت ذلك ولـكن عسى أن يكون سمعى قد كذبنى ، فى ضجة العاصفة ، وطقطقة الدار القديمة .

— وهل كانت أختك مرتدية ثيابها ؟

— كلا . كانت فى ثياب النوم ، وقد وجدنا فى يدها اليمنى بقية عود ثقاب محترق ، وفى يدها اليسرى صندوق الثقاب .

— هذا يدلّ على أنها حين فوجئت بما أفزعها ، عمدت إلى الثقاب فأشعلته ، وتلفتت حواليها فى ضوئه . وهذا أمر مهم . وما هى النتيجة التى وصل إليها قاضى التحقيق ؟

— إنه باشر التحقيق بكل عناية .

فقد كان سلوك الدكتور رويلوث مما تلوكه الألسن منذ مدة طويلة فى البلدة . غير أن القاضى لم يجـد لوفاة أختى سبباً واحداً مقنعاً . فقد ثبت من شهادتى أن بابها كان مغلقاً من الداخل ، وأن النافذة ، وهى من طراز قديم ، كانت توصد كل ليلة بقضيب عريض من الحديد . فلا ريب إذن فى أن أختى كانت وحدها فى الغرفة عند ما لقيت حتفها ، وفوق ذلك لم نجـد على جسمها أى أثر يدل على أنه قد وقع عليها اعتداء ما .

— وماذا رأوا فى قتلها بالسم ؟ . .

— لقد فحصها الطبيب ليتحقق من ذلك ، ولكنه لم يوفق إلى شىء .

— إذن ماذا ترين أنت فى سبب وفاة هذه السيدة المسكينة ؟

— إنى أعتقد أنها لم تمت إلا من الخوف والصدمة العصبية ، وإن كنت لا أستطيع أن أتصور مبعث هذا الرعب .

— ماذا فهمت من إشارتها إلى العصابة ، العصابة الرقطاء ؟

— أحياناً أظنها وليدة هذيانها ، وأحياناً أظنها تعنى عصابة من الناس — ولعلهم أولئك الغجر ، فإن أغلبهم يعصبون رؤوسهم عناديل ذوات ألوان توحى بهذا الوصف الغريب الذى جاء على لسان أختى .

هز هولمز رأسه كمن يصعب عليه الاقتناع ثم قال :

— إن الأمر غامض جداً . تفضلى وواصلى الحديث .

— مرت سنتان منذ هذه الحادثه وكنت إلى عهد قريب أقضى حياتى فى وحدة أشد وحشة من ذى قبل .

ولكن صديقاً عزيزاً علىّ كنت أعرفه سنين طويلة سألنى فى الشهر الماضى أن أرضى به زوجاً . اسمه أرميتاج ، برسى أرميتاج . لم ألق من زوج أمى أية معارضة وسنتزوج فى الربيع .

ومنذ يومين شرع فى تعمير الجناح الأيسر للقصر فأحدثت فجوات فى جدار غرفتى ، فاضطررت أن أنتقل إلى الغرفة التى ماتت بها أختى وأن أنام فى نفس الفراش الذى كانت تنام فيه . تصوّر إذن مقدار رعبى ! فبينا أنا فى الليلة الماضية راقدة لا أنام ، أفكر فى المصير المخيف الذى لقيته أختى ، إذا بى أسمع فجأة الصفير الخافت الذى كان نذير موتها . وثبت من الفراش ، وأخذت المصباح ، ولكنى لم أر بالغرفة شيئاً . وأخذ الذعر منى كل مأخذ فلم أستطع أن أعود إلى مضجعى . ولم يكد الفجر يبين حتى أخذت دوكاراً من فندق القرية ، وركبته إلى المحطة ، وجئت إليك أستشيرك .

— وخيراً فعلتِ .

ساد الغرفة صمت طويل ، وهولمز معتمد بذقنه على يديه ، وهو يحدق فى شعل المدفأة وهى تطقطق . وأخيراً قال :

— هذه مسألة عويصة . أفى استطاعتنا ، إذا ذهبنا اليوم إلى ستوك موران ، أن نرى هذه الغرف دون أن يعلم زوج أمك بذلك ؟

— الواقع أنه كان يذكر اليوم نيته فى القدوم إلى المدينة . وأغلب الظن أن لن يزعجكم أحد .

— هذا بديع . إذن سنذهب كلانا ، وأما أنت فماذا تنوين ؟ .

— مادمت قد جئت إلى المدينة فسأقضى حاجة لى أو حاجتين ثم أعود بقطار الساعة الثانية عشرة . وسأعود إلى رؤيتكم مرة أخرى عصر اليوم .

وقامت السيدة ، وأسدلت نقابها السميك على وجهها ، وتسللت من الغرفة كأنها طيف .

استلقى هولمز فى مقعده وسألنى :

— ماذا ترى فى هذا كله يا وطسون ؟ يخيل إلىّ أن هذا أمر يكتنفه أشد الغموض وأنه ينذر بأفظع الشرّ .

— نعم ، هو جد غامض ، وجو ملىء بالنذر . ولكن ماذا تقول فى هذا الصفير الذى ينبعث بالليل ، وهذه الكلمات الغريبة التى نطقت بها تلك المرأة وهى تجود بنفسها؟

— لا أدرى وايم الحق ماذا أقول !

— إذا قرنت بين أمر الصفير بالليل ، ووجود عصابة من الغجر ، وما عسى أن يستفيده الدكتور من منع ربيبتيه من الزواج ، وإشارة المتوفاة إلى العصابة — ثم أضفت إليها سماع مس هلين ستونر الصلصلة المعدنية التى ربما كان مصدرها سقوط قضيب الحديد من النافذة إلى مستقرّه ، إذا فعلت هذا فقد يمكننا أن نكشف عن سر هذا اللغز المعمى .

— ولكن ماشأن الغجر فى هذا الأمر؟

— لا أدرى ! ولكن يا للشيطان ! ما هذا ؟ .

رأينا بابنا يندفع فجأة ويفتح على مصراعيه ويقتحمه رجل عملاق . رداؤه مزيج من لباس أرباب المهن ، ولباس المزارعين . فقبعته الأسطوانية العالية ، ومعطفه الأسود من الطراز التقليدى للسادة من أرباب المهن ، على حين كان يرتدى حذاءاً برقبة تصل إلى ركبته كأحذية الفلاحين . وقد بلغ من فرط طوله أن قبعته احتكت فعلا بسقف الباب ، وبلغ من بدانة جسمه أن خيل إلينا أنه ملأ الباب عرضاً . . وجه ضخم قد تخدّد لحمه أخاديد ، ولوحته الشمس فاصفر ، وتركت سمتها عليه كل نزوة شريرة . أخذ الرجل ينقل نظراته إلينا على حين كانت عيناه الغائرتان المحمرتان حنقاً ، وأنفه الأشمّ الدقيق ، تكاد ترينا فيه شبهاً قريباً من جوارح الطير المفترسة إذا ما شاخت .

ونطق هذا الشبح قائلا :

— أيكما هولمز ؟

فأجابه هولمز بهدوء :

— هذا هو اسمى يا سيدى ، ولكن إن كنت أنت على علم باسمى ، فإنى لم أتشرف بعد بمعرفتك !

— أنا الدكتور جريمسبي رويلوث من ستوك موران .

رد عليه هولمز غير مكترث

— الآن تعارفنا . تفضل واجلس .

— لن أفعل شيئاً من ذلك . إن ربيبتى كانت هنا . لقد تتبعتها . فماذا قالت لك ؟

أجابه هولمز :

— ألا ترى أن الجو أبرد الآن مما كنا نتوقعه فى مثل هذا الفصل ؟

فصرخ زائرنا :

— تريد التخلص منى ! إننى أعرفك أيها الوغد . لقد سمعت عنك من قبل ، فأنت هولمز الطفيلى !

فابتسم صديقى وقال ؟

— بل هولمز الذى له فى كل واد أثر . . .

وضحك هولمز ملء شدقيه وأردف :

— ما أمتع حديثك ! إذا ما خرجت فأغلق الباب فإنى أشعر بمرور تيار من الهواء .

— لن أذهب إلا بعد أن أسمعك ما أريد أن أقوله . حذارِ من أن تقحم نفسك فى شئونى . إننى رجل خطر من التهلكة أن تخاصمه . انظر إلىّ . . . » .

وخطا الرجل بسرعة وتناول قضيب الحديد الذى تقلب به النار ولواه بيديه الضخمتين السمراوين .

— احرص على سلامتك . وإياك أن تقع فى قبضتى . قالها وهو يزمجر ، ثم قذف بالقضيب الملتوى إلى النار ، وغادر الغرفة بخطى واسعة .

قال هولمز ضاحكا :

— ما أرق طباع هـذا الرجل ! إننى لست فى مثل ضخامته ، ولكن لو أنه بقى لأريته أن قبضتى لا تقل قوة عن قبضته .

والتقط هولمز قضيب الحديد ، فما كاد حتى أعاده إلى استقامته الأولى . ثم قال :

— هذا الحادث يزيد الحمية فى المباحث التى نحن قادمون عليها . والآن ، إلى بعض فطورنا . وسأذهب بعد إلى مكتبة الأطباء حيث أرجو أن أوفق إلى بعض المعلومات التى تعيننا فى هذه القضية .

***

كانت الساعة قد بلغت الواحدة حين عاد هولمز من جولته . وقال :

— لقد اطلعت على وصية الزوجة المتوفاة ، فوجدت أن دخل الدكتور رويلوث لا يزيد كله الآن عن ٧٥٠ جنيهاً . إذ لكل بنت الحق فى الحصول عند زواجها على ٢٥٠ جنيهاً سنوياً . فمن الجلىّ إذن أنه إذا تزوجت الفتاتان كلتاهما لم يبق لهذا الوحش إلا مبلغ لا يكاد يقيم أوَدَه . وحتى إذا تزوجت واحدة دون أخرى لأدَه ما يحيق به . والآن يا وطسون إن الأمر أجل من أن نتلكأ عنه . فلنستقل الآن عربة تحملنا إلى محطة

واترلو ، وأكون شاكراً لك فضلك لو أخذت معك مسدسك ، فهو ، وفرشة أسنان ، كل ما نحتاج إليه فيما أظن .

لحقنا بقطار أقلنا إلى محطة ليزرهيد ، فأجرنا من فندق القرية عربة سارت بنا أربعة أميال أو خمسة بين دروب صارى المشهورة بجمالها . وكان يوماً صحواً غاية فى الإشراق ، تسطع شمسه ، وتزين سماؤه كِسَف متفرقة من السحاب . وكانت الأشجار الكبيرة والشجيرات قد أخذت تخضرّ تباشير أوراقها ، وكان الهواء مشبعاً بعطر الثرى المبتل . جلس صديقى فى المقعد الأمامى ، وقد أمال قبعته على عينيه ، واستغرق فى تفكير عميق. ثم إذا به ينتبه فجأة ويلمس كتفى ويشير ناحية المراعى ويقول :

— انظر ، لابد أن تكون هذه هى ستوك موران .

فقال السائق :

— نعم ياسيدى ، وهذا هو قصر الدكتور جريمسبي رويلوث .

قال هولمز :

— لقد جئنا لمعاينة بعض الإصلاحات التى تجرى بالدار ، وسنشق طريقنا إليه سيراً على الأقدام وسط الحقول . .

ونزلنا ودفعنا الأجر ، وسارت العربة عائدة إلى ليزرهيد .

ولم نكد نقترب من القصر حتى رأينا المس ستونر تهرع للقائنا ووجهها ينطق بالفرح، وقالت متلهفة وهى تصافحنا بشوق :

— كنت أنتظركم بفارغ الصبر ، لقد جرى كل شىء على ما يرام ، فالدكتور رويلوث قد ذهب إلى المدينة ولن يعود قبل المساء .

قال لها هولمز : لقد تشرفنا بمعرفته ! ثم أجمل لها فى كلمتين وصف ما حدث . فإذا بالمس ستونر قد شحب وجهها حتى شفتيها وصرخت :

— ياإلهى ! إنه من المكر بحيث لاأدرى أبداً كيف أتقى شره !

— ولعله يكتشف قريباً أن هناك شخصاً أمكر منه يتتبع أثره . والآن يحسن بنا أن لا نضيع الوقت ، فدلينا من فورك على الغرف .

وجدنا بناء مشيداً بحجر بحرى أشهب مخضر ، وهو مكوّن من صدر عال . وجناحين معقوفين على هيأة مخالب السرطان. وأحد الجناحين مثال ناطق للقدم والخراب ، على حين كان الجناح الأيمن يبدو أحدث عهداً .

رأينا بعض « الروافع » منصوبة على الجدار الخلفى وقد استحدثت فى البنيان بعض الفجوات ، ولكننا لم نعثر حين

زيارتنا على أحد من العمال . وأخذ هولمز يقطع المرج المهمل عشبه ذهاباً وإياباً ، يسير على مهل ويفحص النوافذ بانتباه شديد .

— هذه فيما أعتقد نافذة الغرفة التى اعتدت أن تنامى فيها ، وتلك الوسطى نافذة غرفة أختك ، وتلك المجاورة للبناء الأصلى هى نافذة غرفة الدكتور .

— هو ما قلت تماماً . ولكنى أنام الآن فى الغرفة الوسطى .

— وذلك إلى أن تنتهى الترميمات فيما أرى. وبهذه المناسبة لا يبدو لى أن هناك أقل ضرورة تحتم عمل إصلاح فى الجدار الخلفى .

— نعم لم يكن هناك ضرورة وأعتقد أنما هى علة يتعلل بها فى إخراجى من غرفتى .

— آه ! هذه ملاحظة لها دلالتها . والآن هل لك أن تتفضلى بالذهاب إلى غرفتك فتغلقى نافذتك بالقضيب الحديدى ؟

ففعلت ، وأخذ هولمز يفحص النافذة بعناية ، محاولا جهده أن يفتح مصراعيها فلم يفلح . ثم أخرج عدسته المكبرة واختبر مفاصل المصراعين فوجدها من الحديد الأصم ، قد ثبتت خير تثبيت فى قلب الجدار المتين .

أخذ هولمز يهمهم وهو يحك ذقنه ، وقد بدت عليه الحيرة وقال :

— ما من أحد يستطيع فتح النافذة إذا أحكم إغلاقها بالقضيب الحديدى . وإذن فلننظر إلى الغرفة من داخلها عسى أن تهدينا إلى شىء .

يؤدى باب صغير جانبي إلى طرقة طلاؤها من الجير ، وهى التى تفتح عليها أبواب الغرف الثلاث . وجدنا الغرفة التى تنام بها الآن المس ستونر ، والتى لقيت فيها الأخت حتفها ، غرفة صغيرة مريحة سقفها غير مرتفع . وفى ركن منها صوان للملابس أدكن اللون ، وفى ركن آخر سرير ضيق أبيض ، وعلى يسار النافذة منضدة الزينة ، ذلك كل ما فى الغرفة ، ومعه مقعدان من الخيزران ، وسجادة صغيرة فى وسطها . وكانت الجدران مكسوة بألواح من خشب السنديان لونها أدكن ، وهى قديمة قد نصل لونها ، ونخرها السوس . وقف هولمز صامتاً ينقل نظرته فى الغرفة من الأرض إلى السقف مرة بعد مرة ، وهو يفحص كل دقائقها .

أشار هولمز إلى حبل غليظ يتدلى بجانب الفراش ، وهو حبل جرس كهربائى ، استقر مقبضه على الوسادة . وسألها :

— فى أى مكان وضع الجرس نفسه ؟

— فى غرفة الخادم .

— ولكن الحبل يبدو أحدث عهداً من سائر ما فى الغرفة !

— نعم . فإنه لم يوضع فيها إلا منذ سنتين .

— وذلك بناء على طلب أختك فيما أظن .

— كلا . فإنى لم أسمعها قط تستخدمه .

قصد هولمز إلى الفراش ، ومضت مدة وهو يحدق فيه ، وتجرى نظرته على الجدار من أعلى إلى أسفل . ثم إذا به يجذب الحبل فجأة جذبة قوية وقال :

— ما هذا ؟ إنه جهاز مصطنع لجرس وهمى . لعمرى إنه لأمر شائق جداً . فانظروا الآن تروا أن الحبل معقود بخطاف مثبت فوق فتحة التهوية تماماً .

— ما أسخف هذا ! إنى لم ألاحظ ذلك من قبل .

وأخذ هولمز يتمتم وهو يشد الحبل :

— هذا أمر جد غريب . إن فى هذه الغرفة أموراً عجيبة تسترعى الانتباه . فمثلا . ما أحمق هذا البناء الذى ينشىء فتحة للتهوية تؤدى إلى غرفة أخرى ، على حين كان فى استطاعته بالجهد نفسه أن يجعلها تؤدى إلى الهواء الطلق !

قالت السيدة :

— وهذه الفتحة أيضاً حديثة العهد .

فسألها هولمز :

— هل استحدثت فى نفس الوقت الذى ركب فيه حبل الجرس ؟

— نعم ، فقد أجريت فى الغرفة حينئذ تغييرات عديدة .

— لعمرى إن أمر هذه التغييرات لعجيب . جرس مصطنع وهمى ، وتهوية لا تأتى بهواء ! والآن إئذنى لنا يا مس ستونر أن نفحص باقى الغرف .

وجدنا غرفة الدكتور رويلوث واسعة ولكنها بسيطة الأثاث ، وأهم ما بها سرير من أسرّة الخيام ، ورف خشبى صغير مملوء بكتب أغلبها كتب علمية ، ومقعد كبير بجانب الفراش ، وكرسى من الخشب قريب من الجدار ، ومنضدة مستديرة ، وخزانة حديدية كبيرة . ودار هولمز بها يفحصها بكل عناية .

ثم دق على الخزانة وقال :

— ماذا بها ؟

— فيها أوراق زوج أمى .

— ألا تكون فيها قطة مثلا ؟

— كلا ! ما أعجب هذه الفكرة !

— إذن انظرى إلى هذا .

وتناول هولمز من على ظهر الخزانة إبريقاً صغيراً فيه لبن .

— كلا . ليس بالدار قطة ، ولكن بها فهداً وقرداً .

— آه : نعم . بالطبع . إن الفهد لا يزيد فى الحجم على القطة ، ولكنى لا أظن

أن هـذا الإبريق يسع من اللبن ما يكفى لإشباعه . هنـاك نقطة واحـدة أريد أن أجتلى كنهها .

وجلس هولمز القرفصاء امام الـكرسى الخشبي وفحص مقعده بعدسته المكبرة ثم قام ووضع العدسة فى جيبه . ولم يلبث أن قال :

— وى ! ههنا أمر عجيب ! فهذا مقود كلب قـد علق فى أحـد أركان السرير . ولـكنه كان ملتوياً بعضه على بعض ، ومعقوداً بحيث أصبح كسوط ينتهى بأنشوطة .

— بأى شىء تفسر هذا يا وطسون ؟

— إنه مقـود جـدّ مألوف ، ولـكنى لا أدرى لماذا عقد هكذا .

— بل هو مقود فريد ، ليس مثله كثير كما تدعى . أليس كذلك ؟ آه يارب ! هذه دنيا مليئة بالشرور ، وهى أحفل بالشر حين يصرف الرجل العبقرى همه إلى الجريمة .

ولم أر وجه صديقى أشد عبوساً ، ولا جبينه أشد تقطيباً مما كان حين فرغ من هذا الفحص . واستغرق هولمز فى أفـكاره ولم يعد إلى الحديث إلا بعد أن قطعنا المرج ذهاباً وإياباً مراراً عديدة . ووجـه كلامه إلى المس ستونر قائلا :

— من الضرورى جداً أن تتبعى نصيحتى بكل حذافيرها تمام الاتباع .

— إننى فى يديك .

— يجب إذن أن أقضى أنا وصـديقى ليلتنا فى غرفتك .

نظرنا إليـه ، أنا والمس سـتونر ، فى دهشـة .

— دعونى أشرح الأمر : فحين يعود زوج أمك يجب أن تعتكفى فى غرفتك متعللة بصـداع ألمّ بك . وحينما تسمعينه يأوى إلى غرفته لينام ، عليك أن تفتحى نافذتك وتضعى عندها مصباحك إشارة لنا ، ثم تنسحبين بهـدوء إلى الغرفة التى كنت تنامين فيها من قبل . أما ما عـدا ذلك فاتركيه لنا .

— ولـكن ماذا أنت فاعل ؟

— سنقضى الليلة فى غرفتك لنبحث عن سر هذا الصوت الذى أزعجك .

— أعتقد يا مستر هولمز أنك كونت لك الآن رأياً ، فأناشدك الله إلا ما خبرتنى عن سبب وفاة أختى ؟ .

— أوثر أن تـكون لدىّ أدلة بينة قبل أن أتكلم .

— تستطيع على الأقل أن تخبرنى هل كنت مصـيبة فى اعتقادى أن أختى ماتت من رعب مفاجىء .

— كلا . لا أظن ذلك . بل أظن ان موتها يرجع إلى سبب محسوس على الأغلب .

والآن يا مس ستونر ، يجب علينا أن نتركك ، إذ لو رآنا الدكتور رويلوث لضاع كل مجهودنا ، وذهبت رحلتنا هباء فاستودعك الله ، وكونى شجاعة .

***

لم يشق علينا — أنا وشرلوك هولمز — أن نستأجر غرفة فى فندق القرية ، وكان قصر ستوك موران بمرآى منا . وعند الغروب شاهدنا الدكتور رويلوث عائداً إلى داره وقد طغى جسمه الضخم حتى تضاءل جسم الصبى الذى يسوق العربة . وجد الصبى بعض الصعوبة فى فتح البوابة الحديدية الثقيلة ، وسمعنا الدكتور يصرخ بالصبى ويهدده بقبضة يديه وقد استولى عليه الغضب . ثم تابعت العربة سيرها .

قال لى هولمز ونحن جالسان فى ظلام يتكاثف شيئاً فشيئاً .

— هل تدرى يا وطسون أننى أجد بعض الحرج فى اصطحابك معى هذه الليلة ، فأمامنا خطر لا ريب فيه ؟

— وهل يساعدك ذهابى معك ؟

— بل قد يكون ألزم ما يكون لى .

— إذن لا جرم أننى ذاهب معك، إنك ياهولمز قد رأيت فى تلك الغرفة بلا ريب أكثر مما بدا لى .

— كلا بل الفرق كله ، فيما يخيل إلى ، أننى استنتجت أكثر مما فعلت أنت ، إذ أنك رأيت كل ما رأيته أنا .

— إننى لم أر بها أمراً عجيباً سوى حبل الجرس . وأعترف لك أننى لا أدرك الغرض من وجود هذا الحبل .

— وقد رأيت فتحة التهوية أيضاً !

— نعم . ولكنى لا أعتقد أنه من غير المألوف أن تنشأ فتحة للتهوية بين غرفتين ، وبالأخص لأنها فتحة ضيقة بحيث يصعب على فأر صغير أن ينفذ منها .

— لقد كنت أعلم أن ثمة فتحة للتهوية قبل أن أجىء إلى ستوك موران .

— ياصديقى العزيز . ! !

— نعم . كنت أعلم ، ألست تذكر أن المس ستونر قالت إنه كان فى إمكان أختها أن تشم رائحة سجائر الدكتور رويلوث ؟ فهذه العبارة هى التى دلتنى على وجود مايصل بين الغرفتين . ثم لما علمت أنه غاب عن عين قاضى التحقيق ، أدركت أنها فتحة صغيرة جداً .

— ولكن أى ضرر تراه فى وجود هذه الفتحة ؟

— حقاً . هناك على الأقل توافق غريب فى وقوع بعض الحوادث فى زمن واحد : فتحة للتهوية تنشأ ، وحبل يعلق ، وسيدة نائمة فى فراشها تموت . . .

— لم أر إلى الآن ما يربط هذه الحوادث بعضها ببعض !

— ألم يسترع انتباهك أمر عجيب فى ذلك الفراش ؟

— كلا .

— إنه كان مثبتاً فى الأرض . فلم يكن فى استطاعة صاحبته أن تنقله من مكانه ، وعلى ذلك فلا محيص من بقائه دائماً حيث هو من فتحة التهوية ومن الحبل .

ارتفع صوتى وأنا أقول له :

— يا هولمز ! يخيل إلىّ أننى أرى الآن فى شىء من الغموض ، ما ترمى إليه . لعلنا نكون قد جئنا فى حيننا لنمنع جريمة من أفظع الجرائم وأخبثها .

— نعم . إنها جريمة جد فظيعة وجد خبيثة ماكرة ، فإذا انصرف الطبيب إلى الشر كان رأس المجرمين ، فله أعصابه الثابتة وعلمه الواسع . ولكنا سنعانى الليلة ما يكفى من أمور مفزعة ، فبالله عليك هلم بنا ندخن فى هدوء ، ونصرف أفكارنا فى هذه الساعات القليلة الباقية إلى أشياء أكثر بهجة .

كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة حين أضاء فجأة من القصر المظلم ضوء باهر منفرد .

قال هولمز وهو يثب واقفاً .

— هذه هى الإشارة المتفق عليها ، فإنها تأتى من نافذة الغرفة الوسطى .

لم نجد إلا بعض المشقة فى دخول حرم القصر فقد كان بالسور القديم المتهدم فتحات عديدة . وشققنا طريقنا بين الأشجار حتى وصلنا إلى المرج ، واجتزناه . وكنا على وشك أن نلج فى النافذة حين انطلق فجأة كالسهم من بين الأشجار شىء بدا لنا كطفل دميم مشوه ، وألقى بنفسه على العشب تتلوى أطرافه ، ثم جرى مسرعاً وسط المرج واختفى فى الظلام .

همست لصديقى :

— يا رب ! هل رأيته ؟

وكان هولمز قد استولت عليه الدهشة كما استولت علىّ . إذ أطبق بقبضة يده على رسغى بقوة كأنها كلابة من حديد . ثم انبعثت منه ضحكة خافتة ، وأدنى شفتيه من أذنى وهمس :

— ما أحلى سكان هذه الدار ! هذا هو القرد .

سألت نفسى : وأين الفهد ؟ قد نجده فى أية لحظة منقضاً على أكتافنا . وأعترف أن بالى لم يهدأ إلا بعد أن حذوت حذو هولمز وخلعت حذائى ، وهبطت معه إلى الغرفة .

أغلق رفيقى مصراعى النافذة بهدوء ، ونقل المصباح إلى المنضدة ، وجال بنظره فى الغرفة . وجدناها لم تتغير عما كانت عليه

فى النهار . ثم اقترب منى هولمز ، فى مشية الحذر ، وهمس فى أذنى بصوت لا أكاد أتبين كلماته من خفوته .

— أقل صوت يفسد خطتنا إفساداً تاماً . فهززت له رأسى ليعلم أنى سمعت . فأردف يقول :

— يجب أن يكون جلوسنا فى الظلام فإنه يستطيع أن يرى الضوء من فتحة التهوية .

فهززت له رأسى مرة أخرى .

— وإياك أن تنعس . فقد تتوقف حياتك على بقائك متيقظاً ، وهىء مسدسك . سأجلس أنا على حافة الفراش ، أما أنت فاجلس فى المقعد .

أخرجت مسدسى ووضعته على جانب من المنضدة . وكان هولمز قد أحضر معه عصاً طويلة رفيعة فوضعها على الفراش بجانبه ، ووضع معها صندوقاً من الثقاب وشمعة قصيرة . ثم أطفأ المصباح وبتنا فى ظلام دامس .

كيف أنسى سهرنا تلك الليلة ؟ لا تتبين أذنى صوتاً حتى ولا صوت تنفس ، على حين أنى كنت أعلم أن رفيقى جالس على بضع أقدام قليلة منى . شد الانتباه اعصابنا شداً ولبثنا نترقب فى ظلام حالك ، تصل إلينا من الخارج بين الحين والحين صرخة طير من طيور الليل . بل سمعت مرة عند نافذتنا تماماً مواء طويلا كمواء القطط ، دلنا على أن الفهد مطلق السراح حقاً . وكنا نسمع ساعة الكنيسة من بعيد ترن رنينها العميق الأجش . . دقت الثانية عشرة ، والواحدة ، والثانية ولا نزال جالسين فى الظلام ننتظر . .

وفجأة لمع من قبل فتحة التهوية وميض من نور دام برهة وجيزة ثم اختفى . وصلتنا فى إثره رائحة قوية من زيت يحترق أو معدن يحمى . . لا شك أن أحداً ما فى الغرفة المجاورة قد أشعل قنديلا لكن يحجب ضوءه . سمعت حفيفاً خفيفاً ، ثم ساد السكون من جديد . على أن الرائحة زادت حدة . ومضت نصف ساعة وأنا جالس أرهف السمع . وفجأة طرق سمعى صوت طارىء ، صوت جد رقيق ، وديع كالصوت الذى يحدثه تيار البخار المتتابع المنبعث من فم المرجل الذى يغلى فيه الماء . وفى اللحظة التى سمعنا فيها هذا الصوت وثب هولمز من الفراش وأشعل ثقاباً ، وأخذ ينهال بعصاه ضرباً على حبل الجرس فى عنف شديد وهو يصرخ لى :

— هل رأيته يا وطسون ؟ هل رأيته ؟

لم أر شيئاً ، ولكنى سمعت ، وهولمز يشعل الثقاب ، صفيراً خافتاً واضحاً ولكن وهج الثقاب الذى انبعث فى الظلام فجأة ، كان قد بهر عينى فلم أستطع أن أميز هذا المخلوق الذى ينهال عليه هولمز بالضرب

بمثل هـذا العنف . ولـكن أتيح لى أن أرى وجه صديق شاحباً كشحوب وجوه الموتى ، وقد ارتسمت عليه علامات الفزع والاشمئزاز .

كف هولمز عن الضرب وأخذ يصوب نظره إلى فتحة التهوية . وفى تلك اللحظة شقت الليل صرخة مفزعة لم أسمع قط مثلها أخذت ترتفع ثم ترتفع ، صرخة مختنقة ، الألم والرعب والغضب امتزجت كلها فى ذلك الصوت المخيف . وقد قيل إنها أيقظت النوام فى القرية بل فيما جاورها من الضياع أيضاً .

فقلت بصوت مضطرب :

— ما معنى هذا ؟ .

أجابنى هولمز :

— معناه أن كل شىء قد انتهى . ولعله انتهى إلى الخير . خذ مسدسك ولندخل غرفة الدكتور رويلوث .

رأيت وجهه — وهو يشعل المصباح — قد بدا عليه الجـد ثم سرنا فى الطرقة . قرع هولمز البـاب مرتين دون أن يجيبه أحد . فأدار مقبض البـاب ودخل وأنا وراءه والمسدس فى يدى .

وجدنا على المـائدة قنديلا قد فتح كـنّـه قليلا فانبعث من خلال الفتحة ضوء باهر سلطت أشعته على الخزانة ، وكان بابها مفتوحاً . ووجـدنا الدكتور جريمسبى رويلوث جالساً على الكرسى وهو فى معطفه المنزلى الطويل الأدكن ، وقد برزت منه يداه وتدلتا إلى جانبيه ، وهو منتعل خفيه وعلى حجره المقود الذى استرعى انتباهنا بالنهار . أما رأسه فقد مالت إلى الخلف ، تحدق عيناه بنظرة ثابتة مخيفة عالقة بركن السقف . وعلى جبينه عصابة صفراء ذات نقط سمراء ويبدو أنها شدت عليه شداً محكما. ولم يصدر عنه صوت أو تبدر منه حركة .

همس هولمز :

— العصابة ، العصابة الرقطاء !

تقدمت خطوة ، وفى لحظة واحـدة أخذت هـذه العصابة الغريبة تتحرك ، وانساب من خلال شعره ثعبان بشع له رأس مسطحة تلمع كالماس ، ورقبته منتفخة .

— هذا هو ثعبان المستنقعات . أخطر ثعابين الهند . لقد مات قبل انقضاء عشر ثوان على العضة . فلنلق بهـذا الأرقط إلى جحره ، ثم لنأخذ المس ستونر إلى مكان أمين ونخطر البوليس بما جرى .

سحب هولمز المقود بخفـة من على حجر الميت ، ورمى الأنشوطة حول عنق الثعبان وجذبه من مكمنه المخيف وحمله ، على مدّ ذراعه ،وقذف به إلى الخزانة وأحكم رتاجها.

***

هذه هى الحقائق فى حادثة وفاة الدكتور جريمسبى رويلوث . أما ما عداها من الوقائع القليلة التى كان لا بد لى أن أستقيها من شرلوك هولمز ، فإنه حدثنى عنها فى اليوم التالى قائلا :

كنت قد انتهيت إلى حكم خطأ ، مما يدل ياعزيزى وطسون على خطر استنباط الأحكام من مقدمات غير وافية . . وجود جماعة الغجر ، واستعمال كلمة العصابة وجهتنى وجهة خطأ . ثم أعدت التدبر فى الأمر حين استرعى انتباهى وجود فتحة التهوية وجهاز الجرس المصطنع الوهمى ، وكذلك اكتشافى أن الفراش مثبت فى الأرض ، كل هذا أثار ريبتى فى أن الحبل إنما وضع فى مكان ليكون قنطرة لشىء يلج من الفتحة وينحدر على الحبل إلى الفراش . وقد خطر ببالى أن هذا الشىء الذى ينزلق على الحبل إنما هو ثعبان ، إذ كان الدكتور يقتنى حيوانات هندية أخرى . وأنت ترى أن فكرة الاستعانة بسم لا يمكن أن يكتشفه أى اختبار كيميائى هى بالذات مايتوقع من رجل ماهر لا ضمير له ، إذا كان قد اكتسب فى الشرق خبرته .

ثم وجهت تفكيرى بعد ذلك إلى الصفير ، فمن الطبيعى أن ينادى الثعبان إليه قبل أن يتسنى للفريسة أن تراه فى ضوء الصباح . فقام بتدريبه — ولعله كان يغريه بتقديم اللبن إليه — على أن يعود إليه إذا ما ناداه . وكان إذا وضعه فى فتحة التهوية وثق بأن سينزلق عليها ويهبط إلى الفراش . من الجائز أن يعض النائمة أو لا يعضها ، بل ربما مرّت أيام الأسبوع كله وهى تنجو منه . ولكن لامفر من موتها إن عاجلا أو آجلا .

وقد دلنى فحص الكرسى على أنه يكثر من الوقوف عليه ، ليتمكن من الوصول إلى الفتحة . كنت قد بقى لى بعض الشكوك ولكنها زالت عند ما رأيت الخزانة وإبريق اللبن ، والمقود المعقود فى أنشوطة . أما الصلصلة المعدنية التى سمعت المس ستونر فمصدرها إسراع زوج الأم وهو يغلق الخزانة على ساكنها المخيف . ولما سكنت إلى الحكم الذى أصدرته ، بدأت فى تنفيذ الخطة التى شاهدتها . لقد سمعت الثعبان ينفث وينفخ ، فهاجمته وطردته إلى فتحة التهوية . ولا شك أن ضربات العصا أثارت حنقه فهاجم أول شخص لقيه . وعلى هذا أكون أنا مسئولا إلى حدّ ما عن وفاة الدكتور جريمسبى رويلوث — ولكنى لا أقول إن هذا أمر من شأنه أن يثقل على ضميرى كثيرا ؟

****

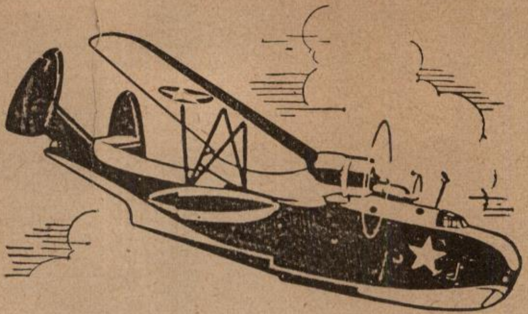

إن هذه الطائرات الضخمة التابعة لبحرية الولايات المتحدة ، والتي بنتها مصانع مارتن لخدمة أغراض الأمم المتحدة ، قد أنشأت خطوطاً جوية جديدة بحكم نقلها المعدات الحربية إلى كل ركن من أركان العالم على جناح السرعة وعندما تنتهي الحرب ستبني مصانع مارتن طائرات أكبر حجماً وأوفر راحة تتبع نفس هذه الخطوط لتربط بين شعوب العالم برباط وثيق من المبادلات التجارية الحرة ورحلات الراحة والمتعة .

Martin

منتجو طائرات مضمونة منذ ١٩٠٩

THE GLENN L. MARTIN CO. • BALTIMORE, MD., U.S.A.

زوارق هيجنز

اليوم فى الحرب

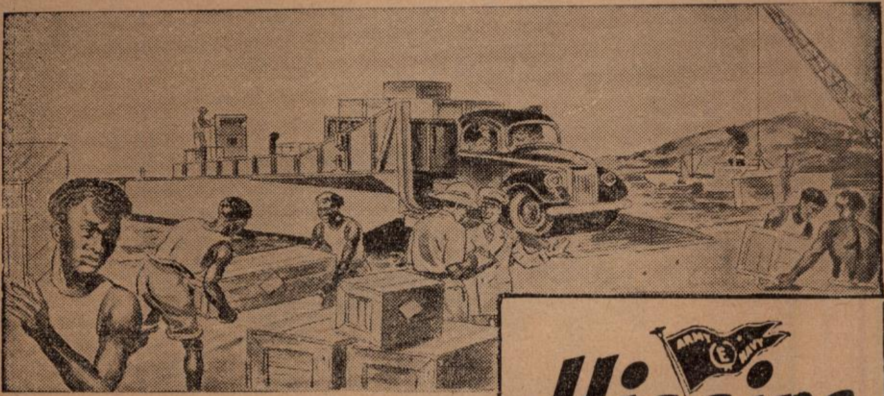

غداً فى التجارة

Higgins

INDUSTRIES INCORPORATED

شركة صناعات هيجنز

نيواورليانس الولايات المتحدة

محور القارتين الأمريكيتين أعظم بناة الزوارق فى العالم

٦,٠٠٠ خبير لصيانة طائرات لوكهيد

حيثما توجد طائرة لوكهيد للعمل أو للقتال ثمه خبير متمرن لصيانتها والعناية بها لحفظها فى أعلى درجات كفايتها الحربيـــة . وهناك ٦٫٠٠٠ خبير – مرتبهم شركة لوكهيد وتولت مرتباتهم – موزعون فى مختلف بقاع العـــالم للاشراف من جميع الوجوه على طائرات لوكهيد التى تقوم الآن بدور حيوى فى التجارة والحرب.

وقواعد لوكهيد الجوية لصيانة الطائرات تامة الاستعداد للقيام بأى عمل يطلب منها .

وفى الأماكن التى لا يوجد فيها قواعد يتعاون رجال لوكهيد مع قوات الأمم المتحدة الجوية فى تهيئة الطائرات للقتال .

وقد حصرت مؤسسة لوكهيـــد كل وقتها وجهودها ونشاطها فى إنشاء خدمة جوية كاملة تساهم فى تعجيل يوم النصر المنشود — ذلك اليوم الذى سيتاح فيه لكل من يملك طائرة لوكهيد أن يطير بها حيثما شاء فى عالم يسوده الأمن والسلام .

تذكـــر أن Lockheed رمـــز للسبـــق والتفـــوق

LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA, U. S. A.

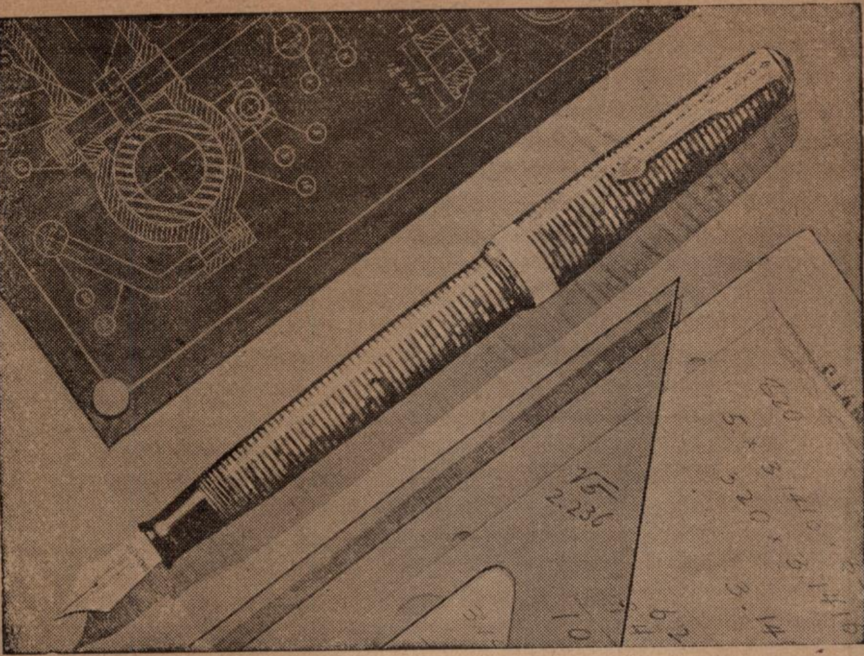

هو أعز اليوم منه فى كل وقت آخر

الآن وقد أصبحت مهام الكتاب فى المقام الأول من خطر الشأن فلا غرو أن يعد قلم حبر باركر بين أعز الأشيا. التى تمتلكها ولا سيما إذا علمت أن الحرب قد خفضت إنتاج هذه الأدوات الكتابية البديعة الى حد كبير .

ومن أشهر أقلام الحبر المتقنة قلم « ڤاكوماتيك » المبين هنا ، الذى يمتاز بشكله المخصوص وبريشته المخملية المصنوعة من مادة الأوسميريديوم النادرة التى تهيء للكتابة يسراً منقطع النظير هذا فضلا عن خزانه الذى يطلعك دواماً على مستوى الحبر فيه .

نعم أن قلم پاركر « ڤاكوماتيك » يضمن الحد الأقصى فى طلاقة الكتابة ، والماسة الزرقاء على مشبكه ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة

PARKER پاركر

منتجو اشهر اقلام حبر فى العالم منذ ٥٥ سنة

ما هو السرّ فى شهرة زيت موبيلويل العالميّة ؟

هذه خمسة من الأسباب التى تفسر شهرة زيت موبيلويل العالمية والتى تبرهن على أنه هو الزيت الوحيد الذى يجب استعماله فى سيارتك .

١ — **وقاية أفضل** : ضد هرش المحرك ذلك لأن موبيلويل يحتفظ بصفاته التزييتية الممتازة ويقاوم درجات الحرارة المرتفعة والعمل المرهق مقاومة فعالة فهو ضمان ضد الإصلاحات الباهظة .

٢ — **قيام أسهل** : زيت موبيلويل يضمن لمحرك السيارة حركة سريعة وقياماً سهلا وهو لا يعرقل سير الأجزاء المتحركة . ففى استعماله اقتصاد فى قوة المحرك وكمية البنزين المستهلكة .

٣ — **انتشار أسهل** : نظراً لأن هذا الزيت ينطلق فى الحال بمجرد قيام المحرك فإنه يتسرب بسرعة إلى كل جزء من أجزائه ويصونه صيانة تامة باطراد .

٤ — **مقاومة الكربون والرواسب الأخرى** : ستلاحظ بعد استعمالك موبيلويل ، أنه يخفض إلى أدنى حد تكوين الرواسب التى تؤكسد الزيت كالصمغ والكربون وخلافهما .

٥ — **خفض مصاريف السيارة** : ولما كان موبيلويل يساعد على الاحتفاظ بالمحرك نظيفاً ويضمن له تزييتاً منتظما فإنه يخفض إلى أدنى حد استهلاك الزيت والوقود ومصاريف الإصلاح .

جارجويل

موبيلويل

سوكونى فاكوم

أفخر زيت سيارات فى العالم

كريم حلاقة جليدر واسكواير

صنعا خصيصاً للرجال الذين
عليهم أن يحلقوا كل يوم

إكوافلفا ويليامز

أشهر لوسيون بعد الحلاقة في العالم ،
رقيق ، لطيف ، منشط ، منعش الرائحة

كريم حلاقة ويليامز الفاخر

يحتوي على مادة لانولين الملطفة التي تهيء لك
حلاقة تامة دون أن يسبب للبشرة أي تهيج

WILLIAMS

منتج مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من مائة سنة

شركة ج. پ. ويليامز ، جلاستونبري ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

الطعام يحارب فى سبيل الحرّية

إن الآلات الزراعية الحديثة سيكون لها شأن عظيم فى عالم الغد ، كما كان لها شأن عظيم فى البلاد الأمريكية خلال القرن الماضى ، حيث مكنت هذه الآلات الزراعية الحديثة ، ٢٠ فى المائة من السكان من إنتاج مقادير من الطعام والألبان والزيوت ومنتجات أخرى لازمة ، لأعلى مستوى من العيش ، تفوق ما كان ٨٠ فى المائة من السكان تنتجه قبل استعمال هذه الآلات .

ومصانع مينا بوليس - مولين ، تصنع الآن طائفة كاملة من المحاريث الحديثة وآلات المزارع التى تصلح لكل غرض ولكل حالة ، وستمضى خلال الحرب فى صنع هذه الآلات على قدر ما تسمح به الحدود المفروضة ، وعند ما ينشر السلام ظله من جديد على العالم ستستخدم مصانع مينا بوليس - مولين . قدرتها المتزايدة لإنتاج كميات عظيمة من المحاريث والآلات الزراعية الحديثة تفوق كل ما أنتجته خلال ٧٩ سنة .

MM MINNEAPOLIS-MOLINE MM MODERN MACHINERY

وعند ما يعود السلام سيتاح لكل من يستخدم منتجات مينابوليس - مولين ، جنى ثمار تقدمها المتطرد .

MINNEAPOLIS-MOLINE
POWER IMPLEMENT COMPANY
MINNEAPOLIS 1, MINNESOTA, U.S.A.

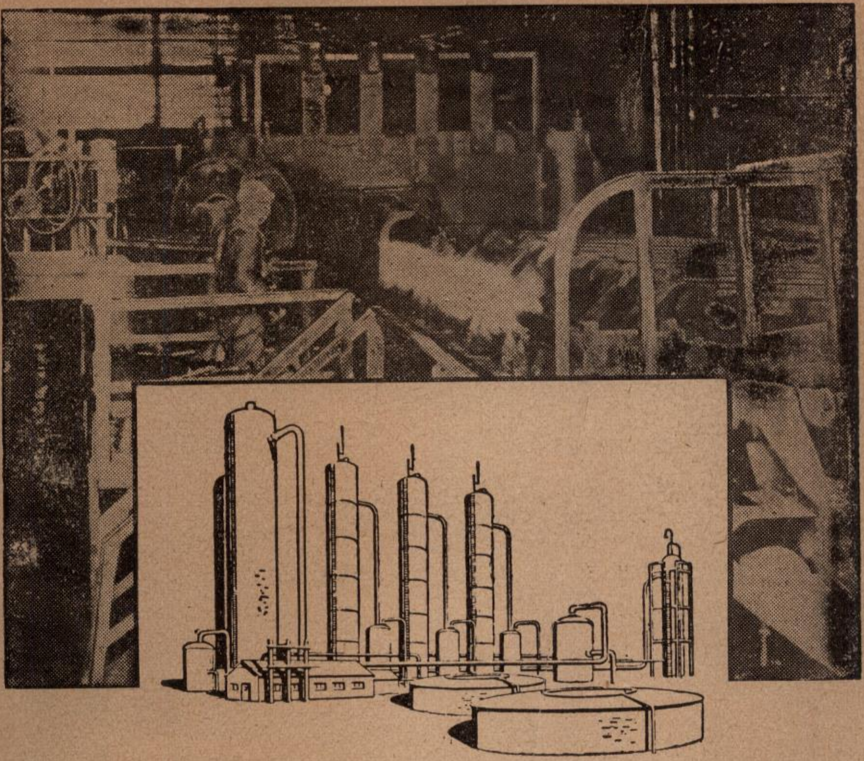

تجارى مقتضيات الإنتاج فى أوجه

إن أنابيب الصلب التى تسبكها شركة يونيتد ستيتس ستيل من أخلاط خاصة يراعى فى صنعها ، استعمالها وفقاً لأحدث الأساليب والأغراض الفنية ، فهى تقاوم عوامل التلف والتآكل مهما تعرضت للنار القوية أو الضغط العالى فيضمن بذلك استعمالها استعمالا مستمراً فيكون المستهلك منها أقل والإنتاج أكبر . وستقوم شركة يونيتد ستيتس ستيل — بقدر ما تبيح لها ظروف الحرب — بمد صناعة البترول فى جميع أنحاء العالم بهذه الأنابيب التى تعتبر ثمرة خبرتها الفنية خلال ٥٠ عاما .

UNITED STATES STEEL EXPORT CO.

30 CHURCH STREET, NEW YORK, U. S. A.

نحن فى خدمة العالم

RCA تقدم

أحدث الأنباء

نجوم جديدة . أفلام جديدة : تسجل فى جميع أنحاء العالم . بفضل معدات فوتوفون تسجل الصوت على الأفلام وهى التى تنتجها RCA وتستخدم فى كل استديو حيث يتم إخراج الأفلام المتفوقة

معيد الصوت RCA الذى يقوم عليه جهاز فوتوفون، وهو يعيد الأصوات المسجلة لنجومك المفضلة فى مسرحك المفضل

استمعى للموسيقى . وأنت تعملين كثير من الشركات التى تنتج معدات للحرب قد لاحظت أنها باستعمال مكبرات الصوت ومعدات RCA الصوتية تساعد على زيادة الإنتاج وحفظ العاملات فى أحسن حالة معنوية .

العقل السحرى للراديو : هو صمام RCA الأليكترونى وهذا
مام هو ثمرة خبرة RCA ونتيجة لأبحاثها العديدة فى تحسين
سائل التسجيل والإعادة والإذاعة وغيرها من مستحدثات RCA

راديو كوربوريشن أوف أمريكا

قسم R.C.A. فيكتور – كامدن ، نيوجرسى بالولايات المتحدة

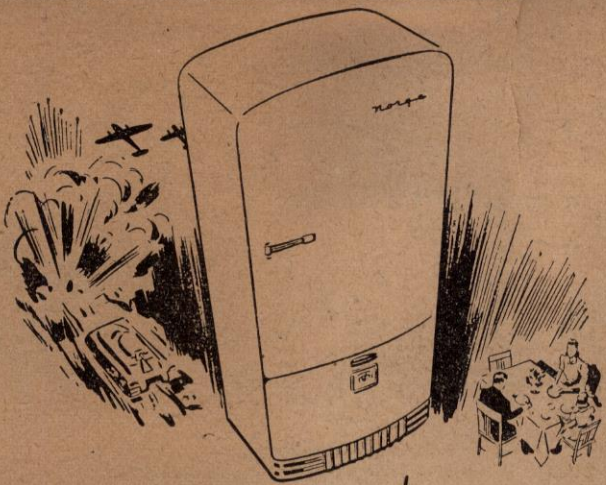

الطعـــام والحــرّية ...

لقد كانت الحرب حافزاً للبحث عن معـلومات أدق فى مضمار التغذية لأنه بالرغم من المستحدثات العظيمة فى وسائل الحرب العصرية فليس ثمّـة ما يستعاض به من الطعام ... ولا يزال كل جيش « يزحف على معدته » .

ولما كان إنتاج ثلاجات « نورج » قد توقف الآن إلى أن تنتهى الحرب فإننـا ندعو كل من يملك ثلاجة « نورج » فى كل مكان أن يتعهد ثلاجته بالعناية والصيانة على قدر المستطاع . فالاشراف المنتظم والرعاية الحكيمة من شأنهما أن يحتفظا لك ثلاجة « نورج » فى خدمتك أعواماً عديدة .

اتصل بوكيل ثلاجات « نورج » للحصول على النصيحة السديدة والخدمة الأكيدة . إن ممثلنا يسره أن يضع فى خدمتك الخبرة التى اكتسبها خلال أعوام طويلة .

Norge.

NORGE DIVISION DE BORG-WARNER. DETROIT. MICHIGAN. E.U.A.

NORGE للأدوات المنزلية والتبريد التجارى **نورج**

★ احدى صناعات بورج - وارنر ★

CHRYSLER

بليموث

دودج

دى سوتو

كريزلر

فارجو

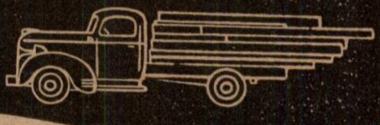

إن هذه الأسماء التى اشتهرت فى جميع أنحاء العالم بفضل تفوقها الصناعى وكمال إنتاجها ، قد ظفرت بشهرة جديدة بفضل إنتاجها الهائل فى المضمار الحربى . فحين اندلع لهيب الحرب بادرت الحكومات إلى الإعتراف بمقدرة شركة كريزلر الفنية فى إنجاز أدق المهام وأصعبها . وكان من جراء ذلك أن تحول إنتاج السيارات إلى إنتاج المهمات الحربية على اختلاف أنواعها — كالدبابات والجرارات وأجزاء قاذفات القنابل والبوصلات المتحركة والمدافع المضادة للطائرات ، والزوارق الجرارة ، وبلايين المقذوفات ومحركات الطائرات وغيرها من معدات القتال الهامة . وحين تنتهى الحرب

ستستخدم هذه الخبرة الجديدة فى الرقى بهذه المنتجات : فليكن دائماً اسم كريزلر دليلك على التقدم فى عالم السيارات .

CHRYSLER CORPORATION, EXPORT DIVISION, DETROIT, MICHIGAN, U.S.A.

GM

جنرال
موتورز

فريجيدير

إن اسم « فريجيدير » قد أصاب من الشهرة والذيوع حداً جعله علماً على جميع أنواع الثلاجات المستعملة بالمنازل والواقع أنه لا توجد اليوم إلا ثلاجة واحدة — من إنتاج جنرال موتورز — تصنعها مصانع « فريجيدير » بدايتون أوهيو بالولايات المتحدة .

وبالنظر إلى الظروف الحاضرة ، سيكون فى حكم المتعذر تلبية الطلبات العديدة على مختلف منتجات « فريجيدير » ولكن عندما تستتب الأمور سيعود اسم « فريجيدير » إلى الأسواق حاملا تلك المنتجات الممتازة التى دعمت شهرتها فى مضمار التثليج والتبريد .

شركة جنرال موتورز للشرق الأدنى المساهمة

الاسكندرية ، القاهرة

القطر المصرى

عملاء فى جميع بلدان الشرق الأوسط

والمجلات والكتب باللغات التي يعرفها ، ويستمع للاذاعات المختلفة من قارات العالم الخمس . بذلك أصبحت قراءة ما يكتب والإستماع لما يذاع غذاء للعقول والقلوب لاتقل الحاجة إليه عن حاجة الأجسام إلى غذائها من الطعام والشراب.

لكن ما يذاع وما ينشر كثير لا طاقة لأحد باستيعابه كله . لذلك يجتزئ أكثر المثقفين بالمختار من الكتب والمجلات لتغذية معارفهم العامة ويكتفون بها لدوام اتصالهم بثقافة العالم على نحو يمكنهم من التعاون مع أبناء أمتهم وأبناء الأمم الأخرى .

ومجلة « المختار من الريدرز دايجست » تؤدى هذا الغرض خير أداء ، وهى لذلك من الوسائل القوية لمعرفة الناس بعضهم بعضا ولفهم بعضهم عقلية بعض . وهذه المعرفة وهذا الفهم هما ، كما قدمنا ، اللذان يقيمان التضامن بين الناس مقام التنافس والتنابذ ، ويمهدان لطمأنينة السلام فى العالم .

وستنهض المختار من الريدرز دايجست بهذه الرسالة بعد أن تضع الحرب أوزارها على نحو يقصر الجهد دونه فى الوقت الحاضر فتكون بذلك من دعائم السلام العالمى .

وكم أتمنى لو استطاعت أن تعمل ليعرف أبناء أمريكا أهل هذا الشرق العربى كما تعمل ليعرف الناس هنا أهل العالم الجديد . إنها إن فعلت أدت رسالة إنسانية سامية تجعل المتكلمين بالعربية يضيفون إلى ثنائهم الحاضر عليها ثناء جديداً .

المعرفة سبيل التفاهم والتعامل

الدكتور محمد حسين هيكل باشا

وزير المعارف الأسبق ، مؤلف حياة محمد وثورة الأدب وولدى الخ

تصبو الإنسانية إلى سلام دائم يعقب الحرب المستعرة اليوم فى قارات العالم الخمس ، والتى ذاق الناس من أهوالها ألواناً ، ثم لم تترك وراءها إلا الألم والشقاء والخراب . وإنما يستقر السلام إذا عرف الناس فى مختلف الأمم بعضهم بعضاً ، وفهم بعضهم عقلية بعض ، وأدركوا جميعاً أنهم قادرون عن طريق هذا الفهم وهـذه المعرفة على التعاون المثمر لخيرهم جميعاً . بذلك تتفق الأمم فيما بينها على قواعد للخلق الدولى تكون أساساً لتعاملها وسياجاً واقياً لها من ويلات حرب أخرى .

وإنما يعرف الناس بعضهم بعضاً إذا ربطت بينهم صلات متينة توثق أسباب تضامنهم ، وتحل هـذا التضامن محل تنافس الأمم وسعى القوى منها للاستعلاء على الضعيف واستغلاله .

وحرية الرأى والتعبير عنه هى الوسيلة الأكيدة لقيام مثل هذه الصلات ، وهى من ثم عامل جوهرى لتفاهم الناس وتعارفهم ، وأساس متين لقيام السلام فى العالم .

وفى العصر الحاضر أصبح اتصال الناس فى الأمم المختلفة من الأمور الجارية فى الحياة اليوميـة ، فقد قربت المواصلات بينهم على نحو كان يُعَدُّ من زمن قريب خيالا لا أمل فى تحقيقه ، وصار تبادل العلم والرأى عن طريق الإذاعة والنشر مما لا يستغنى عنه أحد . فكل رجل مثقف يقرأ ما ينشر فى الصحف

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية